THE NEW YORK TIMES BESTSELLER

نادي قراءة جين أوستن

رواية

مكتبة 511

كارين جوي فاولر

ترجمة : أمال حلبي

كارين جوي فاولر

نادي قراءة جين أوستن

مكتبة
t.me/t_pdf
٢٠١٩ ١٠ ١٣

الكتاب: نادي قراءة جين أوستن (رواية)
تأليف: كارين جوي فاولر
ترجمة: أمال ن. حلبي
عدد الصفحات: 352 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-038-7
الطبعة الأولى: 2018

هذه ترجمة مرخصة لكتاب
THE JANE AUSTEN BOOK CLUB
by Karen Joy Fowler
Copyright © 2004 by Karen Joy Fowler

جميع الحقوق محفوظة © دار التنوير 2018

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
مصر: القاهرة - 2 شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557
بريد إلكتروني: cairo@dar - altanweer.com
تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

كارين جوي فاولر

مكتبة | 511

نادي قراءة جين أوستن

ترجمة: أمال ن. حلبي

التنوير

أهدي هذا الكتاب إلى شون باتريك جايمس تيريل:

أفتقد وجودك وأشتاق إليك أبدًا

دليل القارئ

تتمتّع أوستن بقدرة غريبة على إشغال الجميع. فلاسفة الأخلاق، وفلاسفة الحبّ العذري وغير العذري، والماركسيّون، وأتباع فرويد، وأتباع كارل يونغ، والمتخصّصون في علم السيميائيات، والهدّامون؛ جميعهم يجدون ملعبًا مثيرًا في ستّ روايات متشابهة تتناول حياة الطبقة البورجوازية المتوسّطة في الرّيف الإنكليزي.

وأمام كل جيل جديد من القرّاء والنقاد، يجدّد أدب أوستن ذاته من دون كلل.

Martin Amis, ،The JANE'S WORLD, The New Yorker, the Novels.

مكتبة
t.me/t_pdf

موجز عن رواية *إيمّا* :*Emma*

كتبت أوستن رواية *إيمّا* بين شهري كانون الثاني 1814 وآذار 1815، ونُشرت في عام 1815. إيمّا وودهاوس، فتاة جميلة وثريّة تتمتّع بمكانة الملكة في مجتمعها الصغير. ماتت أمّها، أما والدها فعلى الرغم من مزاجه الصعب لا يفرض قيودًا على أذواقها ولا على سلوكها. تتفوّق إيمّا من حيث المستوى الاجتماعي على كل سكان القرية والفارق بينها وبينهم شاسع. لم يتجرّأ أحد قطّ على انتقاد إيمّا سوى السيد نايتلي الذي اقترح عليها تحسين شخصيتها.

ولدى إيمّا مَيلٌ إلى ملاءمة الشبّان والفتيات بقصد الزواج. وعندما تتعرّف إلى الفتاة الجميلة هارييت سميث (مجهولة الأب)، تجعل منها صديقة، كما تجعلها قضيّتها في الوقت عينه. وعلى ضوء إرشادت إيمّا، ترفض هارييت عرض المزارع روبرت مارتن الزواج بها طمعًا في أن تنجح إيما بتدبير زواجها من القسّ إلتون. ولكن يحدث نوع من سوء الفهم، ويظنّ مارتن بأن إيمّا تقصد من خلال خططها وتحرّكاتها جذبه إلى الزواج بها. خصوصًا وأن فكرة الانحدار إلى مستوى هارييت الاجتماعي غير مقبولة لديه.

ثمّ تزداد الأمور اضطرابًا في القرية مع عودة جين فيرفاكس وهي ابنة أخت الآنسة بايتس الثرثارة، ومع زيارة فرانك تشرشل ابن زوج مربية إيمّا السابقة. كان فرانك وجين مخطوبين في السرّ. ولأن لا أحد كان

يعرف بخطوبتهما، فإن ارتباطهما لم يؤثّر على ما كان يدور من خطط الزواج المحتدمة.

أخيرًا تترتّب الزيجات ليس ضرورة بالطريقة التي أرادتها إيمّا، ولكن بما يرضيها. وإيما نفسها التي عبّرت عن عدم رغبتها بالزواج في بداية الكتاب، تعود لترحّب بخطوبتها إلى السيد نايتلي.

العقل والعاطفة *Sense and Sensibility*

كتبت أوستن رواية *العقل والعاطفة* قبيل نهاية القرن الثامن عشر، ولكن خضعت الرواية لمراجعات عدة قبل أن تنشر عام 1811. إنها قصّة أختين وهما إلينور وماريان داشوود. توفي والدهما وتركهما مع أمّهما وأختهما الصغرى عرضة لضائقة ماديّة. تقع الفتاتان في الحبّ وكلّ منهما تعيش التجربة بطريقة مختلفة ومنسجمة مع ملامح شخصيتها. تتكلّم ماريان بانفتاح تامّ إلى الآخرين عن مشاعرها؛ فيما تكتمها إلينور وتراعي أصول الاحتشام.

إدوارد فيرارس هو الشابّ الذي يميل إليه قلب إلينور، وهو أخ امرأة أخيها غير اللائقة والبغيضة. علمت إلينور أن إدوارد مرتبط بخطوبة سرّية وقسرية وغير سعيدة مع شابّة تدعى لوسي ستيل. اطّلعت إلينور على كل ذلك من لوسي نفسها التي شعرت باهتمام إلينور بإدوارد وادّعت عدم معرفتها بذلك؛ واتخذت إلينور مودعًا لأسرارها.

تعلّقت أنظار ماريان بالشاب جون ويللوبي وتمنّت الزواج به، وهو وحده الرجل المثير في القصّة. ولكنّه سرعان ما يدير لها ظهره ليرتبط بفتاة ثرية. تتقهقر حالة ماريان النفسية إلى درجة خطيرة على أثر ذلك.

عندما تهجر لوسي ستيل إدوارد لتستبدله بأخيه روبرت، يصبح إدوارد حرًّا وقادرًا على الزواج بإلينور. يبدو إدوارد مملًا، ولكنّها

اختارته بنفسها. أما ماريان فتتزوّج مع الكولونيل براندون الذي اختارته لها أمّها وإلينور، وهو مملّ أيضًا.

مانسفيلد بارك *Mansfield Park*:

كُتبت *مانسفيلد بارك* بين عامَيْ 1811 و1813، ونُشرت عام 1814. إنها الرواية الأولى التي كتبتها أوستن بعد انقطاع دام أكثر من عشر سنوات.

أرسلت فاني برايس من منزلها الذي تفاقمت حالة الفقر فيه إلى قصر خالتها المتزوجة من الثري السيّد برترام. وهناك تتعذّب بسبب قسوة خالتها نوريس ونفور أولاد خالتها منها: طوم، وماريا، وجوليا. ولكنها شعرت بالارتياح إلى ابن خالتها الآخر إدموند. مكانتها في المنزل الجديد لم تجاور مكانة الابنة، بل اقتربت من منزلة الخادمة. وطيلة أعوام عاشتها فاني في ذلك القصر كانت تزداد شحوبًا وهزالًا من غير أن تفقد جمالها المتميّز.

وفيما كان العمّ برترام في رحلة عمل، جاء هنري كراوفورد مع أخته ماري ومكثا في منزل مجاور ملحق بالكنيسة. كان هنري وأخته جذّابين ويشعّان حيويّة. وإذا بالأختين ماريا وجوليا تنجذبان إليه. أما إدموند فتجذبه ماري.

بدأ الشبّان والشابّات بالتخطيط للقيام بمسرحية يمثّلونها كهواة؛ ولكن خطتهم ما لبثت أن أُلغيت بعد عودة العمّ برترام من سفره. ولكن التمرينات التي أُجريت كانت قد أتاحت الفرصة في حصول مغازلات عدة وإنما مؤذية. وبعد أن شعرت ماريا بالمهانة نتيجة عدم اهتمام هنري جدّيًا بها، تزوّجت بالرجل الثري والمضحك السيد ريشوورث.

يقع هنري في حبّ فاني الخجولة التي ترفض عرضه للزواج. تغضب خالة فاني منها بسبب رفضها لذلك العرض المغري، وتعاقبها

بإعادتها إلى منزل والديها. بعد أن يحاول هنري إقناع فاني بالقبول من غير جدوى، يتحوّل إلى إقامة علاقة غرامية مع ماريا تنتهي بالخيبة والعار عليها. ولكنّ إدموند لا يتقبّل موقف ماري المتسامح مع هذه القصّة المعيبة.

يكاد طوم، ابن خالة فاني الأكبر أن يموت نتيجة انغماسه في الرذيلة والفسق، فتُستدعى فاني للعودة إلى مانسفيلد بارك للمساعدة على العناية به. وفي نهاية القصة، يتزوّج إدموند بفاني ويؤلفان زواجًا منسجمًا. ولكنّهما، وكما قال الناقد كينغزلي آميس، ليسا الزوجين اللذين تتمنّى دعوتهما إلى العشاء في بيتك.

دير نورثنغر *Northanger Abbey*:

كُتبت هذه الرواية في نهاية القرن الثامن عشر ولكنّها لم تُنشر سوى بعد رحيل الكاتبة. إنها قصة فتاة عاديّة تدعى كاثرين مورلاند، ويتألّف الكتاب من جزأين. في الجزء الأوّل، تسافر كاثرين مع عائلة صديقة إلى مدينة باث حيث تتعرّف إلى جون وشقيقته إيزابيلا ثورب، وإلى هنري وإليانور تيلني. وما يلبث أخوها جايمس أن يلحق بالمجموعة، ثمّ يرتبط بإيزابيلا. تشعر كاثرين بميل عاطفي إلى هنري وهو رجل دين غير تقليدي ويتمتّع بالذكاء والظرف.

وفي الجزء الثاني، يدعو الجنرال تيلني كاثرين لزيارة العائلة في منزلها. تلاحظ كاثرين للتوّ أنه متغطرس وشديد التدقيق حتى في توافه الأمور. وتحت تأثير قصّة من الأدب القوطي كانت كاثرين تقرأها، تخيّلت هذه الأخيرة أن الجنرال قتل زوجته. اكتشف هنري تصوّراتها، وطلب منها التخلّي عنها بأسلوب قاسٍ.

ثمّ تتلقّى كاثرين رسالة من أخيها جايمس يخبرها فيها أن إيزابيلا أنهت خطوبتهما. وعندما يعود الجنرال من لندن، ويطرد كاثرين ويجبرها على

العودة إلى بيتها من دون مرافقة. وإذ ذاك يبدو واضحًا أن عائلتي ثورب وتيلني اكتشفتا على غير ما كانتا تتوقّعان أن عائلة جايمس وكاثرين غير ثرية بالقدر المرغوب به.

يشعر هنري بالحنق الشديد بسبب تصرّف والده المهين، ويتبع كاثرين، وعندما يلتقي بها يطلب منها الزواج. ولكنهما لا يتمكّنان من إتمام شعائره من دون موافقة والده التي سيحصلون عليها أخيرًا وسط نوبة الفرح التي تصيب الجنرال نتيجة زواج إليانور من أحد النبلاء.

كبرياء وهوى *Pride and Prejudice*:

إنّها أشهر روايات أوستن. كتبتها بين عامي 1796 و1797 تحت عنوان «*الانطباعات الأولى*»؛ خضعت لمراجعة كثيفة قبل نشرها عام 1813 بعد أن استُبدل عنوانها. أوستن نفسها قالت عن الرواية: «إنها خفيفة وذكيّة ومشرقة»، وتقترح أنها كانت ربّما تحتاج إلى إضافة «بعض التوافه الرصينة المزيّفة» في مقابل ذلك. تبدأ الرواية بموقف يبدو معاكسًا لحكاية سندريلا المعروفة؛ إذ إن بطل القصة فيتزويليام دارسي الذي يقابل إليزابيث بينيت لأول مرّة في الحفلة الراقصة، يرفض الرقص معها.

وإليزابيث هي إحدى بنات عائلة بينيت الخمس، وهي الثانية بعد أختها الكبرى ذات الجمال الرائع، جين. تتمتّع الفتيات بوضع مالي جيّد طالما بقي والدهنّ على قيد الحياة. ولكن ميراث العائلة سيتحوّل إلى وريث ذكر في العائلة بعد وفاته. ولذلك فإن مستقبل الفتيات المالي يتوقّف على طريقة اختيار أزواجهنّ.

تدور القصّة حول نفور إليزابيث المستمرّ من دارسي، وازدياد انجذاب دارسي إليها في المقابل. وعندما تلتقي هذه الأخيرة بالخبيث ويكهام الذي يكره دارسي إلى حدّ كبير؛ تنجذب إليه بدافع كراهيتهما المشتركة لدارسي.

من جهة ثانية، يحاول وريث السيد بينيت وهو القسّ كولنز التعويض عن تأثيره السلبي على وضع العائلة المالي بالزواج من إليزابيث، ولكنّها ترفض عرضه بحجّة أنه مغرور وأحمق. ثمّ يتقدّم كولنز بطلب الزواج من صديقة إليزابيث المفضلة شارلوت لوكاس فتوافق.

يتقدّم دارسي من إليزابيث بطلب الزواج بها ولكن بأسلوب غير لائق، فترفضه بأسلوب غير لائق أيضًا. ويحدث أن يقنع ويكهام الخبيث أخت إليزابيث الصغرى ليديا بالهروب معه من أجل الزواج. يعلم دارسي بالأمر ويلحق بهما ويعيد ليديا، و«يشتري» لها زواجًا لائقًا. ولعلّ تصرّف دارسي هذا، إضافة إلى حبّه لها، وتحسّن اهتمامه بأصول اللياقة الاجتماعية، أقنع إليزابيث بأنه الرجل المناسب لها. وتتزوّج جين بصديق دارسي السيد بينغلي، وتحتفل الشقيقتان بزفافهما في اليوم نفسه. وتصبح الأختان في النهاية ثريّتين جدًّا.

إقناع *Persuasion:*

نشرت هذه الرواية بعد وفاة الكاتبة. وتبدأ حوادثها عام 1814 بعد أن تنتهي الحرب وتعود القوّات البحرية إلى البلاد. يجد الأرمل الأرستقراطي والتر إليوت، وهو المغرور والمبذّر الذي يحمل لقب «سير»، ضرورة اقتصادية تدفعه إلى أن يؤجّر قصره وأملاكه إلى أدميرال في سلاح البحرية السيّد كروفت. وينتقل سير إليوت إلى منطقة باث مع ابنته الكبرى إليزابيث. أما ابنته الأخرى آن، فتقرّر زيارة أختها ماري، المتزوجة والمتذمّرة دائمًا على الرغم من خفّة ظلّها.

كانت آن مخطوبة في السابق إلى صهر الأدميرال كروفت، الذي أصبح الآن الكابتن فريدريك ونتوورث. ولكن عدم رضى عائلتها من ناحية، ونصيحة السيدة راسل إحدى صديقات العائلة من ناحية أخرى، دفعاها إلى إلغاء الخطوبة على الرغم من حبّها له.

يأتي ونتوورث لزيارة أخته، ويقوم بزيارات متعدّدة إلى عائلة موسغروف، وهي العائلة التي تزوّجت ماري بأحد أبنائها. وفي أثناء تلك الزيارات التي قصد بها ونتوورث التعرّف إلى بنات موسغروف بقصد اختيار زوجة له، وحيث بدا أنه يفضّل لويزا؛ التقت به آن مرّات عدة بطريق المصادفة. وفي أثناء رحلة إلى منطقة لايم، تصاب لويزا في حادث سقوط سيئ، ولا تتماثل للشفاء سريعًا.

تلحق آن بعائلتها في باث، ولكن لا يبدو أن عائلتها كانت تريدها أو تشتاق إلى عودتها. وكان أحد أقرباء العائلة، وهو وريث اللقب الذي يحمله والدها، يحاول التقرّب من إليزابيث. غير أن عودة آن جعلته يحوّل أنظاره عن أختها إليها.

ولكن السيدة سميث، وهي صديقة آن الحميمة منذ أيام الدراسة، أخبرتها بأنه حقير ومنافق. ثم يُعلن عن خطوبة لويزا، ولكن ليس للكابتن ونتوورث، بل لأحد جنود البحرية في لايم. يلتحق ونتوورث بخطيبته السابقة آن في باث. وبعد مواقف عدة من سوء الفهم بينهما، تنجلي الأمور ويتزوّجا.

نادرًا ونادرًا جدًّا ما تنكشف الحقيقة بأكملها عبر الأشخاص؛
ونادرًا ما لا تبقى أمور خفيّة نتيجة التورية أو الخطأ.

جين أوستن، الافتتاحية في رواية *إيما*
Prologue - *Emma* ,AUSTIN JANE

مكتبة
t.me/t_pdf

لكلِّ منّا أوستن تخصّه

ترى جوسلين أن أوستن كتبت قصصًا رائعة عن المغازلة والحبّ مع أنها لم تتزوج أبدًا. وجوسلين هي من أطلق فكرة المنتدى الأدبي ومن اختار أعضاءه بكل عناية. قد يخطر في بال جوسلين في صباحيّة يوم واحد كمًّا من الأفكار يتخطّى ما قد يخطر في بال كلٍّ منا طيلة أسبوع، وهي تتفوّق علينا جميعًا من حيث طاقتها العملية أيضًا. عندما قالت جوسلين إنه من المهم جدًّا أن ندعو أوستن إلى حياتنا مجدّدًا بين الفينة والأخرى، في زيارة تفقّدية، ساورتنا الشكوك أوّلًا حول دوافعها الحقيقية، ولكن من قد يجرؤ على استخدام جين أوستن من أجل الوصول إلى غاية سيئة؟

تتمتّع أوستن بحسب برناديت بحسّ عبقري في الظرف والفكاهة. وهي ترى أن شخصيات أوستن وما يدور بينها من حوار ما زالت تضحكنا حقًّا، على خلاف شخصيات شكسبير التي نستمتع بفكاهتها لكونها فحسب من إبداع شكسبير، ولا مناص لأحد من حسن تقدير هذا الابداع.

طالعتنا برناديت وهي على عتبة الثامنة والستين والأكبر سنًّا بيننا بقولها: «لا يهمّني أمر التقدّم في العمر بعد الآن. لم أعد أنظر إلى وجهي في المرآة،» وأضافت: «أتمنّى لو كنت قد فكّرت بمسألة التقدّم بالعمر

منذ سنوات، كما يفعل مصّاصو الدماء». حملتنا كلمات برناديت للتوّ إلى التفكير بمصاصّي الدماء وكيف يحافظون على شبابهم. أوليس حريًّا ببعضهم أن يشابه ما هي عليه برناديت الآن؟

برودي، وهي زميلتنا في المنتدى أيضًا، التقت برناديت في مخزن المواد الغذائية وأخبرتنا أن الأخيرة كانت تنتعل شبشبًا لا يليق استخدامه سوى في غرفة النوم، وكانت خصلات شعرها منتصبة فوق جبينها وكأنّ مشطًا لم يلامسها قطّ في ذلك النهار؛ ورأتها تشتري أصنافًا من الخضار المجلّدة، مثلِ قرون الصويا الأخضر المسمّى «إيدامامي»، أو المخلّلة مثل براعم الكَبَر، وغير ذلك من الأصناف الغذائية التي يندر استخدامها.

من مؤلفات أوستن المفضّلة لدى برناديت كتاب *كبرياء وهوى* *Pride and Prejudice*.

وكانت برناديت قد اقترحت أمام جوسلين أنه ربّما الكتاب المفضّل لدى الجميع، واقترحت أن يكون الكتاب الأول الذي سنتناوله في المنتدى. ولكن جوسلين آثرت البدء بالكتاب الذي يحمل عنوان *إيّما* (*Emma*)، وذلك لأن دانيال زوج سيلفيا، زميلتنا أيضًا في المنتدى، كان قد أعلن رغبته بالطلاق بعد مرور اثنين وثلاثين عامًا على زواجهما. وبما أن ذلك الأمر كان لا يزال حديثًا، فمن اللياقة ألا نعرّض سيلفيا لمزيد من الألم الذي قد تحرّكه لديها شخصية السيد دارسي المتعنّت في *كبرياء وهوى*.

«لم يقرأ ذلك الكتاب أحد إلا وفقد رغبته في أن يكون متزوّجًا!»، قالت جوسلين.

عندما تعرّفت جوسلين إلى سيلفيا كانت الفتاتان في الحادية عشرة؛ أما الآن فكلاهما في بداية العقد الخامس من عمرَيهما. أوستن، خاصّة سيلفيا، هي تلك الابنة والأخت والعمّة أو الخالة. كتبت رواياتها في غرفة جلوس مكتظة، وكانت تقرأ كل ما تكتبه على مسامع أفراد عائلتها،

غير أن ذلك لم يمنعها من أن تكون مراقبة حاذقة ومحايدة للشخصيات الانسانية. كان بإمكان أوستن، خاصّة سيلفيا، أن تحِبّ وأن تُحَب من غير أن يعكّر ذلك وضوح رؤيتها، ولا حياد رأيها.

ربما كانت سيلفيا السبب الرئيسي الذي حفّز جوسلين على تشكيل المنتدى؛ أي إنها أرادت إشغال صديقتها بنشاط المنتدى عن الألم الذي لا بدّ أنها كانت تعيشه في ظلّ ظروفها الزوجيّة الصعبة. وهذا ليس غريبًا على جوسلين؛ ألم تكن سيلفيا صديقتها الأقدم والأقرب إلى قلبها؟

وألم يقل الكاتب الإنكليزي كيبلنغ Kippling مرّةً إنه ليس أفضل من جين لإخراجك من المآزق العصيبة؟

«من الأفضل، تشكيل المنتدى من النساء فحسب»، اقترحت برناديت؛ ثمّ دعمت رأيها بالقول: «تتغيّر دينامية اللقاء بوجود الرجال لأنهم يفرضون رأيهم ولا يسعون إلى التواصل الفعلي مع الآخرين؛ وقد يسترسلون في الكلام ويتجاوزون الوقت المعطى لهم».

وما إن فتحت جوسلين فمها للإجابة، تابعت برناديت محذّرةً: «لا يمكن مقاطعتهم، وتعلمين ميلنا نحن النساء إلى المقاطعة باستمرار».

تنحنحت جوسلين. فأضافت برناديت:

«وليس من عادة الرجال تشكيل المنتديات لمناقشة الكتب. إنّهم يجدون في القراءة متعة فردية، هذا إذا ما حدث حقًّا وأحبّوا القراءة».

عند هذا الحدّ عزفت جوسلين عن الإجابة.

ومع ذلك، كان غريغ المشارك التالي الذي دعته جوسلين إلى المنتدى. أيّ منا لم تكن تعرف غريغ من قبل. إنه شاب مهذّب، ذو شعر بنّي غامق، ويبدو في مستهل العقد الرابع من العمر. أوّل ما لفتنا في شكل غريغ كانت رموشه الطويلة والكثيفة، فتخيّلنا كم من النساء أسفن أن تكحّل مثل هذه الرموش عينيّ رجل وليس امرأة.

معرفتنا الجيّدة بجوسلين دفعتنا إلى التساؤل: «مع من منّا تريد جوسلين ملاءمة غريغ بالتحديد؟». كان غريغ أصغر سنًّا من بعضنا بفارق كبير، وأكبر سنًا من بعضنا الآخر بفارق كبير أيضًا. ولذلك فإن أسباب دعوته لأن يكون شريكًا في المنتدى بقيت غامضة.

كل من تعرّف إلى جوسلين منذ زمن طويل كان شاهدًا على براعتها في جمع القلوب وتزويج الأحبّة. ألم تدبّر أمر التقريب بين سيلفيا ودانيال حتى تزوّج الاثنان بعد التخرّج مباشرةً، وكانت جوسلين الاشبينة. ومن ثمّ، وبعد تسجيلها هذا النجاح المبكر، استساغت أمر تدبير الزيجات إلى حدّ كبير، وما زالت ضالعة فيه. وبات نجاح زواج سيلفيا ودانيال واستمراره لمدّة ثلاثين عامًا ونيّفًا مدعاة لفخرها ورضاها؛ أما الآن وقد وصل زواجهما إلى نهايته تقريبًا، فبات من الصعب القول إنه ما زال مصدر فرح واعتزاز بالنسبة إليها.

وجوسلين ذاتها لم تتزوّج قطّ؛ ولهذا فقد كان لديها ملء الوقت لتستمتع بأنواع عدة من الهوايات.

عندما بلغت آليغرا ابنة سيلفيا سنّ التاسعة عشرة، حاولت جوسلين طيلة ستة أشهر كاملة العثور على شابّ مناسب لها. أما الآن فقد أصبحت آليغرا في الثلاثين، وهي المشاركة الخامسة معنا في المنتدى. أما أوستن خاصّة آليغرا فيتمحور ما كتبته حول تأثير العوَز المالي على حياة النساء الحميمة. أما لو كانت آليغرا تعمل في إحدى المكتبات، فنتوقّع أنها كانت ستضع كتب أوستن في جناح قصص الرّعب.

تحرص آليغرا دومًا على أن تقصّ شعرها قصيرًا وبإتقان؛ ولكنها لا تأبه بانتعال أحذية رخيصة ومثيرة. لم تكن أي من هذه التفاصيل لتلفت أنظارنا لولا ميلها إلى التصريح باستمرار بأنها مثلية الهوى. غير أن عدم تقبّل جوسلين لهذه الحقيقة على الرغم من وضوحها، بدا مسيئًا وغير

لائق في النهاية. فما كان من سيلفيا إلا أن أخذتها جانبًا ذات مرّة وسألتها عن سبب رفضها لهذا الواقع؛ فقبلته جوسلين بمرارة.

ومنذ ذلك الوقت، تغيّرت وجهة اهتمام جوسلين وتحوّلت إلى إيجاد الشابات الملائمات لأليغرا. ولكنّها، ولحسن الحظّ، تهتمّ أيضًا بتربية الكلاب من نوع *ريدجباك الروديسي* (***Rhodesian Ridgeback***)، وما أكثر الشابات الملائمات اللواتي يستميلهن أيضًا عالم الكلاب.

برودي كانت الأصغر سنًا بيننا وعمرها ثمانية وعشرون عامًا. أما رواية أوستن المفضّلة لديها فهي *إقناع* (*Persuation*)، وهي الرواية الأخيرة والأشد كآبة. وأوستن بالنسبة إلى برودي هي الكاتبة التي كلّما أعدتّ قراءة رواياتها تجدها مختلفة. فقد تجدها مفعمة بالرومانسية، ثمّ تعود لقراءتها بعد مرور سنة مثلًا، فتكتشف فجأةً أسلوب أوستن المرح والساخر. أوستن خاصّة برودي هي أوستن التي أصيبت بالمرض. إنّه المرض الذي ربّما يدعى «هودجكين» والذي فارقت الكاتبة الحياة على أثره ولم تكن قد تخطّت الواحدة والأربعين من عمرها بعد.

كان في ودّ برودي أن تسمع من المشاركين أحيانًا تنويهًا بأنها فازت بفرصة الانضمام إلى حلقتنا لأنها من محبّي أوستن الفعليين، على عكس آليغرا التي تشارك في المنتدى لأنها ابنة سيلفيا فحسب. ولكنّ هذا لا ينفي أن آليغرا تدلي بملاحظات قيّمة تشدّ برودي إليها أحيانًا؛ خصوصًا وأن لدى برودي اهتمامًا وفضولًا لمعرفة آراء الفتيات المثليّات في ما يخصّ أمور الحب والزواج.

يلفت الناظر إلى برودي وجهها، وبشرتها الناصعة، وعيناها العميقتان، ووجنتاها المظلّلتان بالشحوب. لها فم صغير وشفتان رقيقتان تخالهما تختفيان كلما ابتسمت، فتذكرانك بفم بعض أنواع القطط. تعمل برودي معلمة للّغة الفرنسية في إحدى المدارس الثانوية، وهي متزوجة وتنفرد

بذلك عنا. وهذا بالطبع لو أخذنا في الاعتبار وضع سيلفيا الحالي التي تقف على حافة الطلاق رسميًا. ما زال وضع غريغ العائلي مجهولًا - بالنسبة إلينا - فربّما كان متزوجًا. ولكن هل كانت جوسلين لتدعوه إلى المنتدى لو كان كذلك؟

أيّ منا لا يعلم من هي أوستن خاصّة غريغ.

نحن الستة - جوسلين، برناديت، سيلفيا، آليغرا، برودي وغريغ - نشكّل قائمة منتدى جين أوستن الأدبي في مدينة ريفر سيتي في منطقة سنترال فالي في كاليفورنيا[1]. أما اجتماعنا الأوّل فكان في منزل جوسلين.

t.me/t_pdf انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك

(1) Central Valley - River City وادي كاليفورنيا المركزي.

الفصل الأول
حيث اجتمعنا في منزل جوسلين
لمناقشة كتاب *إيمّا Emma*

كانت الشمس تشرف على المغيب حين اجتمعنا على شرفة منزل جوسلين الأمامية المحاطة بستار من الشريط الواقي من البعوض والريح؛ تحلّقنا نشرب الشاي الشمسي[1]، ونستمتع بعطر العشب الطري الأخضر المنبعث من المرج الكبير المحيط بالمنزل، والذي يمتدّ على مساحة تناهز خمسين ألف متر مربع في منطقة وادي كاليفورنيا. كان المشهد رائعًا، فقد أرخت الشمس أشعتها البنفسجية الناعسة لتودّع المرج وجبال بريسا في الغرب التي باتت غارقة في ظلمة الغسق. أما الجدول الذي كان يشقّ طريقه في جوار منزل جوسلين متجهًا إلى الجنوب، فما زال مستمرًّا في جريانه حتى نهاية الربيع قبل أن يجفّ في فصل الصيف.

«أنصتوا إلى نقيق الضفادع،» قالت جوسلين. فأنصتنا لنكتشف أن وراء جلبة نباح الكلاب الآتية من الوجار، هناك كورس من الضفادع يحاول أن يكون مسموعًا.

قامت جوسلين بتقديم غريغ إلينا. وكان قد حمل معه المجموعة الكاملة لروايات أوستن في إصدار جديد من دار النشر *غرامرسي*، وهذا ما أوحى إلينا بأن ميله إلى أوستن لم يكن سوى نزوة مستجدّة. كيف

(1) الشاي المخمّر تحت أشعة الشمس. (المترجمة).

نتقبّل مشاركًا في المنتدى يحمل كتابًا لأوستن ابتاعه حديثًا؟ كيف نتقبّله وقد حمل معه مجموع رواياتها، فيما كان النقاش سيدور حول *إيّما* فحسب؟ لا بدّ أن إحدانا سوف توقفه عند حدّه ما إن يفتح فمه للتكلّم مهما كان فحوى ذلك الكلام.

ولكنها لن تكون برناديت طبعًا. فعلى الرغم من أن برناديت كانت أولى المعترضات على انضمام رجل إلى حلقتنا، فإننا نعلم مقدار طيبتها، ولم يفاجئنا أسلوبها اللّطيف الذي جعل غريغ يشعر بأنه مرحَّبٌ به. «من الجميل جدًّا أن نرى رجلًا يهتمّ بأدب أوستن»، قالت له. وأضافت: «يسعدنا الاطلاع على وجهة النظر الذكورية حول بعض الأمور؛ ووجودك بيننا يفرحنا». لم تكن برناديت لتكتفي أبدًا بالتعبير عن أمر معيّن مرّة واحدة، إن كان في الإمكان إعادته ثلاث مرّات. وهذا ما كان يزعجنا حينًا ويريحنا أحيانًا. ولدى وصولها، لاحظنا وجود ورقة من الشجر على رأسها حتّى بدت وكأن وطواطًا كان يقف وراء أذنها، غير أن جوسلين لم تتأخّر عن نزعها حالما اقتربت لتسلّم عليها.

حرصت جوسلين على أن يكون المكان دافئًا، فأشعلت مدفأتين صغيرتين قبل وصولنا، فكانتا تشتعلان بهدوء، وتضفيان على جو الغرفة دفئًا مريحًا. كان بلاط الأرض من طراز إسباني يتماشى بلونه القرميدي مع لون البسط الهندية المفروشة فوقه؛ اختيار مناسب لتورية وبر بعض أنواع الكلاب عن الأنظار. أما القناديل فكانت كروية ومصنوعة من البورسلين وذات طابع شرقي تشبه الجِرار التي تحفظ فيها أقراص حلوى الزنجبيل في أيام الأعياد. أما زجاج المصابيح الذي يكون مكسوًّا بالغبار في كثير من الأحيان، فهو نظيف وبرّاق لأننا في منزل جوسلين تحديدًا. لم تكن القناديل مضاءة بعد، لأنها كانت مجهَّزة لكي تُضاء كلّها معًا تلقائيًا ودفعة واحدة لحظة وقوع الظلام. ربّما سيشرق النور علينا في تلك الشرفة في اللحظة التي سيتفوّه فيها أحدنا بفكرة لامعة.

وعلى الجدار الوحيد في تلك الشرفة، كانت هناك صورٌ تظهر كلابًا نجحت في المسابقات، وتنتمي إلى سلالة الكلاب الأصيلة التي تربّيها جوسلين. والصور محاطة بشهادات النسب وأوشحة التقدير. يُنسب هذا النوع المتميّز من الكلاب إلى سلالة الأم؛ ومن هنا فإن نظامها الأمومي هو إحدى ميزاتها الجميلة والعديدة. يكفي أن ترى جوسلين في موقع القرار لتتوقّع النضوج والتقدّم الحضاري.

ها هي كويني، ملكة الكلاب القادمة من سيرينجتي في تنزانيا ترمقنا من أعلى بعيني أرنب موتور وحاجبين معبِّرَين. من الصعب التعرّف إلى شخصية الكلب عبر صورته الفوتوغرافية. فالكلاب تعاني من ذلك النوع من التسطيح لتعابيرها أكثر من الناس، وحتى أكثر من القطط. من جهة الطيور، فالصورة لا تختزل جمالها لأن تعبير روحها لا يظهر إلى العيان. وغالبًا ما لا يكون الطير موضوع الصورة بل الشجرة التي يقف على غصنها. أما هذه الصورة التي تمثّل كويني فهي ناجحة بالفعل وهي من تصوير جوسلين نفسها.

وتحت صورة كويني كانت ابنتها التي أطلقت عليها جوسلين اسم «شروق الشمس على الصحارى»، تجلس في جوار أقدامنا وفي صورتها الحيّة، أي بلحمها ودمها. كانت الكلبة قد ارتاحت لتوّها في هذا المكان بعد نصف ساعة أمضتها متنقّلةً بيننا، تنفث في وجه كل منا أنفاسها الحارة والرطبة وتترك على ثيابنا بعضًا من وبرها. إنها الكلبة المفضلة لدى جوسلين والوحيدة التي يُسمح لها بالمكوث داخل البيت. غير أنها غير ذات قيمة مادية لأنها أصيبت بمرض أوجب إخصاءها. أما جوسلين فتأسف لحرمان «صحارى» من الذرية نظرًا لكونها أشدّ الكلاب تحبّبًا ودماثة طباع.

وكانت جوسلين قد أنفقت حديثًا أكثر من ألفي دولار على علاج «صحارى» في المستشفى البيطري. أفرحنا سماع هذا الخبر الذي

يناقض بعض ما يُقال عن أن تربية الكلاب قد تجعل المربّي مبالغًا بالتدقيق في حسابات الربح والخسارة على حساب العاطفة والرحمة. ما زالت جوسلين تطمح إلى إدخال «صحارى» في المسابقات على الرغم من وضعها، وعلى الرغم من أن ذلك لن يعود عليها بالفائدة كثيرًا. ولكن، لو نجحت «صحارى» في استعادة مشيتها الطبيعية الخاصة بنوع *الريدجباك*، لاستطاعت المشاركة حتى ولو لم تكن قادرة على إحراز الربح. (بعد كلّ خسارة، كانت «صحارى» تغرق في تأمل حزين، وكأنها تسلّم بالأمر الواقع وتقول بنفسها: ربّما هناك من كان على علاقة جنسية بالحَكَم المسؤول عن المسابقة، ولا سبيل بالتالي إلى تغيير النتائج). أما خانتها في المسابقة فتقع تحت عنوان «كلبة خضعت إلى تغيير في جهازها التناسلي».

علا صوت النباح في الخارج إلى درجة هستيرية. فقامت «صحارى» ومشت بتثاقل نحو باب الشرفة وخطّ الشعر الذي يعلو ظهرها ويميّز نوعها، تصلب وانتصب كشعر فرشاة.

«لمَ لا نرى السيّد نايتلي أكثر جاذبيةً؟»، قالت جوسلين مفتتحةً بسؤالها النقاش حول كتاب أوستن. وتابعت: «يتمتّع نايتلي بميزات عدة. لا أرى سببًا كي لا أحبّه».

لم نتمكّن من سماع ما قالته جوسلين من المرّة الأولى. وربّما كان من الأفضل ووسط هذا النوع من الضجيج مناقشة كتابات جاك لندن[1].

أكثر ما عرفناه عن جوسلين بلغنا عن طريق سيلفيا. كانت الصغيرتان

---

(1) Jack London : اشتهر في بدايات القرن العشرين بكتاباته التي تخلّلتها نزعة إلى الخيال العلمي، ومن بينها رواية «نداء البراري» التي تدور حول ازدياد الطلب على كلاب الجرّ في شمال كندا المتجلّد إبان احتدام عمليات التفتيش عن الذهب في تلك المنطقة. (المترجمة).

جوسلين وسيلفيا في الحادية عشرة عندما التقتا للمرّة الأولى في مخيّم كشفي. أمضت الاثنتان شهرًا كاملًا في كوخ خشبي مع فرقة الفتيات الكشفية *شيبيوا* (Chippewa)، وكانتا تعملان معًا من أجل إحراز شارات التميّز الكشفي المطلوبة. فكان عليهما إضرام النار في كومة من الحطب والطبخ عليها، ثم تناول الطعام الذي قامتا بطبخه وتنظيف صحنيهما بعد ذلك. وكان عليهما التعرّف إلى بعض أنواع الطيور، وأوراق الشجر، وعلى الفطر السامّ. كما لو كانت أيًّا منهما سترغب أبدًا في أكل الفطر سامًّا كان أو غير سامّ.

وأخيرًا، وقبيل إحراز الشارة الجديدة، اصطحبت إدارة الفرقة الفتيات في مجموعات من أربع إلى مكان يبعد مسافة عشر دقائق عن الكوخ، وطلبت منهن العودة بمفردهن إلى الكوخ بعد تزويدهن ببوصلة، إضافةً إلى معلومة تسهل عليهن المهمّة وهي: إن قاعة الأكل في المخيّم تقع إلى جنوب غربي ذلك المكان.

«دام المخيّم أربعة أسابيع، وكان والدا جوسلين يأتيان كل أيام الآحاد لزيارتها من المدينة - قاطعين مسافة ثلاث ساعات ونصف في السيارة - لمجرّد أن يحملا إليها المجلة الكاريكاتورية الفكاهية التي تصدر كلّ يوم أحد. وكان ذلك حتى بالنسبة إلينا نحن الفتيات الصغيرات صعب التصديق. كلنا كنّا نحبّ جوسلين كثيرًا، غير أن جوسلين كانت تجهل معظم الجوانب السلبية للأمور، وكنّا نحبّ براءتها»، قالت سيلفيا.

أحبّ والدا جوسلين ابنتهما كثيرًا إلى درجة أنهما لم يتحمّلا رؤيتها غير سعيدة، وكانا يحرصان على عدم إخبارها بأي قصّة غير مفرحة. كانت تجهل أمر النازيين كليًّا، وتجهل أن هناك وجودًا لمادّة DDT القاتلة. وكانا قد امتنعا عن إرسالها إلى المدرسة إبّان أزمة الصواريخ مع كوبا لكي لا تكتشف أن للأميركيين أعداء.

«ولذلك شعرنا نحن فتيات *الشيبيوا* بأن علينا واجب تنبيه جوسلين إلى وجود الشيوعيين، وإلى وجود المهووسين جنسيًّا الذين يتحرّشون بالأطفال، وإعلامها بشأن المجزرة التي قام بها هتلر بحق اليهود، وبوجود هؤلاء الذين يرتكبون جرائم القتل المتسلسلة، وبشأن العادة الشهرية، والمجانين الفارّين ذوي الأيدي الفولاذية المعقوفة كالكلّابات، وبوجود القنبلة الذرية، وحول ما أصاب قبيلة *شيبيوا* الهندية التي نحمل اسمها»، قالت سيلفيا.

ثم تابعت: «لم تكن أخبارنا دقيقة بالطبع، غير أن ذلك الخليط من المعلومات المضلِّلة كان أكثر واقعية مما كانت تتلقّفه في البيت. وكانت جوسلين تصدّق كل ما نقول لها؛ وكنا نستمتع بردّ فعلها».

أما أسوأ ما في ذلك كلّه فهبط علينا في طريق عودتنا إلى المخيّم بمفردنا، إذ سيطر وهمٌ مخيف على جوسلين يقول لها إنه فيما كنا نستكشف الطريق ونتتبّع البوصلة، كان كلٍ من في المخيّم يشدّ رحاله ويغادر. وإننا سنصل ونجد المخيّم فارغًا سوى من القدد الخشب المحطمة ومن الرّماد، ومن خيوط العنكبوت التي تسكن الزوايا، فكأنه ودّع آخر سكّانه منذ مئة عام. فبدا لنا حينئذٍ أننا ربّما بالغنا في الحكايات التي تتكلّم على مصّاصي الدماء وأماكن وجودهم».

«أما الجزء الأكثر غرابة في هذه القصة فكان ينتظر جوسلين في طريق عودتها مع والديها إلى البيت. فقد أخبراها أنهما قد انفصلا خلال ذلك الصيف، وكان ذلك هو السبب في إرسالها إلى المخيّم لمدة شهر. وعلى الرغم من النفور الذي يسود العلاقة بينهما كانا يأتيان معًا كل يوم أحد لزيارتها. كان والدها قد ترك البيت الزوجي وانتقل إلى فندق في سان فرنسيسكو منذ ذهبت جوسلين إلى المخيّم. «أتناول جميع وجباتي في مطعم الفندقK، قال لها. 'في كل صباح، أنزل ببساطة لتناول الفطور وأطلب كل ما يحلو لي'. كان يتكلّم، بحسب جوسلين، وكأن لذّة الطعام

في الفندق كانت السبب الرئيسي الذي دفعه إلى مغادرة البيت. فأحسّت وكأنه باعها لقاء بضعة أطباق من البيض المقلي».

وفي ذات يوم، وبعد مضي عدّة أعوام، اتصل بها ليعلمها أنه مصاب بنزلة برد خفيفة، وليس هناك ما قد يستحق انزعاجها وقلقها أبدًا. وبما أنه كان قد ابتاع بطاقتين لهما لحضور مباريات البايسبول في ذلك اليوم، قال إنه قد لا يتمكّن من الذهاب، وسيؤجل ذلك إلى موعد قريب آخر. وإذا بنزلة البرد الخفيفة تكون في الواقع أزمة قلبية. وقد توفي في ذلك اليوم بالذات وقبل وصوله إلى المستشفى.

«لا عجب أن نراها الآن مصرّة دومًا على الامساك بزمام الأمور»، تقول سيلفيا. وبعد المخيّم، نمت الصداقة بين جوسلين وسيلفيا على قاعدة صلبة من المحبّة، وما زالت مستمرّة منذ أربعين سنة حتى اليوم».

«لست أرى في السيد نايتلي أي جاذبية تذكر»، قالت آليغرا التي تتمتّع بوجه معبّر جدًّا يذكّرك بوجه الممثلة ليليان غيش (Lillian Gish) في الأفلام الصامتة. فتراها تعقد حاجبيها كلّما أرادت التعبير عن فكرة معيّنة؛ هكذا عرفناها منذ كانت طفلة. وتابعت آليغرا: «جين فيرفاكس تقابل فرانك تشرشل في السرّ. إنهما يتشاجران ثم يرتّبان الأمور بينهما ويكذبا على كل من يعرفهما. تحملك مثل هذه الحماقات على الاعتقاد بأنهما متحابّان. وربّما تتخيّل أيضًا أن علاقة جنسية تربطهما. ولكن لا يمكنكم أن تتخيلوا ذلك لو تعلّق الأمر بالسيد نايتلي». تتكلّم آليغرا بصوت منخفض وذي نغم يتغلغل إلى ذهنك من حيث لا تدري. عادة ما تكون قليلة الصبر معنا، ولكن تموّجات صوتها تشعرنا بالارتياح الذي لا نلاحظه سوى بعد انتهائها من الكلام.

«هذا صحيح»، قالت برناديت مؤيّدة. وبدت عيناها من وراء نظارتيها مستديرتين مثل حصًى من البلّور. وأضافت: «غالبًا ما تتكلّم إيمّا في

الكتاب على طبع جين المتحفّظ، وحتى السيد نايتلي المدرك لحقيقة الشخصيّات المحيطة به يوافقها الرأي. ولكن جين هي الشخصية الوحيدة في القصة التي تبدو غارقة في الحبّ». لم تنجح الأنوار التي ملأت أجواء الشرفة، وفاجأت برناديت قليلًا، في التأثير عليها، بل استرسلت قائلة: «ترى أوستن أن إيمّا والسيد نايتلي يصلحان لزواج 'غير استثنائي'». وبعد أن صمتت لحظة لتفكّر، تابعت: «إنها توافق على هذا الزواج من غير شكّ، وأتوقّع أن وصفه بأنه «زواج غير استثنائي» كان يعني في أيام أوستن أنه لا يدعو للخجل، ولا لعلك الألسن. أيّ إنه لا يحمل الزوجين إلى سماء العلى، كما لا يسقطهم إلى الحضيض».

جذب بياض الضوء في الشرفة أنواعًا من الحشرات الطائرة الكبيرة التي هرعت مسعورة إلى مصدر الضوء، ولكنها اصطدمت بالشريط الواقي وسقطت محدثة أصواتًا مكتومة كان بعضها كافيًا ليعكّر صفاء «صحارى» فهدرت مدمدمة.

«الشغف الحيواني غائبٌ»، قالت آليغرا.

أدارت الكلبة رأسها وكأنها تضيف: «تتحدثين عن الشغف الحيواني! لقد شاهدت في المَرْبى ما تقشعرّ له الأبدان».

قالت برودي: «ليس هناك أي شغف قطّ». استخدمت برودي، وهي معلمّة الفرنسية، الكلمة عينها وإنما بالفرنسية. لم يكن أسلوب برودي في التعبير مرفوضًا لدينا كلّيًا. من دون أن يعني أننا نؤيّده.

وكانت برودي قد زارت أخصائية التجميل في الشهر الماضي وطلبت منها نتف بعض شعر حاجبيها؛ ولكن الاخصائية بالغت في مهمتّها وتركت على وجه برودي تعبيرًا مستديمًا بالمفاجأة. ووجدتنا ننتظر بفارغ الصبر أن ينبت ذلك الشعر ثانية لكي يذهب عن وجه صديقتنا ذلك التعبير.

ثم أضافت برودي بالفرنسية: « *Sans passion, l'amour n'est rien* » ومعنى الجملة أنه من دون الشغف، لا قيمة للحب.

وإذا ببرناديت تقول: « *Après moi le déluge* » وهي جملة مشهورة تنسب إلى الملك الفرنسي لويس الخامس عشر. لم يكن لتلك الجملة التي تقول: «من بعدي الطوفان» مكانًا في حديثنا، ولكن برناديت أرادت ببساطة أن تمنع وقوع لحظات صمت بعد كلام برودي قد يؤدّي إلى شيء من الفتور. حقًّا كم كانت برناديت طيّبة أحيانًا!

لا شيء يستدعي الحذر في الخارج. ابتعدت «صحارى» عن باب الشرفة وانحنت فوق حضن جوسلين وتنهّدت. ثم استدارت بيننا ثلاث مرات قبل أن تسترخي أرضًا ملقية ذقنها على مقدّمة حذاء جوسلين الطري. كانت مسترخية وإنما متنبّهة. ما من شيء يصل إلى جوسلين من غير أن يمرّ على «صحارى» أولًا.

تنحنح غريغ ورفع يده قائلًا: «لو تسمحن لي بهذه الملاحظة. لاحظت في *إيما* أن القصّة محفوفة بأمور تهدّد طمأنينة الناس». وراح يعدّ على أصابعه، حيث لاحظنا عدم وجود خاتم زواج، متابعًا: «الغجريات العنيفات، والسرقات الغامضة، والحادث الذي تعرّض له قارب جين فيرفاكس، والهموم التي تسيطر على السيد وودهاوس.. يشعر قارئ القصّة بوجود أمور غامضة تهدّد استقرار الحياة».

«ولكن أوستن هدفت إلى التوضيح بأن لا شيء من ذلك كان حقيقيًا. لم يكن هناك أي تهديد حقيقي»، أجابت برودي بسرعة وبصرامة.

قالت آليغرا: «لعلّك لم تفهم قصد أوستن كليّا».

لم يضف غريغ أيّ كلمة. بل خفض جفنيه حتى لامسا أعلى خدّيه، ولم يتمكّن أحد من قراءة تعابير وجهه في تلك اللحظة. ومن موقعها كمضيفة، كان على جوسلين التدخّل لإنقاذ الموقف وتغيير الموضوع. فقالت:

«قرأت مرّة أن الحبكة التي تدور حولها قصّة *إيما*، والتي تعالج فكرة إذلال الفتاة الجميلة التي تنعم بالاكتفاء الذاتي، هي الحبكة الأكثر انتشارًا في جميع الأزمنة. وإن الروايات التي تقوم على مثل هذه الحبكة تلاقي رواجًا واسعًا. وأظن أنّه قول للكاتب روبرتسون دايفس».

تعرّفت جوسلين عندما كانت في الخامسة عشرة، وفيما كانت تتدرّب على رياضة كرة المضرب (التنس) في النادي الريفي في منطقة سكنها إلى شابّين، أحدهما يدعى مايك والآخر ستيفن. كان مظهرهما عاديًا، وكان مايك أطول قامة من ستيفن وأكثر نحولًا، وكان لا بدّ من أن تلفت انتباهك جوزة حنجرته الناتئة ونظارتاه اللتان تتحولان تحت أشعة الشمس الساطعة إلى ما يشبه مصباحَي السيارة الأماميين. أما ستيفن فتميّز عن رفيقه بمنكبَيْن عريضين وابتسامة جذّابة، ولكنّه سمين حول منطقة الرّدفين.

كانت بولين، إبنة عمّ مايك، قد جاءت في زيارة من نيويورك. طلب الشابّان من جوسلين الانضمام إليهما في لعبة التنس لكي يكتمل عدد اللاعبين ويصبح مع بولين أربعة. وكانت جوسلين قد اجتهدت جدًا في ذلك الصيف من أجل تحسين أدائها خصوصًا في الضربة الأولى الاستهلالية، واستعانت من أجل ذلك بمدرّب محترف. كانت تعقص شعرها عند أعلى رأسها وتترك خصلة قصيرة فوق جبينها فتبدو مثل شخصية ساندرا دي في فيلم *Take her, she is mine* (خذها، إنها حبيبتي). أما مظهر ثدييها الناتئين عادة، فقد تحوّل إلى مستدير بفضل القطعة العليا من ثوب السباحة ذي القطعتين الذي كانت والدتها قد ابتاعته لها حديثًا، والذي يعطي الثدي شكلًا مكوّرًا يعجب جوسلين. ومع ذلك، فإن أفضل صفاتها بحسب اعتقادها كانت المهارة التي اكتسبتها في إرسال الطابة الأولى. كانت تتحرّك على الملعب بليونة تامّة وترد الطابة بدقة وحرفية عالية، حتى شعرت وكأنها تطير من فرط الثقة والسعادة.

لم يرغب أي من الشابَين تعكير مسار المباريات الودّية بالمنافسة الجدّية، ولم يهتم أيّ اللاعبين بتسجيل النقاط، سوى أن جوسلين كانت تفعل ذلك وإنمّا في سرّها. وغالبًا ما كان يجري التبادل بين أعضاء الفريقين. أما بولين فكانت تدّعي المهارة في اللّعب، وتحاسب على أتفه الأخطاء؛ الأمر الذي جعل جوسلين بالمقارنة تبدو أفضل منها من جوانب عدة.

قال مايك إن التعاطي مع جوسلين مسلّ ومريح، وأيّده ستيفن بأنها ليست متكبّرة مثل معظم الفتيات.

استمرّ الثلاثة في التلاقي واللّعب حتى بعد رحيل بولين. ومن أجل التعويض عن غياب اللاعب الرابع كان أحد الشابين يحاول أن يلعب أحيانًا من جهتي الشبكة في آن معًا، فيركض من جهة إلى أخرى من غير أن يأتي ذلك بنتيجة مفيدة طبعًا. وكان من الممكن أن يصوّب إليهم أحد البالغين الاتهام بأنهم غير جدّيين ويطلب منهم الكفّ عن إشغال الملعب.

بعد التنس كان الثلاثة يبدّلون ثيابهم ويلتقون في بركة السباحة. غير أن معالم شخصية جوسلين كانت تتغيّر بكليّتها عندما تخرج من غرف ملابس السيدات في ملابس السباحة. كانت تبدو متشنّجة وخجولة ولا تتخلّى عن المنشفة التي تحتفظ به حول خصرها حتى تصل إلى البركة وتغطس في الماء.

مع ذلك كانت تجد لذةً عارمة في نظراتهما إليها. وكانا يتبعانها في الماء ويقتربان منها كثيرًا ليلمسا جسدها تحت سطح الماء حيث لا عين ترى؛ ثم يسبح أحدهما إلى تحتها ويضع رأسه بين ساقيها، ثم يعلو إلى السطح وركبتا جوسلين معقودتان حول رأسه، والماء تنسكب من شعرها المعقوص كذيل حصان مباشرة في كأس حمالة صدرها. وفي

أحد الأيام، تجرّأ أحد الصبيّين، ولم تعرف من منهما، على فكّ العقدة التي تربط حمالة صدرها من الوراء. غير أنها، ولحسن الحظ استطاعت أن تتدارك الأمر وتمسك بها قبل أن تسقط كليًا. كان بإمكانها أن تضع حدًّا لكل ذلك بكلمة واحدة، ولكنها لم تفعل، ولم تأبه، بل راقبت وأحسّت بأن كل ما في جسدها يتيقّظ فجأةً، وعرفت بأنها باتت وقحة وخطيرة.

ولم تكن ترغب في أي شيء آخر. لم تكن معجبة بمايك أو بستيفن إلى حدّ كبير وليس من هذا المنطلق بالتأكيد. وعندما تتمدّد في سريرها أو في المغطس للاستحمام، وتلمس جسدها بحركة أشدّ حميمية ودقّة، فإنها لا تتخيّل سوى براين وهو أخ مايك الأكبر. وبراين طالب جامعي يعمل خلال العطلات الصيفية كسبّاح مشرف على سلامة السابحين في النادي، ويتمتّع بمظهر ذكوري قوي مثل معظم السبّاحين. أما مايك وستيفن فيناديانه بلقب «الريّس»، وهو يدعوهما «الأولاد». ولكنه لم يتكلّم إلى جوسلين قطّ وربّما كان يجهل اسمها. وكانت له صديقة تقضي أوقاتها مستلقية على الكرسي العريض تقرأ روايات روسيّة وتشرب الكوكاكولا. وكان بإمكان الناظر إليها معرفة عدد أكواب الكوكاكولا التي شربتها بمجرّد النظر إلى عدد حبات الكرز المجفّف الذي تزيّن به الأكواب المرصوفة على الطاولة إلى جانبها فوق المنديل الورقي.

كانت ستقام في أواخر شهر يوليو من ذلك الصيف حفلة في النادي، ومن شروطها أن تدعو الفتيات من تردن أن يرافقهنّ من الشباب. دعت جوسلين مايك وستيفن إلى الحفلة لأنها قصدت ألا تجرح مشاعر أيٍّ منهما بدعوته من دون الآخر. وتوقّعت أن يكون كلاهما على معرفة بذلك لأنهما صديقان ويقضيان معظم أوقاتهما معًا. وكان لدى جوسلين فستانٌ صيفيٌّ مناسبٌ وإنّما عاري الكتفين، فاصطحبتها أمها إلى السوق لشراء حمّالة صدر تناسب الفستان.

وصل مايك إلى منزل جوسلين أولَ، وكان يرتدي سترةً رياضية فوق قميص أنيق أبيض. بدا مايك متوتّرًا وكذلك جوسلين، وكان من المتوقع أن يزول التوتر ما إن يحضر ستيفن. ولكن فوجئ مايك بوصول صديقه، وظهر عليه الإحراج والغضب، فاندفع للتوّ يقول: «أرجو أن تستمتعا معًا بالحفلة؛ أما أنا فلدي اهتمامات أخرى في هذا الوقت». وانطلق عائدًا من حيث أتى.

اصطحبت والدة جوسلين في السيارة ابنتها وستيفن إلى النادي على أن تعود لتأخذهما بعد انقضاء ثلاث ساعات، أي عند الحادية عشرة من ذلك المساء. كان المدخل مضاء بقناديل زجاجية انتشر ضوؤها على العشب الأخضر الذي بدا لامعًا وبدت الأزهار المختلفة، وشتول الورد المحيطة به، والنباتات الأخرى المتسلّقة فوق أسلاك معدنية صمّمت على أشكال الحيوانات متألقة كلّها كما لم ترها عينا جوسلين من قبل. وكان النسيم منعشًا ورقيقًا والقمر يراقب بصمت من ارتفاع خفيض. لم تكن جوسلين مرتاحة لما حدث. ولم تقصد أن تكون مع ستيفن حصريًا لأنها ترفض أن يبدو وكأنه حبيبها. كان مزاجها معكّرًا فلم تتكلّم إلا لمامًا، ورفضت تلبية دعوته إلى الرقص. وأصرّت على عدم خلع السترة التي كانت قد ارتدتها فوق فستانها. لم تكن ترغب بأن يبني ستيفن فكرة غير دقيقة عن طبيعة علاقاتهما، فاستمرّت بموقفها المشاكس وبتصرفاتها غير اللائقة. غير أن ستيفن وبعد أن تعب من المحاولة، دعا فتاة أخرى إلى الرّقص معه.

مشت جوسلين إلى محيط بركة السباحة وجلست على أحد المقاعد العريضة المحيطة بها. كانت تعي أنها أساءت التصرّف مع ستيفن، وإلى درجة كبيرة، وتمنّت لو لم تكن قد تعرّفت إليه قطّ. كانت رائحة الكلور تصل إليها ممزوجة بعطرها الخاص؛ لم تلبس جواربَ في تلك الليلة فأحست بساقيها باردتين.

كانت أنغام الموسيقى تتمايل فوق صفحة المياه بأغانٍ رومنطيقية معروفة وتحبّها جوسلين. وإذا ببراين، أخ مايك، يأتي ويجلس على طرف المقعد عينه. أحسّت جوسلين بحرارة تجتاح شرايينها؛ وتساءلت: «هل كانت تحبّه»؟

«هذه أنتِ التي...؟»، بادرها. وكان الضوء الوحيد حولهما يأتي من تحت سطح المياه وكان أزرق. لم ترَ وجهه لأنه ظلّ ملتفتًا إلى الجهة المعاكسة، ولكنها لاحظت في صوته نبرة تحقير وازدراء. «هنالك كلمة تطلق على الفتيات مثلك»، قال لها.

لم تكن جوسلين على معرفة بتلك الكلمة؛ وحتى إنها لم تعرف عن وجود فتيات مثلها. ولكن، أيّما كانت تلك الكلمة، فإنه لم يذكرها.

«هل يسرّك أنك أشعلت النار بين الشابّين؟ أراك تستمتعين بذلك. بسببك أنت وحدك باتا عدوّين بعد أن كانا أعزّ صديقين»!

حرّكت كلماته إحساسها بالخجل. طيلة ذلك الصيف، كان يساورها شعور بأنها تسيء التصرّف في مكان معيّن من غير أن تعلم أين. كانت تستمتع بأسلوب تعاطيها مع الشابّين. والآن عرفت أن في تلك المتعة ذاتها يكمن الخطأ.

أمسك براين بإحدى رجليها وشدّ قبضته على كاحلها بقوّة تركت آثار كدمة ظهرت على جلدها في اليوم التالي. ووجدت للتوّ يده الأخرى طريقها إلى أعلى فخذها، فأزاح لباسها الداخلي قائلًا: «أنت من طلبت هذا الأمر؛ تعرفين ذلك». وأحسّت بظهر أظفاره الناعمة تنزلق فوق جلدها، ولكنها لم تطلب منه التوقّف. كانت تشعر بخجل شديد منعها من الإتيان بأي حركة. حتى وجد إصبعه الطريق إلى داخلها. فأزاح جسده حتى أصبح فوقها. ولاحظت أنه كان يستخدم كولونيا بعد الحلاقة تعرفها؛ إنها التي استخدمها والدها طيلة سنوات.

وجاء صوت صديقته من بعيد: «براين براين، تعال لنرقص على أغنية 'طرائق الحبّ الحقيقي *True Love Ways*'، إنها تلعب الآن»! أما جوسلين فباتت تكره اسم ذلك المغنّي، وهو 'بودي هوللي Buddy Holly، منذ تلك اللحظة، مع أن المسكين كان قد توفي منذ سنوات. وعاد صوت صديقته يصدح: «براين؟ براين!». أخرج براين إصبعه، وانتصب واقفًا، وشدّ سترته ورتّب شعره. ثمّ وضع ذلك الإصبع في فمه وأخرجه على مرأى من جوسلين. وابتعد وهو يقول: «سنتابع لاحقًا».

مشت جوسلين في الممر-الرطب، وبين المصابيح إلى الطريق لتعود إلى البيت. ولكن النادي كان يقع في الريف على رأس تلّة مرتفعة، والمسافة منه إلى البيت تستغرق عشرين دقيقة في السيارة. وكانت الدرب ملتوية ومحاطة بالأشجار وتفتقر لرصيف جانبي للمشاة.

كانت تنتعل حذاء صيفيًا ذا كعب عالٍ إلى حدّ ما؛ وقد صبغت أظافر قدميها بالطلاء، فبدت في ضوء القمر وكأنها مطلية بالدّم؛ والبقعة الحمراء التي تركتها يد براين منذ دقائق قليلة ما زالت ظاهرة على قدمها. شعرت بخوف شديد لأنها ومنذ عودتها من المخيّم، تعيش في عالم مليء بالشيوعيين، وبالمهووسين جنسيًا، وبمقترفي الجرائم المتسلسلة. فكانت كلّما سمعت صوت سيارة قادمة، تهرع إلى جانب الطريق وتتكوّم على نفسها لكي لا يلاحظها أحد. تخيّلت أنّها كائن بريء من كلّ ذنب وأنّ مصابيح السيارات أنوار كاشفة تطاردها. وتخيّلت تارةً أنها غزال نحيل، أو هندي مسكين من قبيلة شيبيوا؛ وتارةً أخرى أنها تسير مثل الهنود الحمر الأميركيين، سكّان البلاد الأصليين، الذين هجّروا من أرضهم غرب الميسيسيبي وساروا في ما بات يعرف بـ«طريق الدموع». روت سيلفيا تلك الحادثة التي عاشتها جوسلين بكل دقائقها الحيّة، سوى القليل الذي ربّما فاتها نتيجة السهو أو الخطأ.

توقّعت جوسلين أنها ستتمكّن من الوصول إلى البيت قبل أن تغادره

أمّها مجدّدًا لاصطحابها مع ستيفن في طريق العودة بعد انتهاء الحفلة. وظنّت أن كل ما كان مطلوبًا منها هو أن تسير نزولًا إلى أسفل المنحدر. ولكنها اكتشفت فجأةً، وعلى ضوء إحدى السيارات، أنها كانت تسير على طريق لا تعرفها. أين هو تقاطع الطرقات عند أسفل المنحدر؟ لا بدّ أنها أضاعت الدرب، إذ إن الطريق التي كانت تسير عليها في تلك اللحظة تذهب صعودًا! كان المكان خاليًا من المنازل، وكذلك من أي لوحات تظهر الاتجاه أو اسم المنطقة. ولكنها استمرّت في السير إلى الأمام رافضة بكبرياء أن تعود أدراجها. إلى أن صادفت، وبعد مرور ساعات من السير العقيم، محطة وقود مقفلة وهاتف عمومي شغّال. طلبت الرقم وهي شبه متأكّدة بأنها لن تلقى جوابًا؛ وأن أمها كانت تفتش عنها في ذلك الوقت وتكاد تفقد صوابها. وساورها أيضًا ذلك التصوّر المرعب بأن أمها وضّبت جميع أغراضها بعد أن أخذتها إلى الحفلة وانتقلت لتعيش في مكان آخر.

كانت الساعة تقارب منتصف الليل، عندما أجابت الأم على اتصال ابنتها باللّوم والعتاب الحادّ بسبب قلقها الشديد. ولكن جوسلين اجتهدت في إقناعها بأنها كانت قد خرجت لكي تتنشّق هواء صافيًا وتتنزّه تحت ضوء القمر.

«ولكني أقول بأن ما يجدر بنا ملاحظته في روايات أوستن ليس غياب الشغف بقدر محاولة السيطرة عليه. إنه أحد أبرز المواضيع التي تميل جين إلى معالجتها»، قالت برودي وابتسمت.

وما إن انتهت برودي من الكلام حتى تبادلنا نظرات سرّية تخفي تعجبّنا؛ كم كان سهلًا على برودي لفظ اسم «جين». من الطبيعي أن أوستن لم تكن لترغب بمثل هذه الحميمية في الإشارة إليها. لم يسبق لأحد منا أن استخدم اسمها الأول في الإشارة إليها. مع أننا أكبر سنًّا من برودي، وتعرّفنا إلى أدب أوستن قبلها بسنوات طويلة.

وحدها برناديت الطيّبة لم تتنبّه إلى الأمر. «هذا صحيح للغاية»، أجابت هذه الأخيرة فيما كانت تشبك أصابع يديها معًا وتتسلى بتحريك الابهامين صعودًا ونزولًا. وتابعت: »كان هذا محور كتابها الأول *العقل والعاطفة Sense & Sensibility*، ثم تناولته مجدّدًا في كتابها الأخير *إقناع Persuasion*. إنه موضوع أساسي لدى أوستن». وأكّدت: «أصبت يا برودي. يعيش السيد نايتلي حالة حبّ عنيفة أعتقد بأن اوستن استخدمت هذا التعبير عينه 'حالة حب عنيفة' ولكنه رجل نبيل وراقٍ إلى درجة أنّ حتى مشاعره القوّية تلك لم تتمكّن من دفعه إلى التصرّف برعونة. إنه يمثّل أوّلًا ودائمًا شخصية الرجل النبيل. وتوجّهت إلى جوسلين قائلةً: «جوسلين، كم هو لذيذ هذا الشاي، أشعر وكأني أشرب من أشعّة الشمس عينها».

قالت آليغرا: «إنه متسلّط، ولا أعتقد أن التسلّط سلوك نبيل».

«إنه يبدو متسلطًا مع إيما فحسب»، أجاب غريغ. وكان يجلس رافعًا إحدى قدميه لتستريح فوق ركبة ساقه الأخرى. إنها طريقة في الجلوس لا يعتمدها سوى للرجال. وتابع غريغ: «أراه سلطويًّا مع المرأة التي يحبّها فحسب».

قالت برودي بنبرة مستنكرة: «وهل يبرّر الحبّ تصرّفه غير اللائق؟! هل يمكن للرجل أن يتعاطى بمطلق أسلوب مع المرأة التي يحبّ؟!».

تدخّلت سيلفيا هذه المرّة لتغيّر موضوع النقاش، وبدا وكأن جوسلين أوكلت إليها ذلك؛ فقد عرفنا ذلك من نظرة جوسلين إليها قبل شروعها بالكلام. فقالت سيلفيا: «تعالوا ننسى أمر نايتلي الآن. لعلّ الدفاع عن شخصية إيما صعبًا. يحبّها القارئ جدًّا ولكنها متعجرفة إلى درجة الصلافة».

ردّت جوسلين: «ولكنها البطلة الوحيدة في روايات أوستن التي يحمل الكتاب اسمها، من هنا أرى أنها البطلة المفضّلة لدى الكاتبة».

انبرى أحد كلاب المَرْبى ينبح في وتيرة منتظمة؛ وكان يتوقّف في استراحة تطول أحيانًا لتوهمنا أنّه لن يعود إلى النباح مجدّدًا. أما نباحه فبدا لنا مخادعًا وكأنه كان يدّعي كذبًا الضجر والكآبة. وكالبُلهاء جلسنا في مقاعدنا، متشبّثين بكتبنا، في انتظار هدنةً لا تأتي.

«أرى أن الضباب يعلو»، قالت آليغرا بنبرة راضية، وتعابير وجهها الجميل تؤيّد صوتها. كان القمر لا يزال مشعًّا فوق الضباب الذي كان يهدّد بأن يتكاثف ويحجب نوره. بدأت الريح تتسلّل إلينا من بين الحقول، وبين وصلة نباح وأخرى كنّا نسمع صوت قطار آتيًا من بعيد. وتابعت آليغرا معاتبة: «ألم أقل لك ذلك يا أمي؟ ألم أقل إن اللقاء في المدينة أفضل من اللقاء في الريف في مثل هذا الوقت من السنة؟ أرجو أن يحالفنا الحظ لنصل إلى بيوتنا الليلة. إذ لا شيء أخطر من القيادة على الطرقات الريفية وسط الضباب».

عندئذٍ وقف غريغ معلنًا: «أرى أنّه من الأفضل أن أغادر في الحال. لست متعوّدًا على القيادة في الضباب، ولا أثق كثيرًا بسيارتي».

وانتصبت برناديت واقفة أيضًا.

فقالت جوسلين: «لا، أرجوكم ألا تستعجلوا في الذهاب. يرتفع الضباب هنا لأن المنطقة خالية تقريبًا. ولكنّه لن يزعجكم في الطريق، خصوصًا وأن ضوء القمر ساطع جدًا. قمت بتحضير بعض المأكولات الخفيفة، أرجو منكم البقاء لتناولها على الأقلّ؛ سأحضرها على الفور. حتى إننا لم نقل شيئًا حول هارييت بعد».

انتقلت سيلفيا في السنة الأولى من المرحلة التكميلية إلى مدرسة جوسلين. لم تلتقِ الفتاتان قطّ بعد نهاية المخيّم. ولكنهما تبادلتا الرسائل لفترة وجيزة؛ الرسالة الأولى من الجهتين كانت طويلة؛ ثم جاءت الثانية قصيرة، وبعد ذلك توقّفت المراسلة. ولم يحدث ذلك التوقّف بسبب

تقصير إحدى الجهتين دون الأخرى. أما لقاؤهما مجدّدًا فكان مثيرًا لكلتيهما. وجدت الفتاتان نفسيهما فجأة في صفّ الانكليزية مع الأستاذ باركر، وعلى بعد بضعة مقاعد فحسب، تشتركان معًا في صعوبة فهم الأفكار التي يطرحها الكاتب النروجي إبسن Ibsen. غير أن سيلفيا أحسّت بارتياح كبير لوجود فتاة واحدة على الأقلّ تعرفها في المدرسة الجديدة.

وجاء دور جوسلين لتلعب دور العالمة والخبيرة هذه المرّة. هي التي تعرف الأمكنة التي يسمح فيها بالتدخين، وأي الطلاب قد تتسلّى سيلفيا بصحبتهم، وهؤلاء الذين عليها تحاشي صحبتهم لأنهم قد يعرّضون سمعتها للأذى، حتى ولو شعرت في سرّها بالميل إليهم. وبما أنه كان لجوسلين صديق يملك سيارة، أسرعت هذه الأخيرة في إيجاد صديق يناسب سيلفيا كي يتمكّن الأربعة من الذهاب معًا إلى دور السينما، أو إلى المراكز التجارية الكبرى، أو إلى الشاطئ للسباحة في عطلة نهاية الأسبوع إذا ما سمحت حرارة الجوّ بذلك. وعند خروج المجموعة، كانت الفتاتان تقضيان الوقت في تبادل الأحاديث، فيما يهتم الشابان طوني ودانيال بقيادة السيارة وتغطية مصاريف السينما.

كان طوني صديق سيلفيا سبّاحًا. وكان يقوم في مواسم السباقات بحلاقة كل شعر جسمه حتى يصبح جلده ناعمًا مثل جلد دمية بلاستيك. وكانت سيلفيا قد تعرّفت إليه خلال إحدى تلك المواسم ولم يعجبها ذلك الجانب فيه. ولكنه، وبعد مرور بضعة أسابيع على تعارفهما، راح شعر جسمه ينمو مجدّدًا وكان بني اللون وناعمًا، فأحبّت سيلفيا شكله بعد ذلك التغيير واعتبرته جذابًا.

أما دانيال صديق جوسلين فكان يعمل بعد انتهاء دوام المدرسة في محل لبيع الدراجات، وكان يتحمّل مسؤولية تقديم بعض العون المادّي لعائلته نظرًا لحالة أخيه الأصغر الذي ولد بإعاقة خلقية وهي متلازمة

داون (Down Syndrome). وكان أخ دانيال، وعلى الرغم من غرابة شكله، طيّب القلب وشديد العاطفة إلى درجة جعلت منه محور اهتمام بقية أفراد العائلة.

ومع أن جوسلين كانت قد أنهت عضويتها في النادي الريفي بعد تلك الليلة، جعلت المشاركة مع فريق كرة المضرب في السنة التكميلية الأولى في مقدّمة نشاطاتها. ولكن بما أن الفتاتين اللتين احتلّتا المركزين الأول والثاني في فريقها، احتلّتا المركزين السادس والحادي عشر على صعيد الولاية، لم تلقَ رياضة الفتيات اهتمامًا يذكر في المدرسة. بل درجت مباريات الفتيان على استقطاب جمهورٍ أوسع على الرغم من مستوى لعبهم المتدنّي مقارنة بمستوى لعب الفتيات. ولكن لا أحد، حتى ولا الفتيات أنفسهنّ، كان يلاحظ وجود هذا التناقض.

وفي ذات يوم، وفيما كانت جوسلين تلعب مع فريقها في مباراة أقيمت خارج المدرسة، لاحظت وجود طوني على أحد مقاعد المشاهدين. وكان الطقس غائمًا ومبشرًا بالمطر. توقّفت المباراة مرّةً، ثمّ بدأت ثانية لتتوقّف مرّة أخرى ونهائيّة. «جئت إلى هنا بسبب رداءة الطقس». قال لها طوني كاذبًا، وتابع: «لقد كلّفني دانيال باصطحابك إلى البيت بالسيارة إذا هطل المطر».

لم تمضِ عشر دقائق على انطلاقهما حتى هبط المطر بغزارة شديدة وتعسّرت الرؤية، فانحرف طوني بالسيارة إلى جانب الطريق وأوقف المحرّك ريثما يخف انهمار المطر. كانت جوسلين لا تزال مبلّلة بالعرق نتيجة اللّعب، فأدار زرّ التدفئة بذريعة أنه يخاف عليها من البرد. وإذا بالسيارة تمتلئ بخارًا وكأنها مرجل ماء يغلي فوق نار حامية، وسرعان ما تكثّف البخار على الزجاج البارد من جميع الجوانب، حتى أصبح من غير الممكن النظر إلى داخلها من الخارج. وطفق طوني يكتب بإصبعه على الزجاج كلمة «أحبك». كتبها وأعاد كتابتها عشرات المرات على

الزجاج الأمامي، وعلى زجاج باب السائق من غير أن ينطق بكلمة واحدة. كان المطر يقرقع فوق سطح السيارة وينهمر بغزارة فوق غطاء المحرّك. ولاحظت جوسلين أنّ اللون قد غاب فجأةً عن وجه طوني، وبدت عيناه واسعتين بشكل ملفت وغير طبيعي. وراح الصمت يتمدّد بثقل داخل السيارة، وسط الجلبة التي تعاظمت خارجها.

«أين سيلفيا؟ لمَ جئتَ وحدك؟»، قالت جوسلين، وما زال لديها أمل ضعيف بألا تكون تلك الكلمة على الزجاج موجّهة إليها.

«لا يهمّني أمر سيلفيا»، قال طوني، وتابع: «ولا أظن أنك تهتمين بدانيال».

أجابت جوسلين بسرعة: «بل دانيال يهمّني، وسيلفيا أعز صديقاتي».

قال: «لكن، أعلم أنك تحبينني».

صعقت جوسلين وشلّ لسانها عن الاجابة. لم تتذكّر أنها أوحت إلى طوني بهذا الأمر مطلقًا، حتى ولا مرّة واحدة.

كان عصف المطر مستمرًّا بلا مهادنة، والبخار فوق الزجاج يتحوّل إلى ستار كثيف. ومع ذلك، قرّر طوني الانطلاق مجدّدًا. شرع يتقدّم ببطء متلمسًا رؤية الطريق عبر ما سمحت به الأحرف المرسومة فوق الزجاج، والتي كادت تختفي تحت البخار المتكثّف باستمرار. ومع ذلك ضاعف طوني سرعة السيارة.

لم تكن جوسلين قادرة على رؤية الطريق؛ ولم تكن تشاهد سوى غزارة المطر المتدفّقة أمامهما وتصاحبها قرقعة الرعد التي تنشط وتتوعّد. فقالت له:

«أرجو أن تتوقّف عن القيادة إذا كنت غير قادرٍ على الرؤية».

فأجاب: «لا أتمكّن من المكوث إلى جانبك من غير تقبيلك؛ إن كنت تصرّين على عدم تقبيلي فسوف أتابع القيادة».

وضغط على دوّاسة الوقود فمالت السيارة وابتعدت بسرعة من جانب الطريق إلى وسطها. «هل رأيتِ؟ كان هناك جذع شجرة مكسور في عرض الطريق وكدنا نصطدم به»، قال طوني، وضغط مجدّدًا فتضاعفت سرعة السيارة.

كانت جوسلين تتمسّك بكلتي يديها بالباب وتعصر جسدها لتلتصق به محاولة الابتعاد قدر الامكان عن السائق. ولكن، هذه المرّة أيضًا، لم يسعفها القليل الذي ترتديه من الثياب إلى صدّ جنون الشهوة عنها. كانت تلبس الثياب الرياضية المناسبة للتنس. تنورة قصيرة جدًّا، وقميصًا قطنيًّا من غير أكمام وذات قصّة عريضة تظهر عري الكتفين. وتساءلت في أعماقها: لماذا يصادف دومًا أن تكون في ثياب غير ملائمة عندما تقع في مثل هذه المآزق؟ وراح طوني يدندن مطلع أغنية رومانسية معروفة. ولكنها اكتشفت عبر صوته المتوتّر، وعجزه عن متابعة اللّحن، أنه مشوّش جدًّا وشديد القلق. لم تشعر جوسلين بالرّعب نتيجة قرقعة الرعود أو سرعة السيارة بقدر ما أرعبها غناؤه في تلك اللحظة.

امتدّت يدها فجأة إلى زرّ الراديو وأدارته. ولكن لم تنجح الموسيقى الجميلة المنبعثة منه في جعل طوني يتوقّف عن الغناء. فاستمرّ في غنائه المضطرب، مثلما استمرّت الأمطار والرعود، ولهاث البخار في السيارة.

«*دي دي، دي دا لا دا، دي دا دي دي*». وضغط طوني مجدّدًا وبقوّة على دواسة الوقود، وتابع: «*دي دا دوم*».

«توقّف حالًا، وعُد بالسيارة إلى جانب الطريق»، قالت جوسلين، بنبرة صارمة عادة ما تستخدمها مع أخ دانيال عندما يكون ضروريًّا أن يطيعها.

أجاب طوني من غير أن يلتفت:

«تعرفين الثمن الذي أريده لقاء ذلك».

لا بدّ أنه كان قد رسم خطته بإحكام؛ فرائحة ملبّس النعناع تختلط بأنفاسه.

أحضرت جوسلين لكلّ منا كأسًا من الشوفان المسلوق وقالت ممازحة: «استمتعوا بهذه العصيدة اللذيذة». غير أننا لم نضحك لنكتتها قبل أن نتأكّد من أنه كان في انتظارنا في المطبخ قالب كاتو من نوع «كنتكي بوربون كايك»، ومربّعات من حلوى الليمون والنعناع، وكعك مطعّم باللوز. ومع أننا أطرينا على ميزات العصيدة بقولنا إنها لذيذة ومفيدة، وهي غير كثيفة ولا رقيقة؛ وغير حارّة ولا باردة، لم يأكل تلك العصيدة أحد سوى غريغ.

وكنا في تلك الساعة قد سامحنا غريغ على الشيء الذي حدا بنا إلى النفور منه، وفي الحقيقة، كنّا قد نسينا ذلك الشيء عمومًا. وقلنا له من منطلق تشجيعي: «لم تتكلّم كثيرًا، يجب أن تقول رأيك بقوّة وبصراحة!».

ولكنه عقد حاجبيه، وأسرع إلى ارتداء سترته قائلًا: «عليّ الانطلاق حالًا قبل اشتداد الضباب». وأخذ قطعتين من الكعك اللوزي معه ليأكلهما في الطريق.

بعد انصراف غريغ، التفتت إلينا برناديت بنظرة جدّية. وحتى إن خصلات شعرها المبعثرة والطائرة تحوّلت فجأة إلى مبعثرة وطائرة وإنما بجدّية.

«أتمنى أن يعود في المرّة القادمة»، وصمتت قليلًا ثم تابعت: «أرجو ألّا يشعر بأننا لا نريد وجوده. أعتقد بأنه يجب أن نكون أكثر لياقةً معه. ربّما كان يشعر بالإحراج لكونه الرجل الوحيد بيننا».

تظاهرت برودي بتناول ملعقة من عصيدة الشوفان، وقالت: «لا شك إني استمتعت بآرائه الجيّدة، ولكني أحبّ بعض الإثارة في النقاش. كل من يعرفني يعرف ذلك عنّي!».

عرفت جوسلين أن من واجبها أن تخبر دانيال وسيلفيا بما حدث لها مع طوني، ولكنّها شعرت بالخوف. لم يكن أمامها في تلك الساعة سوى خيارين؛ فإمّا أن تقبّل طوني مرارًا، أو أن تقضي في حادث سير مروّع بسبب الطقس العاصف والممطر، كما حدث لتلك الفتاة في فيلم «القبلة الأخيرة». ولكن كيف ستنجح في رواية ما حدث بأسلوب واضح، في حين أنها تكاد لا تصدّقه هي نفسها؟

بعد مرور يومين على الحادثة وعلى صمت جوسلين بشأنها، وفيما كانت تتحضّر للذهاب إلى المدرسة قرع جرس الباب. فتحت الأم الباب ثمّ نادت ابنتها بعد أن اكتشفت أن شخصًا مجهولًا كان قد وضع علبة برتقالية اللّون وفي داخلها جرو صغير عند حافة الباب. وكان الكلب يحمل حول عنقه شريطًا معقودًا ربطت به بطاقة كتب عليها «جوسلين حبيبتي». لم يكن صعبًا على جوسلين التعرّف إلى ذلك الخطّ، بعد أن شاهدت عشرات العيّنات منه منشورة على الزجاج المتعرّق داخل سيّارة كانت تنتظر تحت المطر.

سألت الأم: «من يتجرّأ على تقديم مثل هذه الهدية؟». ثم وهي تنظر إلى ابنتها، أضافت: «عهدي بدانيال أنه شاب مدرك. يفاجئني هذا الأمر ويقلقني!».

لم يكن مسموحًا لجوسلين بأن تقتني كلبًا، فالكلب بنظر أمّها مقدّمة لنهاية حزينة.

كان الكلب مزيجًا من نوعين مختلفين من الكلاب، أجعد الشعر وأبيضه؛ وقد بدا جزلًا برؤية جوسلين وأمها فوقف على قائمتيه الخلفيتين وترك قائمتيه الأماميتين تتأرجحان في الهواء. وما إن التقطته جوسلين حتى رفع رأسه إلى مستوى وجهها، وأدخل لسانه الدقيق في ثقب أنفها. وما هي إلّا ثوانٍ حتى وقعت في حبّه، وانعدمت احتمالات التخلّي عنه كليًّا.

التقى طوني وسيلفيا ودانيال وجوسلين في ذلك اليوم كعادتهم لتناول طعام الغداء على فسحة العشب الأخضر المحيطة بالمدرسة من الجهة الجنوبية. وبعد أن روَت جوسلين ما حدث في ذلك الصباح، لم يتوقّف طوني عن طرح السؤال عينه: «تُرى من قد يفكّر في إهدائك كلبًا؟». حتى بعد أن كان الجميع قد أهمل ذلك الموضوع وانتقل إلى أحاديث أخرى.

وقال دانيال: «ربّما تكون أمّك هي ذلك الشخص، مهما كان موقفها من تربية الكلاب. من يجرؤ على فعل ذلك غيرها؟ الاهتمام بالكلب مسؤولية كبرى».

التفت طوني إلى جوسلين وعلى وجهه ابتسامة ماكرة، وترك ركبته تلامس ساقها بطريقة عابثة. فتذكّرت ما أحست به عندما قبّلها. وكان كلما نظر إليها يطالعها بتلك الابتسامة الماكرة أو بنظرة طويلة تستجدي العطف. مرّ في بال جوسلين أنّه لا بدّ من أن يلاحظ الآخرون سلوك طوني الغريب، ولكن أحدًا منهم لم يفعل؛ وأحسّت بضرورة أن تتكلّم عمّا حدث، فمرور الوقت يزيد الأمر تعقيدًا.

فتحت سيلفيا علبة طعامها لتجد قطعتين من الخبز وما من شيء بينهما. وبدا لها أن أمّها تعبت من التفكير بأصناف جديدة تضعها في علبة طعام ابنتها يومًا بعد يوم، وبعد يوم، فتوقفت في ذلك اليوم كليًا عن التفكير ولم تضع أي شيء البتة سوى قطعتي الخبز. قدمت سيلفيا إلى جوسلين بيضة مسلوقة وقطعة من الحلوى، ولكن هذه الأخيرة اعتذرت عن أخذها.

وفي طريق عودته من العمل مساء ذلك النهار، مرّ دانيال ببيت جوسلين ليتعرّف إلى الكلب. «هيّا يا صغيري اللّطيف، تعال!»، قال وهو يمدّ للجرو يده لكي يحاول هذا الأخير عضّها. ولكن دانيال بدا متوتّرًا وكأنّه كان يتردّد في قول شيء ما. «كلّ ما في الأمر هو أنّ..»، قال ذلك،

ولكنّه توقّف عن المتابعة، واحتفظ بصمته. كانا يجلسان على طرفي الأريكة حتى يتمكّن الكلب الصغير من القفز والجري فوق القماش المطبّع بالورود بينهما. منعت المسافة بينهما دانيال من تقبيلها، ولكن جوسلين كانت قد قرّرت أنها لن تسمح له بذلك قبل أن تخبره بكل ما حدث.

«أرجو ألا يصعد الكلب إلى المقاعد»، نادت أم جوسلين من الطابق الثاني. كان احترامها الشديد لخصوصية ابنتها يمنعها من المشاركة في جلساتهما، ولكنها غالبًا ما أنصتت إلى محادثاتهما.

قال دانيال: «الأمر هو أنّ..»، وعاد وتردّد عن المتابعة، ولكن مزاج جوسلين لم يكن حاضرًا في تلك الساعة لتبادل الأسرار. وشرعت تخبره بأن الأستاذ باركر كان يريد التكلم إلى الصفّ على كتاب *عدوّ الشعب* *An Enemy of the People* للكاتب إبسن، ولكن التلامذة نجحوا في تحويل اهتمامه إلى البرنامج التلفزيوني الكوميدي للأخوين سموذرز Smothers Brothers. وأفاضت في وصف ما حدث في صفّ اللغة الإنكليزية في ذلك اليوم، ثمّ انتقلت للتحدث عن صفّ الرياضيات. استمرّت في الكلام من غير توقّف لمدّة عشرين دقيقة أو أكثر. ولكن لا يمكن لدانيال البقاء لوقت أطول، فلدى والدته أعباء كافية ولا يريدها أن تقلق بسبب تأخره عن موعد العشاء.

حلّ وقت النوم في مربى الكلاب أخيرًا. كنا لا نزال نسمع نباح كلب منفردٍ من حين إلى آخر ولكنه ينتهي قبل أن يجرّ وراءه نباح كلاب أخرى. هجعت الكلاب إلى مرابضها واستسلمت لأحلامها، فيما نحن النساء لا زلنا في قلب الضباب ننعم بالدفء على تلك الشرفة الأمامية المضيئة في بيت جوسلين وكأننا نسبح في فضاء فقاعة بيضاء. زحفت «صحارى» إلى قرب المدفأة وتمدّدت ملقيةً رأسها على قائمتيها الأماميتين؛ ومع حركة أنفاسها الناعسة كنا نرى خرزات ظهرها تتحرّك صعودًا ونزولًا

بوتيرة منتظمة؛ ونسمع عبر صمت الضباب موسيقى الساقية القريبة في انسيابها الهادئ تارة واندفاعها الصاخب تارة أخرى. ثمّ أحضرت جوسلين القهوة في فناجين رسمت عليها أزهار بنفسجية رقيقة.

وفيما كانت تمرّ بيننا وتتوقّف أمام كلّ منا مع إبريق الكريما الصغير، من غير أن تتوقّف أمام سيلفيا التي كانت تعرف ذوقها في القهوة مسبقًا، قالت: «أشعر بأن أوستن حاولت جاهدة إقناعنا بأن سلوك فرانك تشرشل لم يكن على تلك الدرجة من السوء التي يوحي بها. لو كانت شخصية تشرشل على درجة عالية من السوء، وتحاكي شخصية الشاب الوسيم والشرير التي تعوّدنا على وجودها لدى أوستن، لتسبّب سلوكه بخدش مشاعر كثيرين في الرواية، مثل جين فيرفاكس وأفراد عائلة وستن».

فقالت برناديت: «ليس تشرشل رجلًا شريفًا مثل نايتلي، كما أنه ليس منحطًّا مثل إيلتن». عندما هزّت برناديت رأسها انزلقت نظارتها بدرجة طفيفة لم نكن لنلاحظها لو لم ترفع يدها لتعيدها إلى مكانها. وتابعت: «إنه شخصية مركّبة، وأحبّ ذلك فيه. كان عليه أن يقابل السيدة وستن في الحال، ولم يقابلها. ولكنه يبقى حذرًا ويراعي مشاعرها عندما يفعل. كان عليه عدم حمل إيما على التفكّر والتشكيك في أمر جين وهو يعلم أن ذلك سيسبّب لها إحراجًا في وقت لاحق، ولكنه لم يستخدم هذا الأمر ضدّها. وليس من المقبول أن يغازل إيمّا بمثل ذلك الأسلوب، ولكنه يعلم أنها لا تتأثّر به. كان بحاجة إلى ذريعة، ويعلم أن إيمّا لن تسيء فهم ذلك».

«هذا بالضبط ما لم يكن بوسعه معرفته!»، قالت جوسلين بنبرة عالية. فتحرّكت «صحارى» من مكانها عندما سمعت النبرة الحادّة في صوت صاحبتها. واقتربت منها وهي تهزّ ذيلها متفحّصة. وتابعت جوسلين بأسلوب يبدي تراجعًا في سلّم انفعالها: «وهذا بالضبط ما يسيء معظم الناس فهمه».

قدّمت جوسلين السكّر إلى آليغرا، فهزّت هذه الأخيرة برأسها وهي تعقد حاجبيها، وتحرّك الملعقة التي بيدها، وقالت: «تظن هارييت بأن نايتلي يحبّها، على عكس إيمّا التي تعتقد بأن إيلتن لا يحبّها. الكتاب مليء بأشخاص يقعون في مثل هذه الأخطاء».

قالت برود: «إيلتن لا يحبّ إيمّا، بل يعشق المال والمراكز العالية».

«لا يغيّر ذلك في الأمر شيئًا». قالت جوسلين، وردّدت الجملة «لا يغير شيئًا» فيما كانت تعود لتأخذ مكانها على الأريكة.

وفكّرنا كم أن تربية الكلاب ملائمة ومفيدة لامرأة مثل جوسلين. هذه المرأة التي تهتمّ لخير الجميع، وتندفع بقوّة لتوفّق وتجمع بين من تراهما ملائمين ليكونا زوجين؛ ناهيك عن منهجيتها العالية في التخطيط والتنفيذ. في مَرْبى الكلاب، يكفي أن تختار جوسلين الأب والأم اللذين تراهما مناسبَيْن لإنجاب ذرّية تساعد على تحسين النوع وتدعم تقدّمه. لا يحتاج الأمر إلى الأخذ برأيهما حول الموضوع. بل كل ما تحتاج إلى فعله هو اختيار التوقيت المناسب، ثم ربطهما معًا حتى إتمام المهمّة.

في عطلة نهاية الأسبوع الذي تلا مباراة التنس التي أُجهضت في منتصف الوقت، كان الطقس جميلًا جدًّا فاقترحت والدة جوسلين الذهاب في نزهة إلى الطبيعة. وهناك في حضن الطبيعة الواسع يمكن للجرو، الذي أصبح اسمه برايدي، أن يتبوّل ويتغوّط أين يشاء، من غير أن يتحمّل أحد مهمّة التنظيف وراءه، وخصوصًا من لم يكن في الأساس راغبًا في اقتناء الكلاب. كما اقترحت الأم على ابنتها دعوة سيلفيا إلى النزهة، من منطلق أن هذه الأخيرة لم ترَ الكلب كثيرًا ولم تلاعبه إلا قليلًا.

أخيرًا، ذهب برايدي مع سيلفيا، وطوني، ودانيال، وجوسلين، ووالدة جوسلين إلى النزهة، وجلسوا فوق البساط الخاص الذي فُرش

على العشب، وتناولوا معًا وجبة من أفخاذ الدجاج المقلية التي عملت والدة جوسلين على لفّها بقطع رقيقة من لحم الخنزير المقدّد. وبعد ذلك، تناول الجميع حبّات من توت العليق الطازج مع الكريما والسكر الأسمر. كانت الوجبة لذيذة، غير أن الانسجام كان غائبًا عن المجموعة. لم تتفوّه جوسلين بكلمة خالية من مشاعر الذنب. أما طوني فتصرّف بذكاء حينًا، وبرعونة أحيانًا. سيلفيا ودانيال لم يشتركا في الأحاديث إلا نادرًا. ولكن، ما الذي حدا بوالدتها إلى مرافقتهم إلى تلك النزهة على أيّ حال؟

لعلّ برايدي كان أكثر من استمتع بهذه النزهة. فقد انطلق منذ اللحظة الأولى يجري في كل اتجاه مستكشفًا. ثمّ يقفز فوق الألعاب والأراجيح المخصصة للأطفال مع أن وزنه الخفيف لم يسمح له بتحريكها إلا قليلًا جدًا. وعندما صعد إلى أعلى المنزلق، أوهله مستوى الارتفاع فقفز مباشرة إلى ذراعَيْ جوسلين. ثم ما لبث أن هدأ من توتره وانطلق مجدّدًا ليركض ويتسلى بأوراق الشجر اليابسة. ثم ها هو يتوقف أمام عصفور ميت وجده فجأة فوق العشب. كان برايدي يعيش اللّحظة؛ واللّحظة التي تتضمّن رؤية عصفور ميت هي بلا شكّ رائعة بالنسبة إليه. اقتربت جوسلين وبيدها محرمة ورقية والتقطت العصفور ورمته في مستوعب النفايات فسقط فوق بقايا المأكولات والفاكهة المهترئة. شعرت جوسلين من غير أن تلمسه بأنه كتلة قاسية ومطاطية في آن، ولفتتها عيناه السوداوان المنكفئتان وراء غشاء أغبر قد تخاله رداءً من بخار فوق نافذة زجاج. توجّهت جوسلين إلى الحمّام لتغسل يديها، فقرأت على الحائط كلمات مخربشة بقلم عريض أزرق تقول «اركب القطار»، وتحتها رسم قطار كتب عليه اسم «إريكا» ورقم هاتف خلوي. فكّرت جوسلين بأن تلك الكلمات ربّما تشير إلى ركوب القطار بالفعل، ولكنها تعلم أن سيلفيا قد تفسّرها بطريقة أخرى. فرح برايدي لرؤية

جوسلين بعد عودتها من الحمّام حتى تبوّل على نفسه من شدّة الفرح؛ غير أن ذلك لم ينجح في إضحاكها أو تلطيف مزاجها. ثمّ رأت أمّها وقد أشعلت سيجارة وراحت تنفث الدخان من أنفها، فبدا لجوسلين أنها عازمة على البقاء معهم حتى النهاية. لم تكن جوسلين تتقبّل ما تفعله أمّها أحيانًا. وكانت الأخيرة تنتعل خفًّا تعوّدت انتعاله في البيت. ذلك الخفّ الذي تتوتّر جوسلين من جلبة جرّ أمّها له فوق أرض البيت خصوصًا في المساء.

قالت جوسلين: «أليس من السخرية والتناقض إني شعرت بالقذارة بعد أن التقطت ذلك الطائر الميت، فيما كنا جميعًا نأكل طائرًا ميتًا منذ قليل!؟».

نفضت الأم رماد سيجارتها وأجابت على الفور: «كلّا يا عزيزتي، بل كنّا نأكل أفخاذًا مقلية».

وأكمل طوني: «وكانت لذيذة، أحبّ هذه الطريقة في تحضيرها».

يا له من أبله! كلّهم بلهاء! فكّرت جوسلين، وقالت متوجّهة إلى أمّها: «أليس لديك مكان آخر تذهبين إليه؟ أو حاجيات تريدين قضاءها، أليس لديك أمورٌ تفعلينها في حياتك أفضل من هذه؟».

قال دانيال: «كيف تتصرّفين بهذا القبح مع أمّك، جوسلين، بعد كل ما قدّمته لنا؟».

قالت جوسلين: «ماذا؟ نتفُ طير مذبوح! أفخاذ طيور مقليّة! يغضبني أنها لا تقبل بالحقيقة. تعرفينها يا سيلفيا»، والتفتت جوسلين إلى سيلفيا التي أشاحت بعينيها بعيدًا عن صديقتها التي تابعت: «إنها تسعى دائمًا إلى وضع أقنعة على الأمور لكي تجعل أقبحها يبدو جميلًا ولمّاعًا. إنها تتكلّم إليّ وكأني لا زلت في الرابعة من عمري».

يبدو أن برايدي كان قد سامحها على حرمانه من العصفور، ومن باب

التعبير عن تسامحه، راح يلوك شريط حذائها حتى انقطع من دون أن تتنبّه لما حدث؛ وكان عليها أن تقفز على قدمٍ واحدة إلى سيارة دانيال لتتفادى وقوع الحذاء من رجلها.

نحن البشر، لسنا طيّبين ومتسامحين كما الكلاب؛ ومع ذلك نتوقّع من الأمهات أن يكنّ كذلك، وعلى درجة مشابهة في التسامح. «كانت النزهة ممتعة، ورفاقك أناس طيّبون». كان هذا كل ما قالته والدة جوسلين لابنتها تعليقًا على النزهة.

أوصل دانيال جوسلين إلى منزلها وجلس برايدي في حضنها ومغط جسده لكي يصل بقائمتَيه الصغيرتين إلى حافّة النافذة، فيما كانت أنفاسه الرطبة ترسم بقعة صغيرة ولزجة على ظهر يدها. أحسّت في تلك اللحظة بالندم حيال ما قالته لأمّها. إنها تحبّ أمّها، وتحبّ أفخاذ الدجاج المقلية التي أعدّتها. أما مشاعر الذنب نتيجة حكايتها مع طوني فكانت تحرقها، ولم تجد أمامها مخرجًا سهلًا سوى البكاء. ولكن، قد يكون من السهل الشروع في البكاء، ومن الصعب التوقّف عنه.

قال دانيال أخيرًا: «الأمر الذي أريد أن أحدّثك به هو أني أميل إلى سيلفيا كثيرًا». «أرجو منك معذرتي يا جوسلين». وصلت تلك الكلمات إلى أذنيها وكأنها آتية من بعيد؛ وكأنها كانت تحمل خبرًا سمعت به منذ أيام، ولم يصل إلى ذهنها سوى الآن». وأضاف: «تشعر سيلفيا بالإحراج الشديد نحوك». وتوقف دانيال عن الكلام عندما وصلوا إلى تقاطع طرقات خالٍ من السيارات، ثم انطلق متابعًا بهدوء وانتباه: «إنها لا تعلم كيف ستحدّثك بهذا الأمر. نحن الاثنان مرتبكان جدًا ولا نعرف ماذا سنفعل».

وفي المدرسة في اليوم التالي، أصبح دانيال صديق سيلفيا وطوني صديق جوسلين. كثر الكلام بين التلامذة في الزوايا والممرّات عمَّ

حدث. لم تعترض جوسلين على ذلك، لأنها لو استمرّت هي نفسها وفق الترتيب الجديد إلى النهاية، لكانت تلك المرّة الأولى في التاريخ التي تشهد إعادة ترتيب من هذا النوع تناسب جميع الفرقاء بالتساوي؛ خصوصًا أنها في الواقع لا تحبّ دانيال. إضافة إلى أنها اكتشفت بعد أن فكّرت في الأمر قليلًا أن دانيال هو من تحتاجه سيلفيا حقًا. تحتاج سيلفيا إلى صديق أكثر جدّيّة من طوني؛ إلى صديق قادر على تهدئتها في الساعات العصيبة، حينما تشعر بأن الحياة في هذا العالم لم تعد تطاق. وتحتاج سيلفيا إلى صديق لا يقضي نصف يوم في تقبيل صديقتها الحميمة.

إضافة إلى ذلك، فإن طوني هو الذي قدّم لها برايدي كهديّة، وتقبيله لم يكن قمّة في الحماقة. ولربّما كان الأمر سيبدو أشدّ سوءًا لولا المطر والبخار ومشاعر الذنب. هذا ما استنتجته جوسلين بعد تفكير طويل.

قالت أليغرا: «السبب الأهم لعدم ارتياحي إلى رواية *إيمّا*، هو المسائل الطبقية بخصوص صديقة إيمّا: هارييت. تقتنع إيمّا في النهاية، إيمّا الجديدة المتقدّمة في العفّة والأدب، بأن هارييت مس ليست في المستوى الاجتماعي المطلوب الذي يخوّلها الزواج بذلك الرجل البغيض الذي يدعى إيلتن. كان في إمكان هارييت أن تكون ملائمة للزواج بإيلتن لو استمرّ الأمل بأن تكون ابنة أحد الشرفاء. ولكن، وبعد أن اتضح أنها ابنة أحد الأشخاص الذين يتعاطون التجارة، فإن أفضل حظوظها لن يمنحها أكثر من حقّ الزواج بمزارع».

طال الوقت على الشرفة واحتقن الهواء في المدافئ التي هدرت تارة، ونفثت الدخان تارة أخرى. وإذا ببعضنا الذي جلس بقرب المدفأة يشعر بالدفء الشديد، ولكن الشعور بالبرد يلامس من كان بعيدًا عنها. وكانت فناجين القهوة قد فرغت، وكذلك صحن حلوى النعناع. كلّها إشارات واضحة إلى انتهاء السهرة. حتى إن بعضنا بدأ يشعر بالصداع.

«موضوع الطبقات الاجتماعية معقّد في هذه الرواية». قالت برناديت، فيما ما زالت مرتاحة في مقعدها وقد أسندت ظهرها وبدا بطنها ناتئًا من تحت الثوب، ووضعت قدميها تحتها كما تفعل الفتيات الصغيرات. تمارس برناديت تمارين اليوغا منذ سنوات ولذلك فهي قادرة على الاسترخاء في أوضاع ملفتة. ثم أضافت: «يجب ألا ننسى أن هارييت هي ابنة غير شرعية، مع أن أوستن تبدو إلى حدّ ما متساهلة حيال هذه المسألة».

لم تكن برناديت قد انتهت من كلامها عندما قاطعتها آليغرا وقالت: «تقول أوستن إن ذلك الأمر سيبقى لطخة سوداء، ما لم يتمّ تبييضها بزواج هارييت من رجل نبيل، أو صاحب ثروة».

كان الشكّ قد بدأ يساورنا بأن آليغرا لا تحبّ أوستن بقدر ما نحبّها. ولكن ذلك لم يكن سوى مجرّد شكّ، خصوصًا وأنها لم تدلِ بأي رأي غير محقّ حتى تلك الساعة. كنا نراقبها بانتباه، ولكن، صدق القول الفرنسي: «خسئ من يسيء الظنّ» *honni soit qui mal y pense*

«أعتقد بأن جين كانت تقصد السخرية هنا». قالت برودي، فيما كانت وجنتاها الصافيتان والشاحبتان تكتسبان حمرة بسبب جلوسها القريب من المدفأة. وتابعت: «لدى أوستن قدرة على التعبير بسخرية ذكية قد لا يتنبّه إليها جميع القرّاء. أنا نفسي أستخدم أسلوب السخرية أحيانًا، وخصوصًا في الرسائل الالكترونية. حتى إن بعض أصدقائي يسألونني أحيانًا: «هل كان ما كتبته مزاحًا؟»».

فسألتها آليغرا: «هل كان ذلك مزاحًا؟».

لكن برناديت تابعت من حيث توقّفت، ومن غير تمهّل: «ثم هناك مسألة روبرت مارتن. قد نميل بالطبع إلى تأييد السيد نايتلي في ما يتعلّق بهذه المسألة. لم يكن مارتن سوى مزارع، ولكن إيمّا نفسها تقول أخيرًا بأنها ستكون مسرورة جدًا في التعرّف إليه».

قالت جوسلين: «لدى كل منّا إحساس مختلف بالمستوى. قد لا نتوقّف عند المستوى الطبقي كما في السابق، ولكن يبقى لدينا إحساس بما نستحقّ. ولهذا نجد أن الأشخاص يتزوجون بمن كانوا في مستوى جمالهم. شاب وسيم الطلعة يختار فتاة جميلة، والقبيح يختار القبيحة، يحصل هذا على الرغم من الأذى الذي قد يلحقه ذلك بالنسل».

سألت برودي: «هل تقصدين قول ذلك على سبيل المزاح؟».

لم نسمع صوت سيلفيا إلا نادرًا طيلة اللقاء، الأمر الذي أثار هواجس جوسلين، فتوجّهت إليها بالسؤال: «أي كتاب نقرأ في المرّة القادمة؟ هيّا اختاري لنا الكتاب».

فقالت: «أميل إلى قراءة *العقل والعاطفة* *Sense and Sensibility*».

أعلنت برناديت مندفعة: «أحبّ هذا الكتاب!»، قد يكون المفضّل لدي باستثناء *كبرياء وهوى* *Pride and Prejudice*، مع إني أحبّ *إيمّا*، ويغيب عن ذهني في كلّ مرّة كم أحبّ هذه القصّة إلى أن أعيد قراءتها. أكثر ما يجذبني فيها هو تلك الفقرة حول الفراولة». وكانت برناديت قد طوت زاوية الصفحة التي تتضمّن هذه الفقرة، ولكنها طوت أيضًا زوايا صفحات عدة أخرى فلم يكن من السهل جدًّا عليها أن تجد الفقرة المطلوبة. وراحت تقلّب بين الصفحات حتى أعلنت أخيرًا: «هنا!». وقرأت على مسامعنا بشغف: «وكانت السيدة إيلتن على أتمّ الاستعداد، وقد تجهّزت بكل الأغراض التي تسعدها؛ قبعتها الواسعة، والسلّة التي في يدها... الفراولة، وليس سوى الفراولة، لا كلام الآن سوى على الفراولة... فاكهة لذيذة وإنما لا يمكن المبالغة في تناولها... غير أنها أقلّ شأنًا من الكرز...».

قرأت برناديت على مسامعنا المقطع كاملًا. النص رائع بالفعل، غير أنّه يبدو طويلًا عندما يُقرأ بصوت مرتفع.

استمرّت علاقة جوسلين بطوني حتى السنة الثانوية الأخيرة. ولكن توقيت نهايتها جاء قبل موعد حفلة الشتاء الراقصة بقليل. كانت جوسلين قد اشترت لنفسها فستانًا جميلًا من قماش الدانتيل المزركش بخيوط فضّية ويكشف عن كتفيها. أحبّت جوسلين ذلك الفستان كثيرًا وتمنّت لو استطاعت تأخير نهاية علاقتها مع طوني ولو أسبوعين حتى تتمكّن من حضور الحفلة وارتدائه. ولكن كل ما كان يتفوّه به في الفترة الأخيرة كان يثير اشمئزازها، فيما كان هو يصرّ على الاستمرار في الكلام.

بعد مرور ثلاث سنوات على ذلك، عقد دانيال وسيلفيا قرانهما بطريقة رسمية لا تشبههما كثيرًا. وطالما خيّل إلى جوسلين أن المناسبةَ رسمت بهذه الطريقة حتى تتاح لها أخيرًا فرصةً ملائمة لارتداء ذلك الفستان. اصطحبت جوسلين معها إلى المناسبة صديقًا، كان واحدًا من سلسلة طويلة من الأصدقاء. لم تطل علاقتها به أكثر من البقية، ولكنّ معالم وجهه ما زالت حاضرة في صور الزفاف... واقفًا وذراعه حول جوسلين مرّةً، ورافعًا كأسه مرّة أخرى، أو جالسًا بقرب والدتها حول إحدى الطاولات، والاثنان مستغرقان في حديث طويل.

بعد انتهاء المرحلة الثانوية انتقلت جوسلين وسيلفيا إلى الجامعة، وانضمّت الفتاتان إلى مجموعة تهتم بتحفيز وعي الشباب، ويجتمع أعضاؤها في الطابق الثاني من المبنى المسمّى «البيت العالمي» في الجامعة. خلال اللقاء الثالث لتلك المجموعة، تكلّمت جوسلين عن ذلك الصيف الذي قضته مع ستيفن ومايك. لم تقصد أن تتكلّم طويلًا، ولكنّها أخبرت المجتمعين عن تلك الحفلة في النادي، ولم تكن قد أخبرت أحدًا قطّ عمَّ حدث آنذاك، حتى ولا سيلفيا. لم تتوقّف جوسلين عن البكاء طيلة الوقت. وكان قد غاب عن ذاكرتها حتى تلك الساعة، عندما استعادت تفاصيل تلك التجربة البشعة، كيف نظر براين إلى عينيها لكي يتأكّد أنها كانت تراقب ما يفعله، ثمّ وضع اصبعه في فمه وأخرجه.

شعرت النساء في المجموعة وكأن ذلك العمل المشين قد مسّهن شخصيًّا. إنها حادثة «اغتصاب بكل ما للكلمة من معنى»، أكّد بعضهن. «ومن العيب أن تمرّ مثل هذه الحادثة من غير عقاب».

أمر معيب بالفعل! الآن وبعد أن ارتاحت جوسلين قليلًا من هذا العبء؛ وبعد أن خرجت تلك القصة من داخلها إلى العلن، وأصبح بإمكانها النظر إليها من بعيد، لاحظت أنها لم تقاومه قطّ. ورأت، وكأنها تنظر من أعلى إلى جسدها الذي لم يأتِ بأي حركة، كيف كانت مسترخية ومستسلمة على ذلك الكرسي الطويل، وفي ذلك الثوب الذي يظهر كتفيها عاريتين سوى من تلك السترة الخفيفة التي كانت ترتديها. أما القول بأنه كان يجب مساءلة ومعاقبة براين على فعلته، فقد هبط عليها هبوط الاتهام الشخصي. كان يجب أن تفعل شيئًا. لماذا لم تصرخ ولم تدفعه بعيدًا عنها؟ بل على العكس فإنها، وخلال تعدّيه عليها بتلك الطريقة المشينة، كانت تطمح إلى نيل رضاه!

ولكن أحدًا في المجموعة لم يلقِ اللوم عليها. لقد فسّروا صمتها بأنه بعض مظاهر السلوك الاستسلامي السلبي الذي التصق بالمرأة نتيجة الموروث الثقافي مثل الأساطير الخرافية التي تتحدّث عن الأميرات في دور الضحية. غير أن مشاعر الذلّ في نفس جوسلين كانت تزداد مرارة يومًا بعد يوم. امرأتان في المجموعة كانتا ضحية اغتصاب حقيقي؛ وإحداهما ضحيّة اغتصاب زوجها تكرارًا. شعرت جوسلين بأنها ساهمت من حيث لا تدري في تضخيم المسألة. فقد ساهم صمتها في إضفاء قوّة على براين لا يستحقّها. لن تترك أبدًا لصبي شنيع ومنحطّ مثله الحقّ في أن يعطي رأيه حول من تكون.

من تكون...؟

وطرحت السؤال لاحقًا على سيلفيا: «هل من خطأ في شخصيتي؟».

وبعد لحظات تابعت: «لماذا لا يمكنني الوقوع في الحبّ؟». ليس أسهل من الوقوع...». وصمتت، ثم قالت: «لماذا لا أفعل؟».

«لا تنسي أنك تحبّين الكلاب».

ردّت جوسلين على كلام سيلفيا بغضب. وأجابت: «هذا لا يؤخذ في الاعتبار لأنه سهل. حتى هتلر كان يحبّ الكلاب».

لم تذهب جوسلين إلى لقاءات المجموعة مجدّدًا. فقد أضافت تلك الجلسة التي أرادت منها تحفيز وعيها خجلًا على خجلها. وهي ترفض الشعور بالخجل بعد اليوم.

بعد تخرّجه من الجامعة، أصبح دانيال عضوًا في إحدى مجموعات الضغط على الحكومة في مدينة ساكرامانتو، وكان يضغط دفاعًا عن مصلحة إحدى القبائل الهندية، ودعمًا لمصالح الحكومة اليابانية، وتأييدًا لمجموعة تسعى إلى حماية الأنهار المهمَلة. تحمّس دانيال مرّات عدة لولوج الحياة السياسية، ولكنه سرعان ما كان ينجح في كبح ذلك المَيْل بحجة أن السياسة تسبّب الحرج، وتدفع إلى الوقوع في الخطأ. أما سيلفيا فعملت في المكتبة العامّة في المدينة، وفي قسم «تاريخ كاليفورنيا». وعملت جوسلين مديرة للحسابات في إحدى المزارع غير الكبيرة التي تعنى بزراعة العنب. كان مشروع مَرْبى الكلاب الخاصّ بها لا يزال ينتظرها في مكان ما في المستقبل، ولكنه لن يكون كافيًا لإعالتها. عاش برايدي ستة عشر عامًا. وفي آخر يوم من حياته، طلب كل من دانيال وسيلفيا إذنًا من العمل لكي يرافقا جوسلين إلى العيادة البيطرية. وكان الثلاثة يجلسون معًا على فسحة العشب الأخضر خارج العيادة عندما لفظ برايدي أنفاسه الأخيرة بين يدي جوسلين. ثم انتظر الثلاثة في السيارة طويلًا ريثما جفّت دموعهم الغزيرة، وتمكّن أحدهم من قيادة السيارة.

«كيف حالك؟»، سألت جوسلين سيلفيا. وكان لديهما فرصة دقائق قليلة معًا في المطبخ وفي بالهما مئات الأسئلة التي لا يمكنهما طرحها في حضور آليغرا. كانت آليغرا ابنة دانيال الوحيدة ومحبوبته المدلّلة، ومع ذلك، فقد وقفت للتوّ حيال قرار والدها بالانفصال إلى جانب والدتها ولم تتراجع، ولكنّ موقفها يبقى مؤثّرًا في نظرنا وغير متوقّع.

كانت الأسطح في مطبخ جوسلين مكسوّة بالسيراميك الأزرق والأبيض والتجهيزات المعدنية مصنوعة من النحاس، أما الموقد فكان من طراز قديم. جلست «صحارى» في مكان قريب من حوض الصحون، وأدارت وجهها بصورة تظهر جانبه الأفريقي المميّز. ولكن، وبعد ذهاب الجميع وخلوّ البيت من أي مراقب غريب، فسوف تعطي جوسلين الصحون إلى ـ«صحارى» لكي تلعقها. إنه سرّ خاصّ، و«صحارى» تجيد كتم الأسرار.

كانت جوسلين تنظّف الكؤوس وتشطفها يدويًّا، لأنّ مياه البلدة الكلسية قد تتسبّب بخدش البلّور لو وضعت الكؤوس في غسالة الصحون.

«أتحرّك وأمشي كأنّي امرأة ميتة»، أجابت سيلفيا على سؤال جوسلين عن حالها. وتابعت: «تعلمين كم كان دانيال يغضبني أحيانًا، ولكني أكتشف الآن أني عشت حياة زوجية سعيدة جدّا طيلة اثنتين وثلاثين سنة؛ أفتقده وكأني أفتقد قلبي لو انتُزع من صدري. ولكن ما الفائدة؟».

وضعت جوسلين الكأس من يدها، وأمسكت بيديها المبلّلتين يدي سيلفيا الباردتين، وقالت لها: «إني أعيش حياة 'لا - زوجية' سعيدة طيلة تلك السنين عينها. كل شيء سينتهي إلى الأفضل، لا تقلقي».

وخطر في بال جوسلين فجأةً، وللمرّة الأولى، أنها تفتقد دانيال هي أيضًا. كانت قد تخلّت عنه ليكون حبيب سيلفيا ولكنها لم تتخلَ عن

وجوده كليًا في حياتها. والآن وفيما كانت منشغلة بتزويج كلابها، وبنزع الغبار عن المصابيح في بيتها، وبقراءة كتبها، كان دانيال يوضّب حقائبه ليرحل.

سألت سيلفيا: «كيف سمحت لنفسي أن أنسى أن معظم الزيجات تنتهي بالطلاق؟»، وأضافت بمرارة: «لا نتعلّم ذلك في روايات أوستن التي غالبًا ما تنتهي بعقد قران واحد أو اثنين».

وصلت آليغرا وبرودي وبرناديت إلى المطبخ فيما كانت سيلفيا تتكلّم، وفي أيديهنّ صحون وفناجين وفوَط الطعام. ربّما دفعت كلمات سيلفيا بصورة أو بأخرى إلى خلق هذا المشهد الذي يوحي وكأنه موكب العروس الذي يصل إلى نقطة النهاية. انعكاس الأنوار الذهب على زجاج النوافذ، وصمت الضباب في الخارج، وقافلة النساء القادمات إلى المطبخ واحدة بعد الأخرى، وبأيديهن صحونٌ وأكوابٌ متّسخة، كلّها أوحت بذلك.

قالت برودي بالفرنسية: «العالم هو الكتاب الذي تقرأ فيه النساء».

مهما كان المعنى الذي تقصده، فإن عدم اختفاء شفتيها الذي يحدث كلّما ابتسمت، أوحى إلينا بأن كلامها كان جدّيًا، إلا إذا قصدت به مزيدًا من سخريتها المبطّنة الذكية. وفي الحالتين، لم تتمكّن أي منّا من الإجابة ولو من باب التهذيب على ما قالته.

«يا عزيزتي الغالية جدًّا أنت يا سيلفيا!»، قالت جوسلين وهي تمسح الماء عن يديها وتنظر إلى «صحارى» الممدّدة على الأرض الصخرية. وفيما كانت الشوك والسكاكين تغرق في لجّة الماء والصابون في حوض الجلي، لفّت آليغرا ذراعيها حول والدتها ووضعت رأسها برفقٍ على كتفها وهمست: «لم نصل إلى نقطة النهاية بعد».

جوسلين تشرح ما يجري في معرض الكلاب:

يطلب الحَكَم أوّلًا من مربّي الكلاب تسيير كلابهم حول الحلقة المخصّصية للعرض؛ ثم جعلها تصطفّ معًا على خطّ واحد. وفيما تتحرّك الكلاب، يقف الحَكم في منتصف الحلقة ويقيّم رشاقة حركتها، وتوازن خطواتها وثباتها.

عندما تصطفّ الكلاب يقف الكلب في الوضع الأفضل لإظهار ميزاته ويتقدّم الحَكم ليتفحّص عن قرب عضّته، ومساحة صدره، وليونة أضلعه، وزوايا كتفيه، وجودة وبره، وصحته بشكل عام. وفي حالة الذكور، يتأكّد الحكم يدويًا من وجود الخصيتين.

وبعد ذلك، يجعل المربّي كلبه يسير ثانية، كلّ كلب بدوره هذه المرّة، ذهابًا وإيابًا، لكي يتمكّن الحَكم من مراقبته من الأمام والوراء. ويقوم الحكم بمراقبة كل خطأ في الحركة: هل يتحرّك الكلب بحركة صحيحة أو بارتباك على مستوى القدمين؟ هل مشيته السريعة تظهر حريةً أم انكماشًا، سهولة أم صعوبة. وقد يطلب الحكم في المرحلة الأخيرة من اثنين من المربّين أن يسيرا معًا بكلبَيْهما لكي يتسنّى له إجراء مقارنة أخيرة قبل اختيار الرابح.

يسلّط معرض الكلاب التنافسي الضوء على أصالة الحيوان، وشكله، وسلوكه، ولكن الكسب المالي وخطط المزاوجة تبقى حاضرة جدًّا في أذهان المربّين.

آذار/ مارس

الفصل الثاني
نقرأ في هذا الفصل كتاب
العقل والعاطفة
مع آليغرا

قائمة غير مكتملة لأمور لا نجدها في كتب جين أوستن:

- جرائم قتل داخل غرف مقفلة.
- تقبيل قسري.
- فتيات في ثياب فتيان (ونادرًا ما نرى العكس في جميع الأحوال).
- جواسيس.
- مجرمون يقترفون سلسلة من جرائم قتل متشابهة (القتل بالتسلسل).
- قبّعة الإخفاء.
- الأنماط الأولية للشخصيات الانسانية كالتي طرحها كارل يونغ في الربع الأول من القرن العشرين[1] خصوصًا فكرة وجود طيف لكل إنسان (حقيقي أو خيالي) يتطابق شكلًا ومضمونًا معه (الطيف النذير)[2].
- لا نجد قططًا.

(1) Jungian archetypes.

(2) dopplegängers.

ولكن فلنصرف تركيزنا عن الجانب السلبي.

«لا أظنّ أن هناك أفضل في كل ما كتبته أوستن من تلك الصفحات حيث وصفت السيدة فاني داشوود وهي تحاول إقناع زوجها، خطوة بعد خطوة، لكي يحجم عن إعطاء امرأة أبيه وأخواته مالًا»، قالت برناديت. ثم أعادت سرد الفكرة عينها بقوالب مختلفة من غير أن تضِيف شيئًا جديدًا إلى المعنى. وكانت آليغرا تصغي إلى وقع المطر الخفيف المتساقط على السطح وعلى النوافذ، وفوق الأرضيّة الخشب خارج الباب المؤدّي إلى الحديقة. ترتدي برناديت اليوم ثوبًا يشبه ثياب السفر في الصحراء (Safari style) وإنما باللّون الأزرق. وكانت قد قصّت شعرها وقطعت عليه حرية التحرّك تلقائيًا وكيفما اتّفق. فاجأنا حسن مظهرها كما لو كان إنجازًا سحريًا؛ أولم تعترف أمامنا مرّةً بأنها هجرت المرآة!؟

إنّه نيسان؛ الجوّ في الخارج بارد ورطب كما تشعر به عادة في نيسان، خصوصًا بعد أن تكون قد أقنعت نفسك بأن الربيع قد حلّ أخيرًا. كنا نتحلّق في جلسة جديدة للمنتدى حول موقد الحطب في وسط غرفة الجلوس الفسيحة في بيت سيلفيا. كان اللّهب يلف عيدان الحطب ويسامرها عن كثب بحرارة، فيما كنا نراقب ما يحدث من خلال أبواب الموقد التي تُركت مفتوحة. ومن أعلى السقف الذي صُنع من خشب القيقب المعروف بكثرة العقد والنقاط التي عادة ما يشبّهونها بأعين الطيور، كنّا نخال وكأن مئات الطيور كانت تنظر إلينا من علٍ.

غالبًا ما شعرت آليغرا بوجع في ذراعها على مستوى الكوع في الطقس الرّطب. وفيما كانت تتحسّس موضع الألم بحركة تلقائية رأتها والدتها. فتوقّفت آليغرا، وفكّرت للتوّ بشيء تقوله لكي تشغل الانتباه عنها. وقالت: «أحبّ التقدّم في النقاش، الإعادة تجلب الملل». وكانت تعني كلام برناديت في الإشارة إلى الإعادة. ولكنها لم تكن لتتفوّه بمثل هذه الملاحظة لو كان لديها أدنى درجات الشكّ بأن برناديت يمكن أن

تشعر بأنها المقصودة بملاحظتها... وتابعت: «أكثر ما أحبّه هو التقدّم في التحليل الذي قد يقلب النظرة إلى الأمور رأسًا على عقب. ويحوّلك من قطب إلى عكسه».

تميل آليغرا إلى التطرّف في مشاعرها ومواقفها. فإمّا أن تكون متخمة أو تتضوّر جوعًا، متجمّدة من البرد أو تشتعل حرًّا، منهَكة أو تشعّ نشاطًا. لقد عادت في الشهر الماضي لتسكن مع والدتها بعد أن غادر والدها المنزل. نظرت جوسلين إلى آليغرا وأومأت مؤيّدة. إنها ابنة طيّبة، ولولا وجودها الآن بقرب والدتها، لشعرت سيلفيا بالوحدة الشديدة.

لا يمكن لأحد أن يشعر بالوحدة مع وجود آليغرا في البيت. كلّها حيويّة وحضورها يولّد شعورًا بالطمأنينة.. باستثناء ذلك الأمر الذي تتحاشى جوسلين حتى التفكير به.

تتفاعل آليغرا مع الأمور بعمق، وهذه إحدى صفاتها الحسنة.. إنها تبكي مع الباكين.

ولدا سيلفيا الشابّان لطيفان أيضًا ولا يتأخران عن تقديم المساعدة، وخصوصًا دياغو. ويمكن أن تجد ولدها الثاني آندي إلى جانبك مواسيًا، ولكن لساعة أو ساعتين، ليس أكثر. من المؤسف ألا يتمكّن دياغو من المجيء. ولكنّه موظّف وربّ عائلة ومن الصعب عليه أن يأتي. كان بإمكان دياغو أن يخفّف حقًّا عن سيلفيا؛ لأن شدّة إحساس آليغرا قد يدفعك أحيانًا إلى محاولة التخفيف عنها، فيما تكون أنت المعني المباشر بالمأساة.

توقّعت جوسلين أن سيلفيا قد تضطر أحيانًا إلى تحسين مظاهر بعض الأمور من أجل آليغرا. وقد تضطر إلى التظاهر بالفرح فيما تكون في قمّة البؤس. من قد يطلب مثل ذلك لنفسه؟ وتصوّرت أنّ سيلفيا تقوم بإعداد وجبة العشاء في كل ليلة إلى آليغرا، وتحضّر لها الحمّام. وتخيّلت آليغرا

ممدّدة على الأريكة، تلفُّ نفسها بالأغطية الدافئة وتشرب الشاي. أحسّت جوسلين بأن ما تفعله سيلفيا قد يكون شديد الوطأة عليها في هذا الوقت الذي تحتاج فيه إلى الراحة. وعبر نظرة اختلستها إلى علب الأسطوانات المدمجة المبعثرة فوق آلة التشغيل، عرفت أن أحدًا في البيت كان متكاسلًا ومهملًا؛ وهذا ليس سيلفيا بالطبع؛ إلا إذا أصبحت هذه الأخيرة فجأة معجبة بموسيقى فيونا آبّل. كيف يمكن لآليغرا أن تتصرّف بهذا المستوى من الأنانية؟

منذ طفولتها عُرفت آليغرا بصعوبة المراس؛ وهي جميلة من دون أدنى شكّ، لها عينا أمّها ذات اللون البنّي الغامق وشعر أبيها الأشقر، أما وجهها فمزيج جميل من الاثنين. قامتها مثل قامة سيلفيا لا بل أكثر إثارة. ولكنّها لم ترِث هدوء والديها قطّ ولا برود طباعهما. عندما تفرح يتعدّى فرحها حدود المعقول، وعندما تحزن تصعب مواساتها، إلى أن تقرّر بنفسها فجأة الخروج من حزنها، ولكن بعد أن تكون قد فقدت الأمل وتوقّفت عن محاولة مواساتها بوقتٍ طويل.

لقد كانت لدى سيلفيا مجموعة من المداعبات والحيل التي غالبًا ما استخدمتها مع دياغو وآندي عندما كانا صغيرين. فتقول لواحدهما مثلًا: «لو كنتَ كلبًا لداعبتك وراء أذنيك فتفرح»، وتداعبه وراء أذنيه. ثمّ تتابع: «ولو كنت هرًّا لداعبتك تحت ذقنك فتفرح»، وتداعبه كما تقول. ولو كنت حصانًا، لداعبتك فوق أنفك»، وتفعل. «ولو كنت عصفورًا لداعبت بطنك»، وفيما تقول ذلك، ترفع قميصه وتتابع: «وبما أنك صبي..».، ثمّ تنفخ فوق بطنه أنفاسًا رطبة وصاخبة حتى يقهقه ضاحكًا. ولكن لعبةً مثل هذه كانت تغيظ آليغرا وتثير غضبها.

وفي أحد الأيّام، وفيما كانت لا تزال في الرابعة من عمرها، جلست تقلّب صفحات إحدى مجلّات الموضة في غرفة أمها، ولكنها تضايقت على ما يبدو من المساحات البيضاء العديدة التي رأتها، فغضبت وقالت:

«لا أحبّ الأبيض، إنه بسيط وفارغ، وهناك كثير منه». وما لبثت أن انفجرت بالبكاء والنشيج. واستمرّت تبكي وتتنهّد لمدّة ساعة أو أكثر فيما حملت أقلام التلوين وراحت تنتقل من صفحة إلى أخرى لتلوّن البياض في عيون الأشخاص، وأسنانهم، والمساحات بين الفقرات المكتوبة، وحول أطر الاعلانات. ويشتدّ بكاؤها ونشيجها عندما تلاحظ كم سيستغرق من الوقت تلوين كل المجلة؛ وربّما فكّرت أنها ستقضي عمرها كله في تصحيح هذا النقص الذي لا يلائم ذوقها. قد تتقدّم في السنّ وتصبح عجوزًا من غير أن ينتهي وجود الصفحات البيض، والحيطان البيض، والشعر الأبيض على رأسها.

«مع وصف الثلج الأبيض، أجد أن الرواية تبدأ بأجواء من حكايا الجنيات، ولكن في صيغةٍ مختلفة وجذابة»، قال غريغ. وأضاف: «كان يا ما كان، كانت هناك امرأة نبيلة توفى زوجها واجبرت على العيش في بيت ابن زوجها وتحت نير زوجته الشريرة».

تلعب آليغرا دور المضيفة هذا الشهر. ولكنّه بيت سيلفيا، وضيافة سيلفيا، ولذلك حرصت سيلفيا على أن ترحّب اليوم بمشاركة غريغ بنوع خاص. وصوله المتأخّر جعلها تظنّ بأنه قد لا يأتي، ولذلك شعرت بمزيد من الارتياح والرضا عندما وصل. لن تغفر برناديت لسيدات المنتدى أبدًا لو غادر غريغ باكرًا هذه المرّة كما فعل في المرّة الماضية. والرأي الذي أدلى به للتوّ مثير من دون شك.

قالت سيلفيا: «رأي مثير إلى حدّ كبير بالفعل. في الحقيقة، ليس مستغربًا حدوث مثل هذه القصّة في مجتمع يرث فيه الأكبر مجمل ثروة والده. ولكن كم من الكتّاب تطرّقوا إلى مثل هذا الموضوع!؟ فالمشكلات التي تواجهها السيدات المتقدّمات في السن لم تكن يومًا مادّة جذابة للمؤلّفين. ثق بما تقوله أوستن من هذه الناحية!».

« أشارت برودي. وكانت برودي قد جاءت للتوّ من اجتماع لنقابة المعلّمين، وشفتاها المطليّتان بالحمرة وحماستها السياسية لا تخفيان ذلك. أما حاجباها فيبدو أنهما استعادا لحسن الحظّ إلى حدّ ما شكلهما الطبيعي؛ ربّما كان بعضهما المنتوف قد نما من جديد، أو أن برودي ملأت جوانبهما الفارغة بقلم الكحل. ولكنها كانت تتكلّم بنبرة خطابية مبالغ بها. لم يكن ذلك، بحسب سيلفيا، سوى جانبٍ من التأثيرات المهنية التي تلتصق بصاحب المهنة وترافقه أينما ذهب. والحقّ يقال إنّه علينا تفهّم ذلك الأمر عوضًا عن المحاسبة، وإلخ...؛ وقالت برودي معلّقةً: «ولكن لم تكن السيدة داشوود الأمّ محور الكتاب بقدر ما كانت بناتها الجميلات محوره، إذ نلاحظ لاحقًا أن الكولونيل براندون، وهو يصغر السيّدة داشوود سنًّا بأعوام قليلة، يقع في حبّ ابنتها الصغرى وليس في حبّها. من المقبول بالطبع أن يقع رجل مسنّ في الحبّ، فيما يستبعد ذلك عن المرأة المسنّة!».

تفوّهت برودي بتلك الكلمات من غير أن تفكّر حقًّا بمضاعفاتها. ولكنها سرعان ما تنبّهت إلى أنّها اقترفت خطأ كبيرًا، مع أنها، وبحسب ما تدّعي، ليست من النوع الذي يقع في مثل هذه الثغرات بسهولة. ولعلّ تفكيرها بالأمر ساهم في لفت الانتباه إلى فحوى كلامها بصورة أكبر. يُشاع حقًّا أن دانيال كان واقعًا في حبّ فتاة، وأنه لم يطلب الانفصال عن سيلفيا لأن زواجهما بات متعثّرًا بل لأنه مشغول بغيرها.

وراحت برودي تفتّش عن شيءٍ تضيفه لكي يكون واضحًا لدى كل منّا أنها لم تكن تعني سيلفيا بكلامها. ولكن، إذا عدنا إلى واقع الأمور بالفعل، أيّ مستقبل ينتظر سيلفيا التي جاوزت الخمسين، بصرف النظر عن مستوى جمالها المقبول قياسًا لعمرها؟

وقالت برودي بصوتٍ هادئ، إذ إن أسلوبها في الكلام ما لبث أن استعاد نمطه الطبيعي تدريجًا: «من غير المقبول»، ولكن برناديت التي

تكلّمت في الوقت عينه، وتابعت في الكلام، غطت على كلمات برودي، فيما كانت قطرات المطر بضرباتها المنتظمة على الأسطح والنوافذ تقيس مرور الوقت إلى أن انقلب لون اللّهيب في الموقد من الأزرق إلى البرتقالي، وتحوّلت أعواد الحطب إلى جذوع من رماد.

كانت برناديت تتكلّم وتستمتع بسكون المشهد حولها في الآن عينه. لم يكن هناك ما يزعج صفاءها، حتى ولا الصوت الخارج من حنجرتها. فالهدوء يتوفّر في بيت سيلفيا أكثر مما يتوفّر في بيت جوسلين. ويقع منزل سيلفيا بقرب الجامعة في وسط المدينة وإنما بعيدًا عن الشارع الرئيسي، ووراء مركز جمعية «فاي بيتا باي»[1]، أو ربّما جمعية «باي بيتا فاي»[2]، فأنا أخلط أحيانًا بين الاسمين. إنه موقع هادئ ومتوارٍ عن الأنظار، إلّا في فترات النشاط عندما يحتشد عدد كبير من الفتيات لمدّة أسبوع على العشب، ويغنّين معًا: «أريد أن أكون فاي بيتا باي (أو الأخرى!) بوم، بوم، بوم»؛ فيذكّرنك بأسطورة الفتيات الإغريقيات وأغانيهن التي كانت تسحر البحّارة. لو كان هناك نشاط مماثل في هذا الاسبوع لما اجتمعنا في بيت سيلفيا طبعًا. ولو كان دانيال قد غادر البيت في إحدى مواسم هذا النشاط، لكانت برناديت ستعذره بالتأكيد. وكانت جوسلين قد أخبرت برناديت سابقًا أن دانيال تعرّف إلى فتاة في مقتبل العمر تبدو وكأنها أخته الصغرى.

تعرف جوسلين جيّدًا شعور الطفلة عندما يرحل والدها عن البيت. ولكن الأمر يختلف بالطبع عندما تكون الطفلة بالأحرى شابّة غادرت منزل أبويها واستقلّت عنهما. ليس غريبًا أن تتألّم آليغرا بسبب غياب

---

(1) Phi Beta Pi جمعية وأخوية تأسست في أميركا في نهاية القرن التاسع عشر وتقتصر عضويتها على الأطباء. (المترجمة).

(2) Pi Beta Phi جمعية وأخوية تأسست في أميركا في أواسط القرن التاسع عشر وتقتصر عضويتها على النساء. (المترجمة).

والدها، ولكن ليس بالطريقة التي تتألّم بها والدتها. وفيما تشعر سيلفيا بقسوة الوحدة يوميًّا طيلة السنة؛ سوف تشعر آليغرا ببعض الفروقات في أعياد الميلاد فحسب. من الآن فصاعدًا، لن يكون لها بيت عائلي واحد تفرح بالعودة إلى دفئه ليلة الميلاد. بل سيكون عليها قطع عطلتها إلى نصفين كما تقطع الليمونة.

لا يزال شهر الميلاد بعيدًا، ولكن ما تعرفه جوسلين عن طباع آليغرا كافٍ ليجعلها تتوقّع أن هذه الأخيرة فكّرت به. لعيد الميلاد دائمًا أهميّة كبرى في عينيّ آليغرا، ولطالما أمضت وهي طفلة الأيام التي سبقت حلول العيد في كل سنة في حالة من التوتّر والقلق خوفًا من أن تتلقّى هدايا لا تعجبها، أو ألّا تتحقّق الأمنيات الأقرب إلى قلبها. فكانت تغرق في بحر من دموع كلّما آوت إلى سريرها ليلًا متوجّسة من خيبة الأمل. وهكذا لا يحلّ صباح الميلاد قبل أن ينال النكد والإرهاق من مزاج الأسرة كلّها.

ولكن لم تكن طلباتها يومًا صعبة المنال، أو باهظة الثمن، وما من سبب كان يبرّر بالتالي عدم تلبيتها. وما إن تبدأ عملية استقبال الهدايا وفتحها حتى ترقص آليغرا من شدّة الفرح. كانت تحبّ المفاجآت، فتمزّق الورقة الخارجية بحماسة عالية وتصرخ مغتبطة لدى رؤية الهدية مهما كان نوعها، وتسأل: «هذا لي أنا؟»، «وهذا أيضًا؟»، وكأنها لا تصدّق ما تراه عيناها.

حرص والداها في كل سنة على إعطائها مبلغًا من المال لكي تبتاع به، هي أيضًا، ما تريده من الهدايا. ومع أنها كانت تتصرّف بحكمة، لم يكن المبلغ دومًا كافيًا. ولهذا كانت تضيف إلى الهدية التي تشتريها شيئًا من صنع يديها، فتقدّم رسومًا إلى أخويها مثلًا، ودفاتر تملأها بالصور إلى والديها وإلى جوسلين. وكانت تصنع في بعض الأحيان روزنامة، أو مسندًا للكتب، أو صحن سجائر وحاجيات للزينة، كأن ترسم وتلوّن

على الحصى، أو على أكواز الصنوبر اليابسة ثم ترشّها بمواد برّاقة. لم تكن فنانة، وغالبًا ما أصرّت هي نفسها على هذه النقطة، ولكنّها ماهرة. علّمها والدها طريقة استخدام الأدوات الصناعية، فاختارت أن تتابع في المدرسة الثانوية صفًّا في المهارات الحرفية بدلًا من تعلّم فن الطبخ. وكانت قد بدأت في ذلك الوقت بتنفيذ تصاميم جديدة من قطع المفروشات والحلى، مثل سطح الطاولة الزجاجي الذي وضعت جوسلين حقيبتها عليه الآن؛ إنه من صناعة آليغرا في تلك المرحلة، وجماله يضاهي جمال القطع التي تباع في أرقى المتاجر.

تسوّق آليغرا الآن ما تصنعه في المتاجر وعلى شبكة الانترنت وفي معارض المصنوعات الحرفية. ومشروعها الجديد يقوم على جمع الحلى غير السليمة من أسواق البرغوث[1]، مثل الخرز الذي دكن لونه، والأحجار الكريمة المنقوشة التي خسرت بريقها وجاذبيتها، لتكسرها وتصنع من أجزائها لوحات صغيرة من الفسيفساء. كانت سيلفيا تضع سوارًا صنع من أقراط غير متناسقة جمعت معًا بواسطة سلسلة جميلة ودقيقة الصنع. إنها في الواقع أجمل من أن توصف بمثل هذه الكلمات، وإن أشارت إلى شيء فإنها تشير إلى أن قلب سيلفيا ما زال، كما كان دومًا، في موقعه الصحيح. انضمّت آليغرا في فترة عيد الميلاد من العام الأسبق إلى فرقة ترانيم ميلادية في سان فرنسيسكو، وأمضت ليلة عيد الميلاد في أداء الترانيم النديّة[2] (Soprano) متنقّلة مع الفرقة بين المستشفيات ودور الرعاية. كانت سيلفيا قد وضعت صورة التقطت لأليغرا في تلك الليلة على الرفّ الرخامي فوق الموقد، وكانت الأخيرة ترتدي ثوبًا أرجوانيّ اللون وتحمل شمعة مضاءة. ثبّتت سيلفيا الصورة

(1) Flea markets: أسواق تبيع حاجيات قديمة ومتنوّعة بأسعار رخيصة (المترجمة).
(2) استخدام الطبقة الصوتية العليا في الترنيم ويدعى ذلك الغناء (سوبرانو).

في إطار فضي من صناعة آليغرا نفسها. صبيّة رائعة المحيّا تخالها السيدة العذراء بوجنتيها الورديتين وعينيها اللامعتين كالبلّور!

«الشخصيات الثانوية في روايات أوستن هي حقًّا رائعة. إنها جيّدة مثل الشخصيات الثانوية في روايات ديكنز (Dickens)». ارتاحت سيلفيا لسماع غريغ يقول رأيه عاليًا وبصراحة». لن تعترض على ما قاله أبدًا. على كل حال، وهل قال شيئًا يستحقّ الاعتراض عليه؟ هناك كتّاب ترفض ذكر أسمائهم في الجملة نفسها مع اسم أوستن، ولكن ديكنز ترك كتبًا جيّدة جدًّا وخصوصًا كتاب *دايفيد كوبرفيلد David Copperfield*».

وأضاف غريغ: «وفيما نتكلّم على ديكنز، كنت أفتّش على هذا المقدار من العناية بالشخصيات الثانوية لدى الكتّاب المعاصرين ووجدته شائعًا في برامج الكوميديا التلفزيونية اليوم. تخيّلوا لو كانت أوستن هي من تكتب اليوم حلقات برنامج إلينور الكوميدي Elinor Show ’The’. تخيّلوا أن تكون إلينور الشخصية الأساسية والاخلاقية بين مجموعة من الشخصيات الأخرى التي تحوم حولها في شقّتها في نيويورك بمشكلاتها الحمقاء والمضحكة».

وتمتمت سيلفيا في سرّها: «ألن ينتهي الكلام على ديكنز هذه الليلة!». ليس باستطاعة سيلفيا أن تتخيّل شيئًا من هذا القبيل. لا بأس في قوله بداية حول تأثير حكايا الجنيات على بعض المواضيع في روايات أوستن. فقد سبق لسيلفيا نفسها أن اكتشفت قواسم مشتركة بين رواية أوستن *كبرياء وهوى Pride & Prejudice* وحكاية *الجميلة والوحش Beauty & the Beast*. وبين رواية *الاقناع Persuasion* وحكاية سندريللا، وإلخ. ولا بأس أيضًا في قوله بأن ديكنز أجاد في ناحية معيّنة برعت فيها أوستن. ولكن من أين جاء بتلك الفكرة الغريبة حول أوستن والبرنامج التلفزيوني الكوميدي؟... يا للخيبة من إضاعة مثل هذه الرموش الجميلة على رجل يشاهد البرامج الكوميدية!

حتى برناديت استطاعت مداراة استنكارها بالصمت. كان قرع المطر على السطح مسموعًا، والنار في الموقد تزداد اهتياجًا؛ وأنظار النساء متسمّرة على أيديهن أو على النيران، متفادية الوجوه. حتى تكلّمت آليغرا أخيرًا: «لا بأس بها كشخصيات ثانوية، ولكني أجد أوستن تصبح أكثر اهتمامًا بهذه الشخصيات في رواياتها الأخيرة. أجد النساء في الكتاب، مثل السيدة جينينغ، والسيدة بالمر، والمرأة الأخرى، خليطًا مشوّشًا من الصعب فهمه. أحببت السيد بالمر ولسانه اللاذع، ولكنك تراه يحاول الإصلاح، ثمّ يختفي فجأة بطريقة تحبط القارئ».

في الواقع، رأت آليغرا نفسها في شخصية السيد بالمر. كثيرًا ما يجول في بالها هي أيضًا ملاحظات جارحة، وغالبًا ما تندفع إلى التفوّه بها على الرغم من رغبتها في التريّث. لا يتحمّل السيد باركر التفاهات وكذلك هي، غير أن آليغرا لا تجد في هذه الميزة مدعاة لفخرها. فهذه لا تنبع، بحسب أوستن، من الرغبة بالتفوّق إلا إذا كانت قلّة الصبر ميزة متفوّقة. وتابعت آليغرا: «بالإضافة إلى وسمحت آليغرا لنفسها بأن تتكلّم من جديد على انزعاجها من عملية إهماد صوت السيّد بالمر في هذه الرواية أرى أن رواية *العقل والعاطفة* *Sense & Sensibility* تراهن في نهايتها على شدّة سذاجتنا. وأعني بذلك زواج روبرت فيراز من لوسي ستيل المفاجئ. أرى الحبكة في روايات أوستن اللاّحقة تصبح أسلم صياغة وأكثر سلاسة».

قال غريغ موافقًا: «ربّما كانت الحبكة تحتاج إلى حياكة يدوية مثلًا». (يبدو أن تلك اللحظات من تجهّم النساء الصامت لم تفعل فعلها المرجو على غريغ! ما العمل إذًا؟). «نكتشف نوع التأثير الذي تهدف إليه أوستن، ألا وهو حمل القارئ في لحظة معيّنة من القصّة على الارتباك وتوجيه تفكيره في اتجاه خاطئ؛ ولكن ليتها لم تذهب بعيدًا إلى هذا الحدّ من أجل تحقيق هذا الهدف».

لقد تخطّى التقريع بأوستن حدود الاحتمال. نظرت سيلفيا إلى جوسلين فوجدتها تتألّم بصمت، أما صوتها فكان هادئًا وصارمًا عندما قالت: «أعتقد بأن تطوّر الحوادث كان مقنعًا جدًّا. أما الرّهان على تعميق سذاجتي فلم أشعر به».

وقالت سيلفيا: «لا تزعجني تلك التفاصيل مطلقًا».

وعلّقت برودي: «كل شخصية تصرّفت وتطوّرت بحسب ما تملي مواصفاتها بشكل تامّ».

قطّبت آليغرا حاجبيها بطريقتها المحبّبة المعروفة، وعضّت على أحد أصابعها. كم يبدو واضحًا أنها تعتمد يديها في أعمالها، فقد كانت أظافرها قصيرة، أما الجلد المحيط بها فجافًّا وسميكًا. ومن الواضح أيضًا أنها تتأثّر بالأمور المحيطة بها حتى العمق، ولعلّها كانت قد شدّت منذ وقت قليل بالجلد المحيط بظفر إبهامها واقتلعته، وما زال الاحمرار المؤلم ظاهرًا على إبهامها. لا بدّ أن برودي كانت تفكّر في تلك اللحظة بضرورة اصطحاب آليغرا إلى أخصائية العناية باليدين والأظافر لأن أصابعها الطويلة والرقيقة تستحقّ الظهور بأجمل صورة.

قالت آليغرا، بتراجع طفيف عن موقفها وبأسلوب لا يخلو من الطرافة والذكاء: «أظن، إن لم يكن باستطاعة الكاتب اللجوء إلى عنصر المفاجأة، والخروج بتطوّر غير متوقّعٍ أحيانًا، فما لذّة الكتابة إذًا؟».

فكّرت برودي، حسنًا، ليس أفضلَ من آليغرا في التكلّم على مكامن اللّذة في الكتابة. لم يكن لدى برودي اعتراض شخصي على المثلية الجنسية. وما إن فتحت فمها لتأتي على ذكر صديقة آليغرا الكاتبة التي قد تدلي بمثل هذا الرأي عينه، وذلك من باب مضايقة آليغرا قليلًا من جهة، وفتح عينيّ غريغ على طبيعة مَنْ حوله من جهة أخرى، حتى تكلّم هذا الأخير مؤيّدًا رأي آليغرا من جديد. بات غريغ متجاوبًا مع كل ما تقوله

آليغرا! وكان يجلس بقربها على الأريكة. حاولت برودي أن تتذكّر كيف حدث ذلك بالضبط، هل كان هذا هو المكان الشاغر الوحيد المتبقي، أم إنه تعمّد الجلوس إلى جانبها؟

عادة ما تشير آليغرا إلى خياراتها الجنسية في كل مناسبة، وعادة ما أدّى ذلك إلى خلاف مع أمّها التي تقول إنه من غير اللائق الكلام على مثل هذه التفاصيل الخاصّة أمام كل الناس. «لا يحتاج ميكانيكي السيارات إلى معرفة ذلك ولا بائع الجرائد»، تقول سيلفيا. ولكن آليغرا التي تصرّ على أن موقف أمّها نابع من سبب أساسي وهو رفض المثلية الجنسية، تجيب: «لن أخفي حقيقتي على الناس، فهذا ليس من طبيعتي!». ولكنها الآن، وحيث قد يكون نشر هذه المعلومات مفيدًا، فإنها تلتزم الصمت، ولا تنبس ببنت شفة حولها.

سألتها برودي بنيّة شيطانيّة: «الآن، وفي معرض كلامنا على المؤلفين، أخبريني كيف حال كورين؟».

«انفصلت عن كورين»، أجابت آليغرا، فتذكّرت برودي عندئذٍ أنها سمعت بذلك من قبل. ولكن السؤال ترك أثرًا قاسيًا على آليغرا، فاختفت التعابير فجأة عن وجهها الذي تحوّل إلى ما يشبه الحجر. ولكن الانفصال جرى منذ عدّة أشهر بالتأكيد ولم يخطر في بال برودي أن إثارة مثل هذا الموضوع قد يؤذي أحاسيس آليغرا في هذا الوقت. لو أن أحدًا لفت انتباهها إلى ضرورة عدم ذكر اسم كورين أمام آليغرا، لما ذكرته، فهي تجيد التزام الصمت عند اللزوم.

كان غريغ منشغلًا بتقليب صفحات مجموعة أوستن الكاملة الضخم. تُرى، لماذا يحمل الرجال مثل هذه الكتب الكبيرة؟ ها، إنه ربّما لم يسمع شيئًا مما دار حوله من حديث!

فيما ترغب آليغرا عادة بوصف نفسها كفتاة مثلية منفتحة على أنواع

عدة من الفتيات مثل النحلة في حديقة متنوّعة الأزهار، تعلم في أعماقها أن الحقيقة أكثر تعقيدًا من ذلك. نادرًا ما يكون الميل الجنسي بسيطًا بقدر ما هو طبيعي. عدم اهتمام آليغرا بالرجال ليس كلّيًا، فهي لا تهتمّ بجسد الرجل تحديدًا. وغالبًا ما تنجذب إلى الرجال في الكتب وتجدهم على وجه العموم أكثر شغفًا من النساء؛ مع أنها تجد النساء على أرض الواقع، وعلى وجه العموم أيضًا، أكثر شغفًا من الرجال. الشغف نفسه يثير آليغرا؛ فهي تحبّ القصائد الوجدانية، وركوب البحار أو حتى خوض غمار المستنقعات. وتحبّ الموسيقى الصاخبة، وركوب المخاطر بجميع أنواعها. إنها تحتاج إلى الامتلاء بنبض الحياة القوي.

الأدرينالين هو دواؤها المفضّل. ولكنها غالبًا ما لا تتكلّم على هذه الأمور، وخصوصًا أمام الذين يعرفون أمّها. تؤمن سيلفيا بضرورة الحذر، مع أن الحذر وحده ليس كافيًا بالنسبة إليها أحيانًا. وهي ترى الحياة رحلة محفوفة بالمخاطر. تختار طريقك عبرها فتميد الأرض تحت قدميك وقد تتحطّم الأشياء أو تنفجر. والمصائب تحلّ بأشكال عدة؛ عبر الحوادث، أو جرائم القتل، أو الزلازل، أو الأمراض، أو الطلاق. حاولت سيلفيا أن تنمّي في أولادها العقلانية والحذر. وفيما عرفت آليغرا وهي في الصفوف الثانوية أن أمّها كانت تهنّئ نفسها على نتائج ابنتها الحسنة في المدرسة، وحسن اختيار هذه الأخيرة لأصدقائها، وعلى عاداتها السليمة وقابليتها الجيّدة للطعام. كانت آليغرا تمارس تعذيب نفسها وجرح جسدها وإدمائه.

التقت آليغرا بكورين على متن طائرة صغيرة في يوم عيد ميلادها الثامن والعشرين. وكانت قد أمضت الليلة مع أبويها، وغادرت البيت في الصباح بعد أن أعدّ لها والدها طعام الفطور، قائلة إنها على موعد مع بعض أصدقائها في المدينة. ولكنّها توجّهت إلى مطار صغير في مدينة فاكافيل حيث كانت قد حجزت منذ بضعة أشهر موعدًا لممارسة رياضة

القفز من الطائرة. وتلك كانت أوّل قفزة انفرادية ستقوم بها. شعرت بالتردّد في الدقيقة الأخيرة، وتساءلت ما إذا كانت حقًّا ستقفز هذه المرّة هل هي مجنونة؟ كانت تشعر بخوف أكبر مما شعرت به في المرّة الأولى عندما قفزت بصحبة شخص خبير في القفز. فوجئت بالخوف الذي أصابها مع أن أحدهم سبق وأنذرها به. وفكّرت أنها لو تستطيع التراجع من غير أن يعلم أحد بذلك لفعلت. ولكنها أخيرًا، وحفظًا لماء الوجه فحسب، قفزت في الهواء. ثم أسرعت إلى شدّ حبل المظلّة قبل الوقت المطلوب، وما إن فعلت حتى تمنّت لو كانت لا تزال تهبط من غير المظلّة، فالهبوط الحرّ هو أجمل ما في هذه المغامرة. وقرّرت للتوّ أنها ستقفز مرّة أخرى وستفعل ذلك بحرفية أكبر. انفتحت المظلّة، وشدّت بها فجأة إلى أعلى فانقطعت أنفاسها لحظةً، وازداد ضغط الأحزمة على ثدييها. أمسكت آليغرا بالحبال وعدّلت وضعها قليلًا. وفكّرت بحماقة خوفها من ضغط الأحزمة على صدرها، هي التي أقدمت منذ لحظات على القفز عمدًا من الطائرة باتجاه الأرض. ثم تمتمت في نفسها: «لعلّه عمل تافه حقًّا بالنسبة إلى قدرات الانسان، ولكنّ الحرارة عالية جدًّا داخل هذه البزة الجويّة!».

ما لبثت بعد ذلك أن شعرت بالغبطة والهدوء وتخيّلت أن الوقت يسير ببطء ولكنّها كانت تعيش كل لحظة منه بسعادة ونقاء. غير أنها هبطت بقسوة على مؤخرتها ثمّ تحوّل ثقل جسدها في اتجاه جانبي، فوقع الضغط على ذراعها وتركّز الأذى على منطقة الكوع. شعرت بالألم في مؤخرتها، ولكنها لم تشعر بدايةً بما حلّ بكوعها. ثمّ استرخت على ظهرها تنظر إلى الفضاء الواسع، والمظلّة تنبسط لتغطي بقعة كبيرة من العشب الأخضر وراء رأسها. ولبثت برهة تتأمّل الغيوم السابحة والعصافير الطائرة؛ والدّم في عروقها ما برح ينبض بوتيرة لذيذة. كانت كورين في تلك اللحظات لا تزال في الفضاء ولكن كان باستطاعة آليغرا

أن ترى أسفل حذائها وهذا يعني أنها كانت تهبط بطريقة غير سليمة؛ أي على طريقة ماري بوبنز[1] Mary Poppins.

حاولت آليغرا الوقوف، وما إن فعلت حتى شعرت وكأن سلكًا من نار اخترق ذراعها. وإذا بأذنيها ترجّعان هديرًا كأنه أمواج البحر، وعينيها تمتلئان ضياءً أبيض، وأنفها يتحسّس رائحة غريبة. وما إن رفعت قدمها في خطوة أولى إلى الأمام، حتى انزلقت إلى غياهب المجهول.

ثم استيقظت من غيبوبتها في لحظة سمعت فيها صوت كورين تسألها:

«هل أنت بخير؟ هل تسمعينني؟».

وشعرت بتلك الكلمات تمرّ فوقها كظلال عصافير ما لبثت أن ذابت في بحر من ظلام. عندما استيقظت آليغرا في المرّة الثانية، كانت بين ذراعَيْ كورين.

كان اللقاء غير إراديٍّ. وقبل وصولهما إلى المستشفى تحوّلت الفتاتان إلى شريكتين في "الجريمة". يجب إخفاء موضوع القفز عن سيلفيا. ولكن كيف ستتمكّن آليغرا من مهاتفة والدتها وهي لا تزال في حالة دوار، ولعلّها لم تصحُ كليًّا بعد من حالة الإغماء. «لا تقولي لها شيئًا عمَّ حدث»، قالت آليغرا، بعد أن تذكّرت حادثة سقوطها عن إحدى ألعاب التسلّق في حديقة المدرسة وكانت لا تزال في صفوف الحضانة. أمضت آليغرا حينذاك الليل في المستشفى، وأمضت سيلفيا الليل عند قدميها على كرسي بلاستيك ضيّق من غير أن يغمض جفنها. قد تميل آليغرا أحيانًا إلى القول بأنها أقرب إلى دانيال منها إلى سيلفيا فقد كان هناك دومًا في العائلة شيء من الحذر حيال سيلفيا ولكنها الآن، وتحت

---

(1) شخصية امرأة إنكليزية سحرية تطير بمظلّتها المفتوحة وتهبط إلى الأرض على قدميها.

وقع الألم الشديد المنبعث من ذراعها، تريد أمّها إلى جانبها، فتكلّمت ترجو كورين قائلةً: «دعيها تأتي!».

من على المحفّة في قسم الطوارئ، كانت أفكار آليغرا تحوم وتختفي حول الدوائر البيض في سقف الغرفة مثل رقع من ثلج. طلبت كورين الرقم من هاتفها المحمول وأمسكت بيد آليغرا السليمة تربّت عليها بلطف. قالت كورين: «أنا السيدة هنتر؟ أنت لا تعرفينني، ولكني صديقة آليغرا. آليغرا بخير، ولكن ذراعها قد تكون مكسورة. إني هنا معها في مستشفى فاكافيل وعلى ما أرجو، سوف تتعافى بسرعة». واسترسلت كورين في وصف ما حدث بدقّة وإنّما في إطار مختلف كليًّا. فتكلّمت على وجود كلب أليف، وولد كان يلعب بالطابة، وحصى على الطريق، وآليغرا تركب الدراجة. صدّقت سيلفيا القصة كما روتها كورين بطريقة مقنعة. وأجابت بما معناه أن مثل هذه الأمور تحدث حتى عندما يكون الكلب أليفًا، وحتى عندما يلبس راكب الدراجة خوذة واقية. وأن آليغرا تحرص دائمًا على اعتمار خوذتها، ولكن مثل هذه الأمور تحدث أحيانًا مهما التزم الانسان بمقاييس الحيطة والوقاية. وإنها سوف تأتي برفقة دانيال بعد قليل، وسيتشرفان بالتعرّف إلى كورين وتقديم الشكر إليها وجهًا لوجه.

أعجبت آليغرا بكورين، وفكّرت بموهبتها العالية في الكذب، وكم من الأفضل لأي إنسان أن يحتفظ بمن كان مثل كورين إلى جهته. فليكن كذبها لصالحك وليس العكس.

غير أن كورين لم تكن تميل إلى ركوب المغامرات بالقدر الذي تصوّرته آليغرا. لاحقًا، وعندما اقترحت آليغرا أفكارًا من شأنها أن تضيف جرعة من الأدرينالين على ممارسات الحبّ بينهما، لم تتجاوب كورين. أما مغامرة القفز من الطائرة فلم تقدم كورين عليها سوى لأنها كانت تمرّ بمرحلة جفاف في الكتابة، ورأت في الفضاء الواسع صفحة

بيضاء واسعة قد تحفّز مخيّلتها الأدبية، فقفزت إليه. وهكذا لم تكن قصة القفز بالنسبة إلى كورين سوى مجرّد حكاية مجازية.

غير أن المغامرة لم تنجح في تحقيق الهدف منها، وفكّرت أنه من الجنون أن تقدم على مثلها مرّة أخرى. «قد تكسرين ذراعك!»، قالت إلى آليغرا، وكأن هذه الأخيرة تجهل مثل هذا الأمر. حرصت كورين على الاستمرار بحياتها الآمنة في شقتها تداوي قلقها بشرب الشاي، وتحرص على التحرّك بهدوء حتى لا تصاب بأذى غير متوقّع. كانت تعمل كإخصائية عناية بصحة الأسنان ولكنها لم تكن تحبّ عملها بشغف، ويبدو أنها اختارت هذه المهنة لأنها تسمح لها بوقت حرّ للكتابة. كانت تعيش حياة مملّة بالفعل، ولعلّ آليغرا وقعت في حبّها قبل أن تتعرّف إلى هذه الجوانب من شخصيتها. الجانب الأوحد من كورين الذي تعرّفت إليه آليغرا بوضوح فيما كانت تموج خدرًا تحت تأثير المسكّنات في المستشفى، وتغرق، وتغرق، وتغرق في حبّها، كان جانب الكذب.

كانت سيلفيا قد فتحت قنينة من نبيذ كاليفورنيا الأحمر الخاص من نوع «بيتي سيراPetit Syrah» والذي يناسب جيّدًا تشكيلة الجبنة والخبز المقرمش التي تقدّمها، وتناسب أيضًا الجلوس حول النار في الجوّ الماطر. شربت جوسلين ما يكفي لكي تشعر بالارتياح بين المجموعة، ولكن ليس بما يكفي لشحذ ذهنها وإيقاظ حسّ الفكاهة لديها. وكانت ومضات النار المنبعثة من الموقد تخترق جدار كأسها المصنوع من الكريستال الثمين، وهو من الهدايا التي تلقتها بمناسبة زفافها. ولكنه مع الأسف فقد بريقه وبات ضبابيًا نتيجة اثنين وثلاثين سنة من الاستخدام والغسل بالمياه الكلسية في غسّالة الجلي. ليتها كانت أكثر انتباهًا من هذه الناحية!

«تسلّط رواية *العقل والعاطفة* *Sense and Sensibility* الضوء على أحد أنواع الشخصيات التي غالبًا ما تلعب دورًا بارزًا في أدب أوستن،

وأقصد شخصية الرجل الوسيم والفاسق». قالت جوسلين. ثم تابعت، فيما كانت تدير الكأس بين أصابعها فيعلو مستوى النبيذ الأحمر القاني حول جوانبه وينخفض بحركة خفيفة متراقصة: «أخالها تميل دومًا إلى طرح علامات الريبة حول من كان حَسَن الطلعة من الرجال. أبطالها غريبو الأطباع عادة، ويصعب وصفهم أو تصنيفهم مع أنهم يلعبون دورًا مؤثّرًا في محيطهم. ترى جوسلين أن دانيال يشبه هذا النوع من الرجال، ولكنها لا تفصح عن رأيها من هذه الناحية، خصوصًا وأن سيلفيا لن تتقبّل هذا الرأي مطلقًا. أما في عالم أوستن فمثل هذه الشخصية يدعو للفخر ويحصد سمعة حسنة.

وعلّقت برودي: «ما عدا دارسي».

فأجابت جوسلين بنبرة تحذيرية: «لم نصل إلى دارسي بعد»، فتوقّفت برودي عن المتابعة.

وتدخّلت برناديت: «ولكن الأبطال أكثر طيبة من الأوغاد في روايات أوستن. وهم يستحقّون التقدير. خذوا على وجه المثال إدوارد، فإنه حسن الأخلاق».

«طبعًا، طبعًا»، قالت آليغرا بأسلوبها السلس جدًّا وبنغمة موسيقية مؤيّدة، وربّما ليس سوى أمّها وجوسلين فحسب، عرفتا كم شارف صبرها على النفاد إزاء ملاحظة برناديت التي تحاول تبيان أمرٍ بيّن في الأساس. ثم تناولت جرعة كبيرةً من كأسها، سمعت جوسلينَ صوت ابتلاعها عن بعد.

قال غريغ: «في الحياة الحقيقية، تنجذب النساء إلى ثروة الرجل المادية، وليس إلى روحه». وقد بدا أنه يقول ذلك بمرارة عالية ورموشه تنتفض.

تعرف جوسلين عددًا كبيرًا من الرجال المؤمنين بهذا الأمر. فتجدهم

يصرّحون في جلساتهم الخاصّة بأن النساء يهملن الرجال الطيّبين، متمنّين أن يصل كلامهم إلى أذن امرأة طيّبة. إنهم يدينون أنفسهم بصوت عالٍ، ويتأسّفون على طيبتهم التي يعتبرونها مقيتة والتي تخرج عن سيطرتهم. ولكنك عندما تتعرّف إلى هؤلاء الرجال عن كثب، تكتشف حقيقةً أنه ليست لديهم تلك الطيبة التي يدّعونها. ولكن لا فائدة حقًّا من الإشارة إلى هذه النقطة، فكّرت جوسلين، ولم تعلّق.

قالت برناديت: »ولكن أوستن تتعاطف قليلًا في النهاية مع ويللوبي، أحبّ ذلك الجانب عندما يتقدم هذا الأخير باعترافه إلى إلينور. يشعر القارئ بأن أوستن نفسها تلين قليلًا حياله مثلما تفعل إلينور على الرغم منها. لا تذهب الكاتبة بالطبع إلى وصفه بأنه إنسان طيّب، لأنه ليس كذلك، ولكنها تسمح بأن يشفق القارئ عليه للحظات معدودة ليس أكثر لأنها لو بالغت في ذلك، لكنتَ ستتمنّى رؤيته مع ماريان في النهاية».

فقالت آليغرا: «من حيث بناء القصّة، فإن اعتراف ويللوبي يضع حدًّا لتلك الحكاية الطويلة التي يقصّها براندون عليها».

تذكّر ملاحظة آليغرا بالاهتمامات التقنيّة من طرف الكاتب، فكّرت جوسلين. ربّما انفصلت آليغرا عن كورين ولكن طيفها لم يزل حاضرًا في قراءات هذه الأخيرة وفي آرائها. لعلّ جوسلين قد تعاملت بقسوة مع آليغرا، إذ لم تأخذ في حسابها وقع خسارة كورين عليها، عندما كانت تقدّر حزنها على فراق والدها. وشعرت جوسلين فجأةً بموجة حنان عارمة نحو آليغرا «حبيبتي، إنها تعاني».

قالت برودي: «مسكينة إلينور! فهي تعاني في وجودها بين ويللوبي من ناحية، وبراندون من ناحية أخرى. كأنها تقف بين نارين أو كما يُقال بالفرنسية: «*entre deux feux*».

لاحظت جوسلين وجود قليلٍ من اللون الأحمر على أسنان برودي،

وفكّرت أنه قد يكون أثر أحمر الشفاه أو ربّما النبيذ. وشعرت بميل حثيث إلى الاقتراب منها ومسح أسنانها بمحرمة ورقية، مثلما تفعل مع «صحارى» عندما تستدعي الحاجة، ولكنها سرعان ما ردعت نفسها عن ذلك، وتنبّهت أنها لا تمتلك برودي مثلما تمتلك «صحارى». كان انعكاس اللّهب يرسم وجه برودي فينير خطوطه البارزة ويترك المناطق الغائرة تحت خدّيها في عتمة الظل، فيما يضيف إلى لمعان عينيها الثاقبتين مزيدًا من البريق. ليست برودي جميلة مثل آليغرا، ولكنها جذّابة وتشدّ الأنظار إليها بطريقة ملفتة. ربّما ستبقى جذّابة في شيخوختها مثل الممثلة آنجيليكا هستن؛ ولكن ليتها تتوقّف عن التحدّث بالفرنسية، أو تذهب إلى فرنسا حيث ستبدو أقلّ غرابة.

قالت برناديت: «وكذلك لوسي، تُرى لما يفشي الجميع أسرارهم إليها؟ إنها توحي بالثقة بطريقة عفويّة».

ردّت جوسلين معلّقة: «أعجب لماذا لا يقع براندون في حبّها؟». لن تتمكّن جوسلين، حتى ولو أمضت مئة عام في البحث والتفكير، من معرفة قصد أوستن من عدم وقوع براندون في حبّ إلينور. فإن نسج مثل هذه العلاقة كان سيستهويها بالطبع. وأردفت: «إنهما مناسبان تمامًا».

ردّت آليغرا: «كلا، براندون بحاجة إلى الحيويّة التي تملكها ماريان، لأنه يفتقر إليها».

تتعطّش كورين إلى سماع الحكايات الحميمة والاعترافات. وفيما كانت آليغرا تميل إلى الشعور بالرهبة قبيل النشاط الجنسي، كانت كورين ترتاح إلى سماع الأسرار عقبه. «أريد الاطّلاع على كل ما يخصّك، وخصوصًا تلك الأمور التي لم تتفوهي بها إلى أحد من قبل»، قالت لها كما يقول المحبّون عادة، من غير أن يثير مثل هذا القول مطلق شكّ لدى الحبيب.

أجابت آليغرا معترضة: «عندما أبوح بأسراري، فإنها تتحوّل ولا تبقى أسرارًا».

«لا، ستبقى أسرارًا، لكنها سوف تصبح أسرارنا نحن الاثنتين، صدّقيني».

وهكذا شرعت آليغرا تخبرها:

1 - كان في مدرستنا الابتدائية صفّ خاص بأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة. كنا نراهم في بعض الأحيان ولكن غالبًا ما حرصت الإدارة على فصلهم عنا، فكنا لا نلتقي في الاستراحة الصباحية ولا في فرصة الغداء، وربّما كان دوامهم ينتهي عند الظهر.

وكان بين هؤلاء صبيّ يدعى بيل، يحمل كرة سلّة أينما ذهب، ويكلّمها أحيانًا.

كنت أفكّر أن ما كان يتمتم به إلى الطابة ليس سوى محاولة فاشلة للتحدّث بلغة إنسانية، وأنه جاهل لحقيقة أن الحديث الفعلي يتطلّب كلامًا حقيقيًا، وأناسًا يجيبون عليه. وكان يعتمر قبعة تصل حتى أذنيه اللتّين تبرزان من تحتها منتصبتين مثل أذني القزم دوبي في حكاية بياض الثلج (Dopey in *Snow White*). وكنت ألاحظ أن سائلًا ينحدر من أنفه في معظم الأحيان. لم أكن أرتاح إلى التفكير به ولا برفاقه، ونادرًا ما فعلت.

رأيته ذات يومٍ واقفًا عند حافة الملعب حيث لا يُسمح له بالوقوف. فتنبّهت إلى أنه قد يتعرّض إلى تأنيب المعلمة التي لا تتوقّف عن الصراخ. فتوجّهت نحوه وكلّي شعور بالفخر لكوني أهتمّ لأمره، ولأنّي سأتكلّم إليه وكأنه صبي عادي. ثمّ اقتربت منه ولاحظت أنه كان يمسك بعضوه الذكوري بيده، وما لبث أن دعاني إلى مشاهدته. كان عضوه يبدو منبطحًا فوق راحة كفّه وكأنه مثبّتٌ بدبابيس. وعدتّ بعد ذلك إلى رفاقي.

بعد مرور أسابيع على تلك الحادثة، جاء أبي بعد انتهاء الدوام ليصحبني إلى البيت. وكان مشغولًا عني بأمر ما؛ ولكي أستحوذ على اهتمامه، أخبرته أن صبيًّا في المدرسة يكبرني سنًّا أظهر أمامي عضوه الذكوري. كان ردّ فعل أبي على الخبر أكبر ممّا توقّعت، فندمت مباشرة على كلامي. ثمّ سألني عن اسمه، وتوقّف أمام صيدلية إلى جانب الطريق، ودخل إليها وفتّش في دليل التلفون عن اسم العائلة وعنوانها، وقاد السيارة إلى ذلك البيت وطرق بقوّة. فتحت الباب امرأة عقصت شعرها الرّمادي الشائب في ضفيرتين على طريقة الفتيات الصغيرات، فلفتني ذلك ووجدته غريبًا، إضافة إلى نظارتها ذات الطراز القديم. تكلّم أبي وشرعت المرأة في البكاء، وأجابته من بين الدموع بكلام غاضب تتخلّله ألفاظ نابية: «لا أحد منكم يعيرنا حتى ولا لحظة مقيتةً من اهتمامه». شعرت بالصدمة إذ لم أتعوّد سماع مثل ذلك الكلام من قبل. ثمّ انتقلت إلى التعبير عن يأسها، وقالت أخيرًا: «ماذا تنتظر مني أن أفعل؟».

«انتظر منك أن تتكلّمي إلى ابنك»، قال أبي، وما لبث أن انقطع عن الكلام عندما ظهر ابنها بيل وراءها، حاملًا طابته الحمقاء ومتمتمًا إليها.

كان لأبي أخ من ذوي الاحتياجات الخاصة مثل بيل، مات في الخامسة عشرة بعد أن صدمته سيارة. ولقد ترك ذلك أثره عليّ، إذ كنت أخاف دومًا من أن يمنعني غياب الجمال عن وجوه بعض الأطفال من محبّتهم، وبتّ أخاف من الإنجاب لهذا السبب بالضبط. غير أن أبي يؤكّد أن أمّه كانت تحبّ ابنها ذاك أكثر من أولادها الآخرين، وأنها طالما ردّدت أن حبّ الأم يتركّز على من كان أشدّ حاجة إليه من الأبناء والبنات.

حاول والدي بعد موت أخيه أن يشجّع أمّه على الخروج من البيت، وكثيرًا ما حاول مع أمي إقناع جدّتي بالخروج معهما إلى المسرح أو السينما أو إلى الحفلات الموسيقية، ولكن غالبًا ما رفضت دعواتهما.

وعندما يمرّ لزيارتها في البيت كان يجدها جالسة إلى طاولة المطبخ تنظر عبر النافذة إلى البعيد، وتقول: «لم يبقَ أمامي عمل مبارك آخر أقوم به في حياتي».

وهكذا، وقف بيل وراء أمه يتكلّم إلى طابته، وكان صوته مرتجفًا. اعتذر والدي ولكن والدة بيل لم تقبل اعتذاره.

«وما أدراك أنت بحالتنا؟ بينما ابنتك الجميلة سوف تتمكّن من الذهاب إلى الجامعة في يوم من الأيام، وتتزوّج، وتنجب لك أحفادًا سالمين ومعافين».

بعد أن ركبنا السيارة عائدين إلى البيت، قال أبي:

«لم أكن لأرغب قطّ، ولقاء أي ثمن، أن أثقل كاهل هذه المرأة بمزيد من الهموم. لا بدّ أنك كنت تعلمين أن الجزء الذي أخفيته من القصة كان مهمًّا. لماذا لم تفصحي عن الحقيقة كما هي؟ كنت سأتعاطى مع الأمر بطريقة مختلفة لو فعلتِ».

وبعد وصولنا إلى البيت، أمرني بالتوجّه إلى غرفتي مباشرة. لم أكن أعلم أنه سيغضب إلى ذلك الحدّ. وانتابني خوف بعد ذلك من أن أكون قد خسرت حبّه، خصوصًا وأنه راح يمتنع عن الإمساك بيدي أو حتى النظر إليّ.

حاولت الدفاع عن نفسي وتبرير سلوكي حتى أمام نفسي ولم أنجح. فكّرت بأني لم أكن أعلم بأنه قد يغضب، أو أن المرأة قد تغضب إلى تلك الدرجة. لم أتوقّع انهمار الدموع. لم أكن لأتفوّه بكلمة من كلّ ذلك لو أنني علمت. ولكن لماذا تفوّهت؟ كنت لا أسعى سوى إلى لفت انتباهه ليس أكثر. لم أخبر أبي بأن بيل كان من ذوي الاحتياجات الخاصة لأني كنت أعلم أن اهتمامه بقصتي سيكون أكبر لو كان بيل صبيًا عاديًّا. وفي الواقع، لم يزعجني تصرّف بيل في إظهار عضوه الذكوري أمامي، فقد بدا لي سلوكه بريئًا في تلك اللحظة.

2 - ذهبت مرةً برفقة والديّ إلى أحد المتاحف حيث عرضت مجموعة من لوحات فان غوغ. أعجبت بكثافة ألوانها، فقال أبي إن الفنان يرسم العالم كما يراه، وربّما قال شيئًا آخر، ولكن هذا ما فهمته. ورحت أفكّر كيف رأت عينا فان غوغ العالم بهذه الكثافة. لم أكن قد تساءلت يومًا إذا كنت أرى العالم كما يراه الآخرون، أو إن كنت أرى العالم بشكل أفضل، أو خاطئ، أو مختلف. كيف يمكن للإنسان أن يعرف ذلك؟ من أين كان لفان غوغ أن يعلم ذلك؟ هل ترين أنت الأشياء بمثل تلك الكثافة؟ لعلّه لم يخطر في بال فان غوغ قطّ طرح مثل هذا السؤال؟

وفي اليوم التالي، خرجت إلى حديقة بيتنا الخلفية واضطجعت على العشب الأخضر، ورحت أنظر إلى وجه الشمس مباشرة على الرغم من تحذير والدتي أن ذلك قد يعرّض الناظر إلى خسارة نظره. ولكنّي حلمت في تلك الساعة بأني سأصبح رسّامة مشهورة وسأرسم لوحات تبهر الأبصار.

3 - آمن والداي بأن أوقات الفراغ تفيد الأطفال لإيمانهما بفائدة الحلم والخيال. ولذلك، وحتى بلوغي الصفوف الثانوية، لم يكن عليّ القيام بنشاطات مبرمجة رياضية أو غيرها بعد عودتي من المدرسة، باستثناء بعض دروس البيانو التي لم تأخذ مني وقتًا طويلًا. كنت أقرأ كثيرًا، وأتسلّى بصنع الأشياء. كنت أفتش عن أنواع معيّنة من الزهور، وأتتبع مستعمرات النمل. والنمل لا يهدأ، فتراه في مجيء وإياب مستمرّ. ثمّ اتخذت تحت حمايتي مستعمرة نمل صغيرة تعيش عند مصطبة الباب المؤدي إلى حديقة الخضار التي تهتمّ بها والدتي. كنت محسنة إلى نملي في البداية، فكنت أحمل إليه قطع الكعك وطحينه؛ وأمشّط التراب حول وكره وأزينه بالأصداف، وأفكّر لو كان بإمكاني أن أجد صدفة كبيرة أدخل إليها وأبحث في المجهول.

ورحت أؤلّف جرائد متناهية في الصغر تتكلّم على الحوادث التي

تجري في عالم النمل. كانت الجريدة بحجم الطابع أوّلًا، ثم راحت تتسع قليلًا يومًا بعد يوم، إلى أن أصبحت كبيرة جدًا بالنسبة إلى حجم النملة. ولكني أردت سرد حوادث حقيقية على صفحاتها وليس خطوطًا توحي بأنها كلمات. على كل حال، تصوّري كم تكون صغيرة تلك الجريدة المناسبة لحجم النملة؛ حتى حجم الطابع بالنسبة إليها سيبدو مثل ملعب كرة سلة.

تخيّلت حدوث اضطرابات سياسية في عالم النمل، وانقلابات في الحكم وكنت أنقل الحوادث وأعلّق عليها. أظن بأني كنت أقرأ قصة حياة ماري ملكة الاسكوتلنديين *Mary Queen of Scotts* في ذلك الوقت. هل قرأتِ تلك السلسلة من الكتب ذات الغلاف البرتقالي والتي تصف طفولة مشاهير من التاريخ، وتنتهي في الصفحات الأخيرة بالكلام على إنجازاتهم التي جعلتهم من أصحاب الشهرة؟ كم أحببت تلك الكتب! أتذكّر قصّة بن فرانكلين، وكلارا بارتن، وويليام روجرز، وجيم ثورب، وإميليا إيرهارت، ومدام كوري. وتلك القصة حول أول طفل أبيض أبصر النور في مستعمرة رونوك في منطقة فيرجينيا، ولكني أظن بأن ذلك كان من نسج الخيال.

على كل حال كانت هناك مذكرة يومية قصيرة حول أخبار النمل. وكان يحدث أن تفرغ جعبتي من أخبار المؤامرات السياسية، أو أشعر بالضجر منها، فأذهب وأحضر كوبًا من الماء وأسكبه فوق تلّة النمل وأخترع فيضانًا. وإذا بالنمل يتبعثر في كل اتجاه ويعوم فوق الماء ويتخبّط في محاولات للسباحة من أجل البقاء على قيد الحياة. كنت أخجل من فعلتي وإنما مثل ذلك الحدث كان مادّة دسمة للجريدة. وكنت أقول في نفسي إن عملي هذا يبعث الإثارة في حياة المستعمرة ويخرجها من نمطها اليومي المملّ. وقد أسقط في اليوم التالي حجرًا عليها فيكون ذلك كهبوط كتلة غريبة من الفضاء الخارجي على الكرة الأرضية. وإذا بالنمل يتكوّم حولها

ثم يصعد فوقها وكأنه في حيرة من أمره ولا يدري ماذا عساه أن يفعل. ولا بدّ من أن يحفّز مثل هذا الحدث على وصول رسالتين أو ثلاثٍ من القراء إلى الجريدة. وفي نهاية الأمر لجأت إلى افتعال حريق في المستعمرة. كان لدي ميل دائم لألعب بعود الثقاب، فإذا بالحريق يخرج عن نطاقه الضيّق ويمتدّ إلى الحديقة. حريق بسيط أطفأه أخي دياغو بقدميه، غير أني رحت أبكي وأصرخ لخوفي من أن يدوس أخي فوق النمل ويسحقه.

إلى أي ملكة شريرة وظالمة كنت قد تحوّلت؟ أعدك بألا أسعى لأكون رئيسة للجمهورية في يوم من الأيام.

4 - وهناك قصة ذلك الشاب الذي مارست الجنس معه عندما كنت في الثانية والعشرين، لمجرّد أنه أبدى رغبته الشديدة في ذلك. كان طالبًا من إيرلندا التقيته في روما وسافرنا معًا خلال ثلاثة أسابيع. في ذلك المساء كنا في براغ قبيل موعد عودتي إلى الولايات المتحدة؛ تناولنا طعام العشاء ثم انطلقنا إلى الحانات، فشربت كثيرًا حتى رقّت عواطفي بشكل كبير، وطلبت منه أن نتبادل بعض الأشياء التذكارية للقائنا. قدّم لي صورته مع هرّته، وفي المقابل ألبسته خاتمي الفضي ولكنه كان ضيّقًا جدًّا على إصبعه، ولكن إصراري دفعني إلى الشدّ بالخاتم إلى تحت أكثر فأكثر حتى وصل قسرًا إلى المكان المطلوب.

وبعد أن عبّر لي عن امتنانه، وقال إنه لن ينزع ذلك الخاتم من يده طيلة حياته، حاول إخراج الخاتم من إصبعه فلم يفلح. تورّمت إصبعه واكتسبت ألوانًا غريبة فذهبنا معًا إلى الحمّام وحاولنا نزعه بالماء والصابون ولكن من دون جدوى. وكان إصبعه قد ازداد تورّمًا. عدنا إلى مكاننا وطلبنا من النادل شيئًا من الزبدة لعلّها أفعل من الصابون، غير أنها لم تكن ذات فائدة تذكر. أما وجهه فكان قد شحب أكثر من العادة وأصبح لونه غريبًا وشبيهًا بلون سمكة بيضاء. تعرفين شحوب الإيرلنديين عادة فإنهم لا يرون الشمس في بلادهم. عدنا إلى الفندق

فحاولت تسليته عن الألم بممارسة الجنس معه، ولكن ذلك الحلّ بدا قصير المدى جدًّا. فقد ازداد تورّم إصبعه الذي بات ثخينًا كالنقانق ولم يعد يتمكّن من طيّه.

وهكذا انطلقنا نفتش عن سيارة أجرة لتنقلنا إلى المستشفى. كانت الساعة قد قاربت الثالثة صباحًا والشوارع مظلمة وباردة وغارقة في السكون. سرنا حثيثًا وقطعنا منعطفات عديدة وكان يئن مثل كلب موجوع. عندما التقينا أخيرًا بسيارة أجرة، لم يكن باستطاعة السائق فهم الانكليزية فحاولنا إفهامه بأساليب مبتكرة، فقلّدت صفير سيارة الإسعاف، ومثّلت شكل الطبيب وسمّاعته. عندما تتخيّلين كل هذا، يجب أن تتخيّلي حالة السكر التي كنت فيها. لم أعلم ماذا فهم السائق منّي في البداية ولكنه أدرك أخيرًا مرادنا ولم يكن مكان المستشفى بعيدًا. انحرف إلى جانب الطريق ودعانا إلى النزول بعد أن قال شيئًا لم نفهمه وإنما اكتشفنا معناه التقريبي لاحقًا.

كان باب المستشفى مغلقًا فضغطنا على زرّ الهاتف الداخلي فردّ علينا شخص لا يتكلّم الإنكليزية أيضًا، وبعد أن طلب منا تكرار كلامنا لعلّه يفهم ما نريد، عاد وفتح لنا الباب ودخلنا. كانت الممرات مظلمة فتلمّسنا طريقنا حتى وصلنا أخيرًا إلى غرفة انتظار مضاءة فدخلنا. قبل مروري بهذه التجربة كنت أرى من وقت إلى آخر في أحلامي شيئًا من ذلك: ممرات مظلمة، وأصداء خطى، ودهاليز لولبية ومتعرجة، وإشارات وكلمات على الحيطان بلغة غير مفهومة. كنت أرى تلك الصور قبل أن أعيشها بالفعل، ولا زلت أرى مثلها أحيانًا حتى اليوم؛ أرى نفسي في مدينة غريبة محاطة بأناس يتكلمون لغات لا أفهمها.

وهكذا قصدنا مصدر الضوء ووجدنا طبيبًا، وكان لحسن حظنا يتكلم الإنكليزية. شرحنا له مشكلة الخاتم ولكنه نظر إلينا باستغراب قائلًا إننا في قسم الطب الداخلي وإنه اختصاصي بأمراض القلب. أمام

هذا الموقف المحرج شعرت برغبة جامحة لأعود إلى الفندق، ولكن الإصبع لم يكن إصبعي (مع أن الخاتم كان خاتمي). غير أن الشاب وكان اسمه كونور ــ لم يكن مستعدًّا للعودة.

«أشعر بألم لا يوصف»، قال كونور.

«تبدو ثملًا، ألست كذلك؟»، سأل الطبيب، ثم اصطحب كونور إلى مكان آخر وأخرج الخاتم من إصبعه بالقوّة. كانت العملية مؤلمة جدًا على ما يبدو، ولكن لم يمنعني ذلك من النوم في غرفة الانتظار. سألت كونور عن الخاتم بعد ذلك، فقال إنه ما زال في عيادة الطبيب، وإنه تكسّر ولم يعد صالحًا، فتخيلته مرميًا في أحد تلك الأوعية المعدن التي تشبه بشكلها المنحني شكل الكلوة. لم يؤسفني أبدًا أن كونور نسي الخاتم ولكن الخاتم من صناعة يديّ، ولما أحجمت عن استرداده لولا خوفي من فظاظة ذلك الطبيب. وقلت لكونور: «كنت أريد أن تحتفظ بذلك الخاتم لتتذكرني،» فأجاب: «لا تقلقي، فسوف أتذكرك بدرجة كافية جدًّا، بلا شك».

رنّ جرس الهاتف في المطبخ وذهبت آليغرا لتجيب. وكان المتّصل دانيال الذي بادر بالسؤال: «كيف حال والدتك يا حبيبتي؟».

ردت عليه بالإسبانية: «في أحسن حال، عندنا ضيوف»، وأضافت: «لمَ لا تسألها بنفسك؟». ثم وضعت سماعة الهاتف وعادت إلى غرفة الجلوس لتهمس في أذن سيلفيا: «إنه أبي. واتصاله يفضح شعوره بالذنب».

توجّهت سيلفيا إلى المطبخ والتقطت السماعة: «سلام، نعم دانيال؟». ثمّ أطفأت النور وجلست في الظلمة تحمل السماعة بيد وكأسها باليد الأخرى. كان ضجيج المطر عاليًا خصوصًا وأن مزاريب السطح تفرغ ماءها وراء حائط المطبخ مباشرة.

تحدث بنبرة تشكّي قائلًا: «ترفض آليغرا التحدّث إليَّ سوى بكلمات قليلة».

أمِلت سيلفيا أنه لم يقصد بكلامه دعوتها إلى تسوية علاقته بابنته، لا، لا يمكنها تحمّل مثل هذا القدر من المبالغة. كانت تعلم مقدار حبّه لابنته، وأحسّت رغمًا عنها بالعطف عليه، ولكنّها سرعان ما تنبّهت وأوقفت نفسها عن الانجرار وراء تلك المشاعر. غير أن الطقطقة المضحكة التي صدرت فجأة عن الثلاجة، والتي طالما أضحكت جميع أفراد العائلة معًا، كادت تضعفها وتليّن لهجتها مع دانيال، لولا أنها ضغطت بكأس النبيذ على خدّها وصمتت خلال دقيقة، ثم قالت بعد أن استعادت صلابتها: « أعطِها بعض الوقت».

قال دانيال: «تكلّمت مع شخص لكي يأتي يوم السبت ويصلح مرشّة الحمام في الطابق العلوي. لستِ مضطرة للمكوث في البيت فسوف آتي وأهتم بالأمر بنفسي. أردت إخطاركما بالأمر لعلكما لا تريدان رؤيتي».

«لم يعد هذا البيت يخصّك».

«بل ما زال يخصّني، لقد تخلّيت عن الزواج ولم أتخلَّ عنك. طالما أنت في البيت فسوف أتابع اهتمامي به».

«هذا كلام فارغ!».

علت قهقهة في غرفة الجلوس وصلت أصداؤها إلى المطبخ، فقال دانيال: «أتركك لتعودي إلى ضيوفك، سوف آتي يوم السبت ما بين الساعة العاشرة والثانية عشرة، اذهبي إلى السوق وابتاعي ذلك النوع من الفستق الذي تحبّينه كثيرًا. لن تشعري بأني كنت هناك، سوى أن المرشّة ستكون قد أصلحت».

التحقت كورين بمجموعة تضمّ عددًا من المؤلّفين الذين كانوا

يجتمعون مرّة في الأسبوع، وتوقّعت أن يساعدها الالتزام بموعد اللقاء على الانضباط في نشاطها الكتابي. وفي الواقع، لاحظت آليغرا أن كورين باتت تقضي مزيدًا من الوقت أمام الحاسوب، وقليلًا ما تخرج من البيت. ولاحظت أن مزاج كورين يتحسّن فباتت تتكلّم أثناء وجبة العشاء حول وجهات النظر المختلفة في التأليف، ووتيرة العمل، وبناء القصّة، وكلّها أمور عامّة وغير محدّدة كانت غابت عن أحاديثها.

وكانت المجموعة تستخدم قاعة في كنيسة كويكر *Quaker*[1] لاجتماعاتها من غير مقابل. وانطلاقًا من ذلك، طرح السؤال حول واجب المؤلّفين مراعاة مبادئ هذه الكنيسة في الأعمال التي يناقشونها في اجتماعاتهم. فهل من الحقّ استخدام قاعة الكنيسة من دون مقابل، ثمّ تناول أعمال ترتكز على العنف، وعلى مواضيع غير أخلاقية بين جدرانها؟ وبعد فائض من النقاش توصّلت المجموعة إلى القول بأن العنف في الكتب يساعد على الابتعاد عنه على أرض الواقع. ولكن، ومن حيث إنهم مؤلّفون، يجب عليهم قبل غيرهم رفض مبدأ القيد والمراقبة تحت أي اعتبار، وإن أرباب تلك الكنيسة لا يتوقّعون منهم غير ذلك.

أصبح للمجموعة موقعٌ كبيرٌ في حياة كورين إلى درجة أنّ عدم تمكّن آليغرا من التعرّف إليهم بدأ يثير غيرتها. كانت تسمع أخبارهم على لسان كورين ولكن عبر حكايات مختصرة فحسب. أما حجّة كورين في ذلك فهي أن أفراد المجموعة تعتمد معيارَي الثقة والكتمان.

ومع ذلك فإن كورين التي لا تجيد كتم الأسرار أخبرت آليغرا بأن امرأة في المجموعة ألّفت قصيدة حول الإجهاض وكتبت حروفها بالحبر الأحمر تمثيلًا للون الدم. وإن أحدًا كتب قصّة فكاهية تتناول الجنس

---

(1) كنيسة الصاحبيين وهي تختلف من حيث انفتاحها ومفاهيمها عن الكنيسة المسيحية التقليدية. (المترجمة).

على «الطريقة الفرنسية»، إلا أنها خلت من الفكاهة، وكان النصّ مثقلًا بالأخطاء والتصحيحات ولم يكن ممتعًا؛ ولكن ذلك الكاتب عاد ونجح في تقديم فصلٍ يتكلّم عن الرجال المتغطرسين، وعن خيانة الزوجات، بأسلوب فكاهيٍ لاذع وناجح هذه المرّة. كما وتكلّمت كورين عن تلك المرأة التي كتبت قصّة خيالية وذات حبكة متينة ولكن الكاتبة تصرّ على أن تكون عيون الشخصيات بألوان الأحجار الكريمة فهي إما صفراء أو خضراء أو حمراء. حاول أفراد المجموعة إقناعها بأن تكون ألوان العيون عادية ولكن من دون جدوى.

وفي ذات مساء ذكرت كورين أثناء العشاء أن واحدة من زميلاتها في المجموعة وتدعى «لين» سوف تقرأ من شعرها في المخزن الذي يدعى «*Good Vibration*» حيث تباع أغراض وأدوات لتحفيز اللذّة الجنسية. «سوف أذهب بمعيّتك»، قالت آليغرا من غير أن تشكّ لحظةً برغبة كورين في اصطحابها إلى ذلك المكان حيث ستتلو زميلتها شعرًا إباحيًّا في محيط يعوم بتلك الأشياء والألاعيب الملوّنة والمثيرة.

«لا أريدك أن تسخري من أحد»، قالت كورين وقد بدت غير مرتاحة لطلب آليغرا كليًّا. ثم نظرت إليها وتابعت: «أعلم أن نقدك قد يكون قاسيًا في بعض الأحيان. كلنا حديثات العهد في المجموعة. إذا لاحظت أنك تجدين لين سخيفة، فسوف أستنتج أني سخيفة مثلها؛ ولن أتمكّن من الكتابة إذا اعتقدت أني سخيفة».

أجابت آليغرا مدافعة عن نفسها: «لن يخطر في بالي قطّ بأنك سخيفة. كيف يمكنني التفكير بذلك، ثمّ إني أحبّ الشعر كما تعلمين».

«تحبّين ذلك النوع من الشعر الذي يتغنّى بالخضرة والأشجار والذي يناسب ذوقك. وهذا ليس الشعر الذي ستتلوه لين».

لم توافق كورين فعليًّا على ذهاب آليغرا، ولكن هذه الأخيرة تحمّست

للذهاب أوّلًا لكي تبرهن لكورين على قدرتها على الانضباط، وثانيًا بسبب رغبتها في الاطلاع ولو بلمحة سريعة على ذلك الجانب الآخر من حياة عشيقتها. فقد كانت آليغرا تقول لنفسها أحيانًا: تلك هي حياة كورين الحقيقية، تلك الحياة التي تمنعها كورين من أن تكون جزءًا منها.

سبعة مقاعد فقط كانت مشغولة من مجموع خمسين مقعدًا كانت قد رُصفت لأجل المناسبة. كانت لين متوتّرة بعض الشيء وإنما جذّابة في توتّرها. وبعد أن قرأت مقاطع متنوّعة من الشعر بلسان نهد المرأة الذي يصف معجبيه السابقين، تكلّمت عن بعض الصعوبات الشخصية والفنية التي تواجهها في شِعرها. كانت القصيدة جيّدة من حيث بنائها الموسيقي، غير أن لين اعترفت بأنها غير متأكدة من جودة عملها، ورجت الحضور بأن يعتبر أن ما تقدّمه لا يزال في مرحلة التطوير.

وعلى غرار الشعراء الكبار ألقى النهد شعره المؤثّر والرنّان. وكلّما صفّق الحضور تشجيعًا عند بعض المقاطع، حرصت آليغرا على التصفيق أيضًا مع أنها لم توافقهم الرأي حول أيّ المقاطع كان مثيرًا، وأيّها عاديًّا. وبعد انتهاء القراءة توجّهت مع كورين لتهنئة لين. فقالت إنها استمتعت جدًا بما سمعت من شعرها. ولكن، ومع أنها تكلّمت بشكل سليم لا تشوبه شائبة، لاحظت أن كورين ترمقها بنظرات حادّة تنمّ عن عدم الارتياح لحضورها. في الواقع، لم تكن كورين راضية عن مجيئها منذ البداية. وقد استأذنت آليغرا بحجّة الذهاب إلى الحمام، حيث غسلت وجهها ومشّطت شعرها، وتركت لكورين ملء الوقت لتتكلّم إلى لين بعيدًا عن مسامعها.

ذهبت جوسلين ومعها سيلفيا خلال فرصة نهاية الأسبوع لحضور عرض للكلاب في مكان يدعى كاو بالاس، ثمّ لحقت بهما آليغرا لتتناول معهما طعام الغداء. كانت كورين مدعوّة أيضًا إلى هذا المكان ولكنّها اعتذرت في اللحظة الأخيرة بحجّة أنّ الأفكار تتدفّق في رأسها

وتخشى من عدم التقاط الفرصة لتسجيلها على الورق. كانت جوسلين في غاية السرور فقد جاء كلبها «ثمبي» في المركز الأول بين بقية الكلاب من نوعه. ولقد نوّه الحَكَم بقوّة اندفاعه وسعة قفزته كما أثنى على جمال ظهره. وسوف يتبارى «ثمبي» في مجموعة كلاب الصيد في فترة بعد الظهر. إضافة إلى أنّه أصبح بإمكان جوسلين تزويج «ثمبي» إلى أفضل الكلاب التي تختارها. كان المستقبل يبدو مشرقًا أمامها. أما المكان فمليء بروائح الكلاب وضجيجهم في تلك الساعة، الأمر الذي حدا بالنساء الثلاث إلى حمل طعامهن والانتقال به إلى إحدى الطاولات المعدّة للمتنزّهين بعيدًا عن مكان الكلاب.

شعرت آليغرا بارتياح كبير حيث سيتسنى لها أخيرًا الكلام عن الشعر الذي سمعته مؤخّرًا. وعندما قالت بعض المقاطع التي ما زالت تذكرها، ضحكت سيلفيا ضحكًا شديدًا حتى وقع الطعام من فمها.

صمتت آليغرا بعد ذلك وبدت حزينة بالفعل فكأنها ندمت على إثم ارتكبته. ثم قالت: «أتمنى لو تقبل كورين مشاركتي ولو قليلًا. تخاف أن أهزأ بها. كيف يمكنها التفكير بهذه الطريقة؟».

قالت جوسلين: «انفصلت ذات مرّة عن صديقي لأنه كتب لي قصيدة تافهة يقول لي في مطلعها: 'عيناك الاثنتان' أيّ اختراع هذا؟ ألا يتمتّع كل الناس بعينين اثنتين أم إن هذه ميزة تخصّني؟ قد تقولين لا بأس بذلك، وإنه بلا شك قد وضع قدرًا كبيرًا من العواطف في ذلك الشعر، ولكني كنت متأكّدة بأنّي سأذكر ذلك التعبير السخيف في كل مرّة يقترب منّي ليقبّلني».

قالت سيلفيا: «لكنّ كورين كاتبة جيّدة بكل تأكيد، أليست كذلك؟».

وأجابت آليغرا: «بالطبع! كورين كاتبة جيّدة ورائعة!». ولكن كورين في الحقيقة لم تكن قد أتاحت لآليغرا فرصة قراءة أيّ سطر من كتاباتها بعد؛ مع أن الكتب التي أرادت آليغرا قراءتها كانت جيّدة.

ثم أضافت آليغرا: «ولكن هناك ملاحظة مهمّة،» ونادرًا ما تحدث

أمور جيّدة بعد مثل هذه الملاحظة بحسب تجربة جوسلين «لو كان أمامها أن تختار بين الكتابة وبين علاقتي بها، لاختارت الكتابة. هل يحقّ لي أن اتّخذ موقفًا بسبب هذه الحقيقة؟ ربّما كلّا لأني أنا نفسي أهتم بأمور كثيرة أخرى أيضًا».

وقالت سيلفيا: «ولكن لن تضطر كورين إلى مثل هذا الاختيار. ولن تضطرّي أنت إلى معرفة ماذا ستختار».

عندما وصلت آليغرا إلى الشقة التي تعيش فيها مع كورين، فوجئت برؤية لين تخرج للتوّ من الشقة. توقّفت لتحيّيها وتبادل معها بعض العبارات المرحة. كانت آليغرا قد أوقفت سيارتها في موقف بعيد جدًا بعد أن حاولت إيجاد مكان مناسب قريب ولم تفلح. ولكنها وعلى الرغم من شعورها بالحرّ الشديد وبالإرهاق والغضب، نجحت في التعبير مجدّدًا عن استمتاعها بشعر لين. ولم تكن آليغرا تقصد الكذب، فقد استمتعت حقًّا بما سمعته. وقالت لين: «حملت معي بعض الكعك تعبيرًا عن شكري لحضوركما. وكنت حقًّا مسرورة عندما وجدت كورين تكتب. يا لها من فتاة موهوبة!».

شعرت آليغرا بالغيرة لدى سماعها أن لين اطّلعت على ما تكتبه كورين. وحتى المرأة التي كتبت شعرًا حول الإجهاض بالحبر الأحمر اطّلعت على ما تكتبه كورين. «إنها أقاصيص مبهرة!»، قالت لين بحماسة. وتابعت: «أما أقصوصتها حول ذلك الصبي بيلي من ذوي الاحتياجات الخاصّة مع الكرة التي يتكلّم إليها، فتذكّر بشخصية الممثل طوم هانكس في أفلامه اللامعة، وحتى إن شخصية بيلي تبدو قريبة من الواقع إلى حدّ كبير».

سألت آليغرا: «هل كتبت كورين قصة حول صبي من ذوي الحاجات الخاصّة يدعى بيل؟».

وفكرت في نفسها أنها حتى إنها تغيّر اسمه؟ كيف يمكن لكورين أن تفعل ذلك؟ ألم تؤكّد لي إنها قادرة على الاحتفاظ *بأسرارنا*؟

وضعت لين يدها على فمها من غير أن تتمكّن من إخفاء ابتسامتها. كل ما يحدث بين أفراد المجموعة يجب أن يبقى سرّيًا. «كان عليّ ألا أتكلم. ظننت حقًّا أنها تطلعك على ما تكتب. عديني بألّا تذكري لها ما قلته لكِ. عديني أرجوك بألا تخبري أحدًا إطلاقًا». قالت لين كلماتها وراحت ترجو وتكرّر بطريقة مملّة تثير الاشمئزاز؛ فوعدتها آليغرا ألّا تخبر أحدًا لعلّها تتوقف.

دخلت آليغرا ووجدت كورين أمام الحاسوب، ولكن هذه الأخيرة سرعان ما ضغطت على الزر الذي يأمر الحاسوب بالتوقّف الموقت، فاختفى كل ما كان على الشاشة برمشة عين. ولكنه يكفي بأن تضغط على مطلق مفتاح لكي يعود كل شيء إلى الشاشة.

«هل زالت عنك حالة الجمود الابداعي؟»، سألت آليغرا.

«نعم، لقد عاد إليّ الوحي».

لاحقًا، طلبت كورين من آليغرا قصة جديدة مع أنهما لم تمارسا الجنس في تلك الليلة. نهضت آليغرا والمخدّة بين ذراعيها ونظرت إلى كورين. ثمّ جلست وأغلقت عينيها، فخرجت أذنها من بين خصلات شعرها العابث والمبعثر. ثمّ رفعت ذقنها فظهر جمال عنقها الأبيض كالثلج، وعبثًا حاول قميصها القطني البسيط إخفاء حلمتي نهديها البارزتين من تحته. إنه سحر البراءة المغرية بالتأكيد!

قالت آليغرا:

5 - إنها حكاية تلك الفتاة التي عرفتها في المدرسة الثانوية والتي أصبحت حاملًا. أحببتها عندما تعرّفت إليها وأشفقت عليها بعد أن أصبحت حاملًا... ليتك كنت سمعت الأخبار التي تناقلها الصبيان

بشأنها. توقّفت محبّتي لها بعد ذلك... ويبقى الجزء الأهم في القصّة، ولكني متعبة جدًا ولا أتمكّن من أن أقصّه عليك.

شعرت آليغرا بتأثير الكحول، أما احمرار وجنتي برودي وذهول عينيها فيؤكّدان أنها بالغت في الشرب أيضًا. وكانت قنينة النبيذ قد فرغت بسرعة قياسية، فطلبت جوسلين من آليغرا إحضار قنينة أخرى من المطبخ، وسألتها الاطمئنان على سيلفيا التي لم تعد إلى غرفة الجلوس منذ أن ذهبت لتجيب على اتصال دانيال. ما إن وقفت آليغرا حتى أحسّت بثقل في رأسها وساقيها، وتأكّدت بأن السّكر قد أخذ منها مأخذًا.

كانت سيلفيا تجلس في الظلمة والهاتف مقفلًا في حضنها. «أهلًا حبيبتي»، هتفت بصوت معتدل.

التظاهر بالهدوء غير مجدٍ، خصوصًا أمام آليغرا التي سرعان ما سألت: «كيف تتظاهرين بالهدوء وكأنك غير مهتمّة؟ وقد لاحظت بأن أمّها تتكلّم بغير طريقتها المعتادة، وأن صوتها مختلف ويوحي بأنها بالغت بشرب النبيذ أيضًا.

وقالت سيلفي: «بلى، إني مهتمّة».

«لا تخفي حقيقة مشاعرك. لن يلومك أحدٌ من الجالسين هناك إذا علا صوتك، أو قذفت بكأسك في الهواء، أو إن ذهبت إلى النوم، أو حتى إذا طلبت من الجميع المغادرة حالًا».

فقالت سيلفيا: «أرجوك يا عزيزتي، أرجو أن تتركي لي حرية التصرّف بما ينسجم مع شخصيتي، هل تعلمين أين كنّا عندما أخبرني دانيال عن رغبته في الطلاق؟ دعاني إلى العشاء في مطعم «بيبا»، وهو المطعم الذي طالما أحببت الذهاب إليه، ولكنّ طاولاته كلّها كانت دائمًا محجوزة. ولذلك فقد خطر في بالي، منذ دقائق فحسب، أن والدك كان قد حجز

طاولة في هذا المطعم قبل أسابيع، وراح طيلة تلك المدّة يتصرّف معي وكأن كلّ الأمور على ما يرام. يا له من تكتيك للتخلّي عن الزوجة».

«إني متأكدة بأنّه لم يخطّط لذلك مثلما تتصوّرين. لم يخطّط ماذا سيقول وأين. فلا يخطّط جميع الناس أمورهم مثلما تفعلين».

«ربّما أنت على حقّ، لا يتمتّع من يخرج من الحبّ بجلاء الفكر مثل المقبل عليه.

الحمد لله على انهمار المطر. لم نحظَ بنسبة كافية من المطر هذه السنة».

لاحظت آليغرا انعكاسًا باهتًا لوجه سيلفيا في زجاج النافذة، وفكّرت في تلك الدقيقة أنّها كانت ترى وجه أمّها من جانبيْه في آنٍ معًا. سيلفيا امرأة جميلة بالفعل، ولكن الجهد الذي ما فتئت تبذله منذ مدّة لتحافظ على صمودها جعلها تشيخ بسرعة مضاعفة. ها إن خطوط التقدّم في السنّ قد رسمت معالمها الأولى وبات في الإمكان توقّع النقاط التي سيضرب العمر عليها بإزميله في المراحل المقبلة.

ركعت آليغرا بصعوبة ووضعت رأسها في حضن أمها، وشعرت بأنامل والدتها تمشّط شعرها بحنان. وسألتها: «أي خبرة نملكها، أنتِ وأنا، بشأن الخروج من الحبّ؟ لسنا من النوع الذي يخرج من الحبّ، أليس كذلك؟».

نهضت آليغرا من سريرها بعد أن تأكّدت من أن كورين قد نامت، وتوجّهت إلى زاوية عمل هذه الأخيرة. وهناك أنزلت محتوى سلّة المهملات إلى الأرض ولم تكن تحوي سوى كمٍّ قليلًا من الأوراق المقطّعة نتفًا صغيرة جدًّا لا تخالها خرجت في الأصل من طابعة كورين. وبعد أن تمعّنت في تلك الأوراق وجدت كلمة «زيززيفا» منقوشة بحرف بارز على إحداها. استعانت بصبرها وراحت تجمع النتف بحسب ألوانها أولًا حتى صارت لديها ثلاث مجموعات. وكانت آليغرا عارية

سوى من قميصها القطني القصير، فشعرت بالبرد، فسحبت غطاء من خزانة البياضات وتدثّرت به، وجلست على الأرض تجمع نتف الأوراق لتصبح كلمات وجملًا مفهومة.

مكتبة
t.me/t_pdf

وبعد كثير من الصبر والإصرار، قرأت:

« قصّة الصبي الذي يسمّى 'بيلي بوي' لفتت انتباهنا، ولكننا ومع الأسف لم نجدها مناسبة تمامًا لما نريد نشره. سوف نعيد هذه القصة إليك مع التعبير عن رغبتنا في الاطّلاع على أعمالك الأخرى في المستقبل. نتمنّى لك حظّا سعيدًا. الناشر...».

ثمّ قرأت: «نعيد قصّة «وداعًا يا براغ» إليك لأننا نهتمّ حصرًا بقصص الفتيات المثليّات. نقترح عليك التعرّف أكثر إلى مجلّتنا. تجدين ربطًا مع هذه الرسالة قسيمة الاشتراك، مع تمنّياتنا لك بالتوفيق. الناشر...».

وبعد مرور عشر دقائق على اكتشاف الرسالتين الأولى والثانية، تجّمعت أمامها أحرف تبرز صيغة الرفض المطبوعة سلفًا التي تعتمدها تلك المؤسسة وهي تقول: « «قصّتك لا تتناسب مع منشوراتنا». ثم قرأت جملة واحدة أضيفت بخطّ اليد فوق تلك الكلمات: «من منّا لم يتسلَّ بتعذيب النمل في طفولته؟»».

خلطت آليغرا تلك الأوراق بسرعة وأعادتها إلى السلّة ونهضت تحترق بمشاعر الغيظ والمرارة؛ شعرت بأنها وقعت ضحية السرقة والغدر في آنٍ معًا. وفكّرت بغيظ أن إصرار كورين على إبعادها عن مجموعة المؤلّفين لم يكن في الحقيقة خوفًا من لسانها اللاذع. كم كانت قاسية في إصرارها على حمل آليغرا دومًا على التفكير بأنها مخطئة.

ولكن ذلك التصرّف كان بسيطًا أمام خيانة الثقة. كان المطر قد بدأ بالسقوط من غير أن تتنبّه آليغرا لذلك قبل خروجها، ولم تكن لتهتمّ بسقوطه كثيرًا مع أنها ما زالت في ذلك القميص القطنيّ القصير فحسب.

سارت طويلًا حتى وصلت إلى سيارتها، وقادت السيارة لتصل بعد ساعتين إلى منزل والديها استغرقت الطريق وقتًا أطول من العادة لأنها نسيت أن تحمل معها نقودًا لتدفع رسم المرور فوق أوتوستراد الجسر (ونسيت إجازة السوق أيضًا)، وكان عليها الانحراف والتوقّف عند جانب الطريق، على الرغم من شحّ ملابسها، لكي تبرّر للبوليس الأمر. وأخيرًا سمح لها بالمرور. إنها قوّة الإقناع العظيمة التي تجنيها الفتاة عندما تنفجر في نوبة بكاء مرير وتكون شبه عارية.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحًا عندما وصلت آليغرا إلى البيت مبلّلة حتى العظم. وسرعان ما أحضر لها والدها كوبًا من الحليب الساخن، وأخذتها والدتها إلى السرير. مكثت في السرير طيلة ثلاثة أيام لم تغادره سوى لاستخدام المرحاض. أما كورين فاتصلت مرارًا ورفضت آليغرا التكلّم إليها.

كيف تجرّأت كورين أن تكتب حكايات آليغرا السرّية وترسلها إلى المجلات لكي تنشرها؟

كيف تجرّأت كورين أن تكتب حكايات آليغرا بمثل ذلك الأسلوب الضعيف الذي حصد الرفض من الجميع؟

***

لا يمكننا إلقاء اللّوم على جين أوستن في عدم نجاح قصص الحبّ في كتبها ولا يمكننا القول بأنها لم تنذرنا بذلك. نجحت البطلة في الحبّ إلى حدّ مقبول، ولكن شخصيات عدة في الكتاب لم تحقّق نهايات سعيدة مثل إليزا حبيبة براندون في *العقل والعاطفة*؛ ومثل شارلوت لوكاس، وليديا بنيت، في *كبرياء وهوى*؛ ومثل ماريا بيرترام في *حديقة مانسفيلد*. عليكم كما لم تفعلوا من قبل أن تأخذوا هؤلاء النساء في الاعتبار.

كانت آليغرا شديدة الحذر من أن تنقل أي رأي يعود إلى كورين، ولكن عبثًا حاولت، فعبارات كورين تسارعت إلى لسانها كلّما تكلّمت. ترفض كورين الإطراء على كاتبة مثل أوستن تمحورت أعمالها حول موضوع الحبّ، فيما كانت مواضيع عدة أخرى تشغل العالم.

قالت آليغرا: «كل ما تكتبه أوستن ظاهر. فهي ليست الكاتبة التي تستخدم الصور التي عادة ما تحمل معاني لا يقولها النصّ بصراحة. أوستن تقول كل ما في جعبتها بشكل مباشر».

هزّت برودي رأسها بقوّة فطارت بعض خصلات شعرها ورست حول خدَّيْها، ثمّ قالت: «تستخدم جين أسلوب السخرية الخفيّة في نصف ما تقوله. والسخرية هي الطريقة لقول شيئين مختلفين في آن واحد، ذلك الأمر الذي تقوله، وعكسه (الذي تقوله أيضًا) في الكلمات عينها». حاولت برودي التعبير عن فكرة لم تكن قد تبلورت في ذهنها بعد، ففتحت يديها مثل غلافَيْ كتاب وأطبقتهما للتوّ. كانت حريصة، شأنها شأن كل من يصاب بالثمالة، على ألّا تفقد وقارها أمام الحاضرين. غير أن مظاهر الوقار التي تحاول إظهارها تبقى مصطنعة إلى حدّ ما حتى في الحالات العادية. ولذلك فإن الفارق في تلك الساعة لم يكن كبيرًا، ولم يتعدّ انزلاقًا لفظيًا هنا، وقطرة لعاب طائرة هناك.

ارتبكت آليغرا إزاء غموض ما قصدته برودي بحركة يديها مع أنها لاحظت أن كل ما حاولت هذه الأخيرة قوله، كانت تؤمن به هي في العمق أيضًا.

«نعم بكل تأكيد. وإني أجد أن الحسّ الفكاهي لدى أوستن هو الذي جعلنا نستمر في قراءة أعمالها بعد مرور قرنين. إنه على الأقل العنصر الذي يجذبني شخصيًا إلى كتبها. هل تشاركوني هذا الرأي، نعم أم لا؟»، ردّت برناديت. وبالطبع، لم تفهم برناديت ما كانت برودي تحاول طرحه

أكثر مما فهمته آليغرا. إلا أنها اختارت الردّ بالإيجاب لأنه يبدو أكثر تهذيبًا من النقض حتى عندما لا يكون الطرح مفهومًا.

قال غريغ: «القصص العاطفية تجذب الناس إليها، وتميل النساء إلى الرومانسية على وجه الاجمال. وأنا أيضًا أحبّها. ولا أقصد بالإشارة إلى النساء إني لا أحبّها».

عادت سيلفيا إلى غرفة الجلوس واقتربت من الموقد وحرّكت النار حتى أخرجت منها شرارات طارت وصعدت في اتجاه المدخنة كدواليب من نار. ثمّ أضافت حطبة كبيرة خنقت ما كان يتصاعد من لهب. ثم قالت: «براندون وماريان! ألا ترون في نهاية القصة وكأن ماريان كانت مادّة للبيع؟ والدتها وإلينور كانتا تصرّان بقوّة على زواجها من براندون. اكتشفت والدة ماريان وإلينور أن براندون رجل رفيع الأخلاق وقرّرتا مكافأته بهذا الزواج. يفهم القارئ أن ماريان لم تحبّه سوى بعد الزواج».

قالت برودي: «هذا ما أردت حقًّا الإشارة إليه، تريد جين أن تولّد لدى القارئ شعورًا بعدم الارتياح؛ ينتهي الكتاب بهذا الزواج، ولكن أوستن لا تقول بأن القصة وصلت إلى الغاية المرجوّة بالفعل».

جلست سيلفيا إلى جانب آليغرا فأُجبر غريغ على الابتعاد عنها قليلًا، وقالت: «قد تكون ماريان أنانيّة وما إلى ذلك، ولكن ما يؤسفني هو أن لا أحد من الشخصيات يرغب في أن يراها تتقدّم لكي تصبح أكثر توازنًا واستقرارًا. لا أحد، لا أحد البتّة يرغب في أن يراها على غير ما هي عليه بالضبط».

سألت آليغرا: «هل أراك تجدينها في حال أفضل مع ويلّلوبي إذًا؟».

فقالت سيلفيا: «نعم، ألست معي في ذلك؟». ثم انحنت إلى الأمام ووجهت كلامها إلى برودي قائلة: «أرى من الأفضل أن تأخذك جوسلين إلى

البيت هذه الليلة. ولا تهتمي لأمر سيارتك إذ باستطاعة دانيال أن يقودها إلى بيتك في الصباح». وقع صمت مفاجئ، ورفعت سيلفيا يدها لتغطّي فمها.

فبادرت آليغرا بالقول: «سوف أفعل أنا ذلك، سأقود السيارة إلى بيتك في الصباح».

بعد مرور ثلاثة أيام فقط على هروبها من شقتها في قميص نومها القطني لا غير، غادرت آليغرا السرير أخيرًا وتوجّهت بسيارتها إلى مركز فاكافيل للقفز في الفضاء. طلبت القفز فاستُقبل طلبها بالرفض لأنها لم تكن قد حجزت موعدًا للقفز في ذلك النهار مع أنها على معرفة جيّدة بقوانين المدرسة؛ أما لو كانت ترمي من العودة في ذلك اليوم مقاضاة المركز على الأذى الذي لحق بذراعها في المرّة السابقة، فحريّ بها أن تتذكّر الأوراق التي كانت قد وقَّعتها قبل عمليّة القفز والتي تؤكّد أن المركز لا يتحمل مسؤولية وقوع هذا النوع من الحوادث.

لم تقتنع آليغرا بما قيل لها وراحت تناقشهم في الأمر ضاحكة لكي لا يسيئوا الظن بمزاجها، أو بغايتها من الحضور. حتى إنها غازلت الرجال وسمحت لهم بمغازلتها؛ وأكّدت أنها جاءت من أجل القفز فحسب ولا ترغب في غير ذلك، حتى اقتنع أحد مدرّبيها ويدعى ماركو أخيرًا. بدا ماركو غير متأكّدٍ بعد من ميولها الجنسية الحقيقية... ليس لأنها لم تصارحه بشأن ذلك،بل بسبب سلوكها في ذلك اليوم الذي طرح علامات الاستفهام مجدّدًا. أرادت آليغرا في ذلك اليوم القيام بقفزة انفرادية من غير مدرّب، ولكن طلبها قوبل بالرفض قطعًا.

لبست آليغرا البزة البرتقالية الخاصة وطارت مع ماركو إلى الارتفاع المطلوب في الجوّ. ربط نفسه إليها على مستوى الكتفين والوركين وسألها: «هل أنت جاهزة؟»، ومن غير أن ينتظر جوابها، دفع بها إلى الخارج وقفز وراءها. وكان قد ألصق على جدار الطائرة بقرب الباب

الرمز الأصفر المعروف للوجه المبتسم وقد كتب تحته بخطّ عريض: «انطلق إلى الأعالي».

سبح الاثنان في الهواء وكانت الرياح قويّة وماركو قريبًا. شعرت آليغرا بالرّضا وقد نالت ما أرادت. السماء الزرقاء فوقها والتلال البنيّة تحتها؛ ووراءها تمتدّ الحقول الشاسعة المحيطة بمبنى الجامعة والمزروعة بشتول البندورة المهجَّنة، والمسكونة بأوجار البوم وبمزارع الأبقار الحلوبة. وهناك في مكانٍ ما إلى الشرق، يجلس والداها إلى مائدة الغداء. والداها اللذان يحبّانها ويحبّان أخويها ويحبّان حفيدتيهما، ويحبّ أحدهما الآخر إلى ما لا نهاية. شدّ باولو الحبل وسمعت آليغرا صوت المظلّة تدور وتنفتح، وسرعان ما أحسّت بقوّة جذبها.

عزيزتي الآنسة أوستن:

بكل أسف، نحيطك علمًا بأن كتابك لا يناسب ما نتطلّع إلى نشره في الوقت الحالي.

أرسل والد جين في عام 1797 قصّة *First Impressions* (الانطباعات الأولى) إلى ناشر في لندن يدعى توماس كاديل. وتقول الرسالة: من حيث *إدراكي لأهمية أن يكون أول ظهور لعمل من هذا النوع تحت اسم ناشر محترم، أتقدّم إليكم بطلب نشر هذا الكتاب*. وسأل عن كلفة النشر إذا اختار الكاتب نشرها على مسؤوليته الخاصّة. وكم ستكون الدفعة المالية الأولى إذا ما حظيت القصّة بإعجاب الناشر. كان والد أوستن مستعدًّا لدفع تكاليف النشر بنفسه.

غير أن الطرد البريدي أعيد إلى مرسله على الفور بعد أن كُتبت على ظهره عبارة: مرفوض ويعاد إلى مرسله.

ثمّ نشر الكتاب عينه بعد ستة عشر عامًا تحت عنوان *كبرياء وهوى*.

في عام 1803 اشترى ناشر من لندن يدعى ريتشارد كروزبي قصّة لأوستن بقيمة عشر ليرات إنكليزية. أعلن عن القصّة في كتيّب إعلاني ولكنه لم ينشرها. وبعد مرور ستة أعوام على ذلك، كتبت أوستن إلى كروزبي لتعرض عليه استعدادها لارسال نسخة جديدة من القصة، إذا كان قد أضاع النسخة الأولى، وإذا كان يرغب في نشرها حالّاً. وقالت إنه لو لم يكن راغبًا في نشرها فسوف تعرضها على ناشر آخر.

أجاب كروزبي بأنه غير ملزم بنشر الكتاب وإنه على استعداد لإعادته للكاتبة إذا ما أعادت له المبلغ الّذي دفعه. ثمّ نُشر ذلك الكتاب بعد موت أوستن بستة أشهر تحت عنوان: *دير نورثنغر Northanger Abbey*.

«كُتُب جين أوستن أيضًا تغيب عن هذه المكتبة. غياب هذه الكتب بالذات قد يصنع من مكتبة خالية من الكتب مكتبة جيّدة».

مارك توين[1] *Mark Twain*

وكتب رالف والدو إيمرسن:

أرى نفسي عاجزًا عن فهم الأسباب الذي تحدو بكثيرين إلى حسن تقدير قصص جين أوستن التي تبدو لي فظّة الأسلوب، وعقيمة من حيث الإبداع الفني، وسجينة الأعراف الإنكليزية البالية. إنها خالية من العبقرية الأدبية، ومن البراعة ومن المعرفة الواسعة. الحياة ليست قطعًا على تلك الصورة الضيقة التي تصوّرها كتب أوستن...، (أكثر ما يلفت في الشخصية ويجعلها مناسبة

---

(1) كاتب أميركي (1910 - 1835) عرف بنقده اللاذع لأدب جاين أوستن.

للزواج، بحسب الكاتبة، هو مقدار ما تملكه من مال...) ألا يكون الانتحار أفضل في هذه الحالة؟

رالف والدو إيمرسن[1] Ralph Waldo Emerson

نيسان/ أبريل

(1) كاتب وشاعر أميركي (1803 - 1882).

الفصل الثالث

نقرأ في مايو/أيّار كتاب

مانسفيلد باركMansfield Park

مع برودي

شعورها التام بالأمان في مثل هذا الاجتماع الهادئ على انفرا د معه... كان مصدر ارتياح لا يوصف لذهنها الذي نادرًا ما اختبر لحظة تخلو من مستبات الخوف أو الإحراج.

(مانسفيلد بارك)

كانت جوسلين قد تعرّفت إلى برودي منذ عامين خلال عرض نهاري لفيلم «مانسفيلد بارك». وكانت تجلس في مقعدٍ وراء مقعد برودي عندما بدأت المرأة إلى يسار برودي ثرثرة طويلة إلى رفيقتها التي بقيت صامتة. وكانت تخبرها قصصًا تافهة حدثت في إسطبل قريب. فقالت إن رجلًا وسيمًا يعمل على ترويض الأحصنة، ويبدو مثل رعاة البقر الحقيقيين بحذائه العالي وسرواله من نوع الجينز الأزرق وجاذبيته التي لا تقاوَم، كان يقيم علاقة جنسية مع الطبيبة البيطرية في الإسطبل، وقالت إن من يتقن تلطيف مزاج الأحصنة لا يصعب عليه شدّ امرأة إلى حضنه. والأحصنة كانت تشعر بالغيرة طبعًا، ومنهم «راجا» الذي امتنع

عن الطعام. ثمّ سألت: «هل يظنّ أنّه بات ملكها لأني أسمح لها بركوبه من وقتٍ إلى آخر؟».

كانت برودي شبه متيقّنة بأن المرأة تتكلّم عن الحصان. لم تنبس بحرف، بل راحت تعضّ بعصبية على أصبع حلوى السوس الأحمر الذي كانت تحمله وتفكّر بالانتقال إلى مقعد آخر. ولكنها، ولشدّة حرصها على أصول التهذيب، خافت من أن يبدو انتقالها اتهامًا للمرأة بالإزعاج. وكادت تسلّم بالأمر الواقع، وتنصت لتعرف ما إذا استمرّ «راجا» بإضرابه عن الطعام أم لا، مع ما لهذا الأمر من تشويش على متابعتها للفيلم، عندما انحنت جوسلين من الوراء، وقالت لتلك المرأة بحزم: «اذهبي وتابعي الثرثرة في الخارج؟».

أجابت المرأة بنزق: «ماذا تقولين؟ هل فيلمك هذا أشدّ أهميّة من حياتي الحقيقية؟».

ولكن سرعان ما صمتت، ولم تفهم برودي في الواقع إذا كان صمتها دليل شعورها بالإهانة. فالصمت يبقى صمتًا لا فرق إذا حدث نتيجة الإهانة أو المديح. واستمرّ ذلك الصمت لحسن الحظّ حتى نهاية الفيلم. ثمّ انصرفت المرأة الثرثارة عند نهاية الفيلم تمامًا، أي إنها لم تنتظر مرور الأسماء المشاركة في صنع الفيلم. غير أن برودي، المعجبة بأدب جين أوستن والوفيّة لها، بقيت في مقعدها حتى اللحظة الأخيرة، وحتى استعادت الشاشة بياضها. شعرت برودي، حتى ومن دون أن تلتفت إلى الوراء، بأن جوسلين كانت لا تزال في مقعدها أيضًا، فاستدارت لتشكرها.

وتبادلت الاثنتان الحديث فيما كانتا تسيران بين المقاعد، فاكتشفت برودي أن جوسلين تتحمّس مثلها إلى مقارنة الفيلم بالقصّة الأصلية. النصّ الأصلي يبقى على ما هو عليه، إنها الصلابة التي تتمتع بها الكلمة

المكتوبة. قد يتغّير مزاج القارئ فيفهم النصّ عينه بطريقة مختلفة ولكن النصّ يبقى كما هو. ثمّة كتاب يفاجئك بمضمونه الجيّد في القراءة الأولى، ولكنه لا يفاجئك بالقدر عينه في القراءة الثانية.

أما صانعو الأفلام فلا يحرصون على شيء من ذلك كما هو معروف. نلاحظ أن تغييرات كبيرة طرأت على كل الشخصيات في قصّة *مانسفيلد بارك* إذ تمّ اختصار دور السيدة نوريس خالة «فاني برايس» إلى حدّ كبير بسبب عنصر الوقت. أما خالها السيد برترام الذي يبدو بطلًا في الكتاب، فقد ظهر وكأنه يتاجر بالعبيد ومصابًا بالشذوذ الجنسي؛ كما ومرّت بقية الشخصيات في لمحات سريعة، أو أجريت عليها تغييرات أساسية. وأكثر ما يثير العجب هو دمج شخصية فاني مع شخصية الكاتبة نفسها، الأمر الذي أدّى إلى نتائج غريبة في بعض الأحيان. الاثنتان لا تتشابهان البتّة، فَانِي منطوية على نفسها، أما جين أوستن فمرحة. والنتيجة كانت شخصية غير منطقية قطعًا؛ فهي تفكّر وتتكلّم مثل جين، وتتصرّف مثل فاني.

تفهم برودي ما حدا بكاتب السيناريو إلى القيام بهذا الدمج. لا أحد يحبّ أدب جين أوستن أكثر منها ويشهد على صحّة ذلك كثيرون. ولكن برودي نفسها وجدت أن شخصية فاني برايس في الفيلم كانت غير مفهومة. فاني برايس في الكتاب هي تلك الفتاة المتزمّتة والمتمسّكة بقواعد حسن السلوك إلى درجة الإزعاج. هي مثل تلك الفتاة الصغيرة التي لا تخالف أوامر المعلمة في الصف، والتي غالبًا ما تشي برفيقاتها إذا خالفنَ. من هنا فإن كاتب السيناريو فعل ما فعله لكي يحافظ على درجة من القبول لشخصية فاني لدى المشاهد. كانت أوستن الحقيقية، بحسب ما كتب عنها، فتاة مرحة تضجّ حياة وجاذبية؛ أي تشبه إلى حدّ معيّن شخصية ماري كراوفورد المنافقة والمثيرة في *مانسفيلد بارك*.

وهكذا فإن أوستن أعطت ملامح من فطنتها وبريقها إلى ماري ولم

تعطِها إلى فاني. وطالما بحثت برودي عن سبب ذلك، خصوصًا وإن أوستن، مثل فاني، لا تؤيّد شخصية ماري مطلقًا في القصة.

استغرق الحديث حول كل ذلك وقتًا طويلًا، ولذلك قرّرت السيدتان الجلوس في استراحة «كافيه روما» لتناول القهوة معًا، والاستفاضة في تبادل الآراء. أما «دين» زوج برودي فقد اعتذر عن البقاء، وذهب إلى البيت لكي يتسنّى له التفكير بالفيلم على انفراد، إضافةً إلى متابعة مباراة كرة القدم بين فريقي مينيسوتا وسان فرنسيسكو.

بعد قراءتها الأولى للكتاب، اعتبرت برودي أن قصّة *مانسفيلد بارك* أقلّ جودة من قصص أوستن الخمسة الأخرى. ولكن رأيها بالقصة تحسّن مع مرور الأيام إلى درجة أنه عندما دعت سيلفيا إلى مناقشتها في اجتماع مايو، قررت برودي استضافة المنتدى مع أن المعلّمين هم أكثر الناس انشغالًا في شهر مايو.

توقّعت برودي أن يكون النقاش حارًّا حول هذه القصة، وكان في جعبتها شخصيًا الكثير بشأنها، فراحت تسجّل أفكارها وملاحظاتها في فهرس خاص. تؤمن برودي إيمانًا شديدًا بفوائد النظام في كلّ شيء، وكأنها ورثت صفات الكشفية بالفطرة. فهي تكتب قائمة بالأشياء التي يجب أن تنظّفها، أو تطبخها، أو تقولها. وكانت تستعدّ لاستقبال المنتدى بجدّية عالية وشعور بالمسؤولية.

ولكن النهار بدأ بحادث سيئ وغير منتظر وكأنه أنذر بيوم مشؤوم. فقد لاحظت برودي أن فيروسًا أصاب بريدها الالكتروني عندما فتحت حاسوبها في الصباح ووجدت رسالة من والدتها تقول: «أشتاق إليك وأفكر بزيارتك». ثمّ لاحظت وجود رسالتين إضافيّتين تحملان عنوان منزل والدتها وتحملان أيضًا ملاحق مرفقة ربطًا بهما. ولم تكن أمّها قد تعلّمت كيفية ربط ملحق برسالتها بعد. تقول الرسالة الأولى: «إليك الآن

هذه الأداة الفاعلة أرجو أن تعجبك». وتقرأ الرسالة الثانية: «إليك شيئًا قد يفرحك». والكلام عينه كتب في رسالة إلكترونية أخرى تبدو وكأنها أرسلت من عنوان سوزان التي تعمل في مكتب النظارة في المدرسة.

كانت برودي تنوي إرسال رسالة قصيرة إلى أعضاء المنتدى لكي تقترح عليهم الحضور عند الساعة الثامنة بدلًا من السابعة والنصف بسبب ارتفاع حرارة الجوّ في ذلك اليوم، ولكن خوفها من نشر الفيروس جعلها تحجم عن إرسال أي رسالة من حاسوبها حتى ولم تجب على رسالة والدتها.

كانت الحرارة المتوقعة لذلك النهار اثنتين وأربعين درجة مئوية. لم يطمئن خبر ارتفاع الحرارة برودي التي كانت تنوي تقديم حلوى الفاكهة المغليّة في القطر وفكّرت في أنّ أحدًا لن يرغب في تناول حلوى ساخنة في الحرّ، ولذلك فسوف تمرّ في طريق عودتها من المدرسة لكي تبتاع بعض الفاكهة وتعدّ نوعًا من البوظة الخفيفة والمنعشة. ولعلّ تقديم كؤوس من البوظة السابحة في البيرة «Root Beer Floats»[1] سيكون سهلًا ويضفي جوًّا من المرح.

استيقظ دين من نومه ومشى نحوها مترنّحًا وقبّلها قبل أن تغادر البيت بدقائق معدودة. كان يبدو وسيمًا في قميصه القطنيّ المفتوح حول العنق والذراعين (T – shirt) على غير ما يبدو معظم الرجال في مثل هذه القمصان. وكان دين قد أمضى معظم ساعات الليل أمام شاشة التلفزيون متابعًا مباريات كرة القدم. إنها المرحلة التأهيلية لمباريات كأس العالم التي سوف تظهر في عروض مباشرة قريبًا على الشاشات بحسب توقيت اليابان وكوريا. «سأتأخر في العودة إلى البيت اليوم»، قال لها، وكان دين موظفًا في شركة تأمين.

---

(1) Root Beer بيرة غير تقليدية، وغير مسكرة غالباً، تصنع من لحاء شجر ساسافراس الأميركي.

«أستضيف منتدى الكتاب اليوم»، قالت له.

«أي كتاب تناقشون؟».

«*مانسفيلد بارك*».

قال دين: «لن أشارككم النقاش حول هذا الكتاب، سأحاول رؤية الفيلم لاحقًا».

«سبق وشاهدت الفيلم، ما بالك؟»، أجابت برودي بقليل من العصبية. كيف لا يتذكّر أنهما شاهدا الفيلم معًا؟ ولمع في بالها في تلك اللحظة أنه قصد إغاظتها من باب المداعبة ليس إلا. عادة ما تتنبّه إلى مثل هذه المداعبات بسرعة ويشهد لها كل من يعرفها بذلك، ولكن كثرة مشاغلها نجحت في تشتيت أفكارها في ذلك الصباح.

«كم من السنين مضت يا عمتي على تلك الجلسات عندما كنا نستعيد فيها أزمنة حكم ملوك بريطانيا، بحسب التسلسل التاريخي وفترات اعتلائهم العرش، ومعظم الحوادث المهمّة التي مرّت خلال عهد كل منهم!».

> *«... ونستعيد تواريخ حكم الأباطرة الرومان حتى الأقل شأنًا بينهم مثل سيفيروس؛ إضافة إلى أحاديثنا حول الأساطير الوثنية، وحول المعادن، والأحجار نصف المعدنية، والكواكب والفلاسفة المعروفين».*
>
> *مانسفيلد بارك*

طلبت برودي من تلاميذها في الحصة الثالثة ترجمة فصل من كتاب *الأمير الصغير*، *Le Petit Prince* من الفرنسية، «*La seconde planète était habitée par un vaniteux*» وجلست على أحد المقاعد الخلفية لتكمل إعداد ملاحظاتها تحضيرًا لمنتدى الكتاب. (بعض أسرار مهنة

التعليم هي أن يختار المعلم لنفسه مقعدًا يتيح له رؤية التلامذة، ولا يتيح لهؤلاء رؤيته. وما من أمر أشدّ إيذاء للمعلّم من عكس ذلك. أما استخدام اللوح فهو أسلوب المغفلين).

كان الجوّ قد أصبح حارًّا جدًّا، والهواء ثقيلًا ويذكّرك بروائح الخزائن المقفلة. جلست برودي في ثوبها الصيفي المعقود بشريط رفيع عند الظهر، والعرق يرسم خطوطه حول عنقها والقلم ينزلق من بين أصابعها. لم تكن تلك المباني حيث تعطي حصصها مبرّدة بحجّة أن استخدامها كان مؤقّتًا (ولن يطول أكثر من عمر مسرحيات شكسبير!). يصعب على المعلم شدّ انتباه التلامذة إلى دروسهم في معظم أيّام السنة، وخصوصًا في شهر مايو. فاشتداد الحرّ في هذا الشهر يجعل من التركيز أمرًا مستحيلًا. أدارت برودي عينيها في غرفة الصف فوجدت أن عددًا من التلامذة قد ألقوا برؤوسهم فوق مناضدهم وكأنهم أوراق خسّ ذابلة.

اكتشفت برودي تباطؤًا كبيرًا في إتمام العمل المطلوب، بل إن معظم التلامذة يتهامسون، أو ينامون، أو ينظرون إلى البعيد من النافذة.

وراح الهواء الساخن ينفخ بقوّة فوق أسطح السيارات المركونة في محاذاة المبنى. وكانت الطالبة ليزا ستريت قد وضعت أوراقها على ركبتيها وأحنت رأسها فغطّى شعرها الطويل وجهها وعينيها. لاحظت برودي أن إحساسًا بالانقباض قد وصلها بمجرّد النظر إلى تلك الفتاة. هل هي هالة الكآبة التي تلفّ ليزا منذ أن هجرها صديقها؟ كانت على علاقة عاطفية بطالب من الصفوف العليا، ولا شكّ أنه ما برح يمارس ضغوطه عليها يوميًّا لكي تستسلم بجسدها إلى رغباته. كم تتمنّى برودي أن يكون سبب ابتعاده عنها هو رفضها لطلبه وليس انصياعها له. ليزا فتاة لطيفة تسعى لأن تكون محبوبة من الجميع. ولكن توقّع استمرارها في الدراسة حتى المرحلة الجامعية قد لا يكون عاليًا إذا استمرّ اعتقادها بأن عليها أن تكون محبوبة لكي تستمرّ. ثمّ سمعت برودي تري نورتن يقول

كلامًا سيئًا وبذيئًا دفع رفاقه إلى الضحك. فكّرت برودي أنها لو نهضت من مكانها لتحقّق في الأمر، ستجد حتمًا إليجا والاس وكاتي سينغ يلعبان معًا لعبة الرجل المشنوق (The hangman). قد يكون إليجا مثليًّا من حيث ميله الجنسي من غير أن يدرك ذلك بعد. وربّما لا تلاحظ كاتي ذلك أيضًا. ولكن لن تذهب برودي بعيدًا في أملها بأن تكون الكلمة السرية التي يستخدمونها في اللعبة «فرنسية».

ما الفائدة في الواقع من إرسال المراهقين إلى المدرسة؟ ما الفائدة من ذلك بالفعل؟ أدمغتهم مشوّشة بكمّ كبير من الفيرومونات[1] التي قد يكون من المستحيل معها فهم أنظمة معقّدة في الرياضيّات والكيمياء، وكم بالحري فكّ ألغاز لغة أجنبية! لماذا إضاعة الوقت في مثل هذه المحاولات الصعبة؟ فكرت برودي في أنها تستطيع بسهولة القيام بكل الأمور المتبقية مثل مراقبة العلامات التي تنذر بميل المراهق إلى الانتحار، أو إلى اقتناء الأسلحة، أو التي تشير إلى الحمل، أو إلى الإدمان على المخدرات، أو إلى الهوس الجنسي. ولكن أن يُطلب منها أيضًا تعليمهم الفرنسية فذلك يصبح ضربًا من المبالغة.

تتألم برودي في بعض الأحيان لدى ملاحظة ازدياد بثور حبّ الشباب على وجه أحد طلابها أو طالباتها، أو لدى رؤية طبقات متلبّدة من مكثّف الرموش على رموش إحدى الطالبات؛ ويؤلمها عندما ترى أن التهابًا أصاب بشرة أحدهم نتيجة عمليات ثقب الجلد بغية تعليق الحلى حول الأنف أو الحاجب أو الفم. معظم الطلاب والطالبات هم أجمل بكثير مما يتصوّرون. (ولكنها تشعر أيضًا، وفي الوقت نفسه، بأن هؤلاء المراهقين هم مصدر بلاء في حياتها التي كانت ستكون مريحة لولا وجودهم فيها.)

---

(1) هرمونات تنبعث من جسم الانسان أو الحيوان وتؤثر في محيطه. (المترجمة).

وفي المقابل، إن الطالب تري نورتن كان وسيمًا وواثقًا من وسامته ـنظراته جذّابة ويرتدي ثيابًا فضفاضة ويمشي متبخترًا ـ إنّها الوسامة التي لا تقاوم (*Beauté du diable*[1]). «ثوب جديد!؟»، قال متوجّهًا إلى برودي عند بداية الحصّة وقبل أن يجلس في كرسيّه. فقد جال بنظره عليها، من رأسها إلى أخمص قدميها، وأطلق تعليقه المربك، والمثير لغضب برودي في آن معًا. تعلم برودي تمامًا ضرورة الظهور بثياب لائقة في مكان العمل. ولكن ماذا كان عساها أن تختار سوى هذا الثوب الذي يكشف قليلًا عن صدرها استعدادًا لمواجهة هذا النهار الحارّ بامتياز؟ هل كان عليها ارتداء بزّة رسمية في مثل هذا الجوّ؟ وتابع تري تعليقه: «لا شكّ بأن الجو حارّ جدًّا».

كان يحاول استمالتها لكي تمنحه نقاطًا إضافية وأعلى مما يستحق؛ ولكن برودي كانت أكبر سنًّا من أن تضعف أمامه. وكانت تتمنّى لو بلغت من العمر مبلغًا يجعلها أكثر مناعة. تجد برودي نفسها فجأةً، وهي في نهاية العقد الثاني من عمرها، غير قادرة على مقاومة الإغراء والرغبة في معاشرة كل رجل تقع عليه عيناها.

لا تنتمي برودي إلى مثل هذا النوع من النساء، ولذلك فإن أسباب ذلك تعود على الأرجح إلى عوامل كيميائية محضة. إنها تبتلع في الواقع، مع كل نفس تتنشقه في هذه المدرسة، «حساءً» من فيرومونات هؤلاء المراهقين. ثلاثة أعوام طويلة من الاختلاط الدائم بهم لا بدّ أن تترك بصماتها بهذه الطريقة.

حاولت برودي مرارًا تحويل أفكارها نحو أجواء قصص جين أوستن، حيث أثواب الدانتيل والقبعات الإنكليزية الرائعة؛ وحيث التجمّعات والرقصات الريفية، والبساتين الخضر والقصور الظليلة، والتطلّعات

---

(1) جملة فرنسية تعني: جمال الشيطان.

المستقبلية الواعدة...، غير أن أسلوب الإسكات هذا بات يرتدّ عليها بتأثير معاكس، وسرعان ما يعود الجنس إلى اجتياح مخيّلتها من جديد. يخطر في بالها أحيانًا أن تطرح هذه المشكلة أمام زملائها وزميلاتها في غرفة المعلمين والمعلمات، فتتصوّر نفسها تقول: «هل تتعرّضون في بعض الأحيان مثلي إلى... ».

تشعر برودي بأنها كانت أكثر استقرارًا من الناحية الجنسية وهي لا تزال طالبة في الصفوف الثانوية؛ ولعل ذلك يضيف إلى أسباب خوفها الآن. ولكنّها لا تذكر من تلك المرحلة ما يوحي إليها حقًا بالرضى. كبرت برودي بسرعة وازداد طول قامتها في عمر مبكر، حتى أصبحت في الصف السادس الأطول بين جميع رفاقها. «لا داعي للقلق فسوف يلحق جميعهم بك»، قالت أمها يومًا من غير أن تسألها برودي، (أفلا يشير ذلك إلى أن المشكلة كانت قد أصبحت واضحة للعيان؟)، وكانت أمها على حقّ؛ إذ إن معظم رفاقها من الشبّان كانوا قد أصبحوا أطول منها ببوصة، أو اثنتين، أو أكثر مع حلول موعد التخرّج.

ولكن ما لم تعرفه أمها أو ما لم تتكلّم عنه، هو عدم جدوى حدوث ذلك في هذا الموعد المتأخر؛ ففي نظام طلاب المدارس الثانوية «الإقطاعي» تتحدّد المراكز منذ البداية. قد تنجحين كفتاة في تغيير شعرك وملابسك. وقد تتمكّنين، بفضل الخبرة التي اكتسبتها قسرًا، أن تكتبي بحثًا حول يوليوس قيصر بغير الأسلوب اللغوي التقليدي الصحيح والمطلوب. أو يمكنك، حتى لو استخدمت ذلك الأسلوب، ألّا تخبري أحدًا بأنك فعلت. يمكنك استبدال النظارات بعدسات لاصقة، والتعويض عن تميّزك الأكاديمي بعدم إتمام واجبك البيتي. قد يزداد طول كل الشبّان في المدرسة اثنتي عشرة بوصة، وقد يتغيّر وجه الشمس، ولكنك ستبقين في الخانة التي وُضعتِ فيها في البداية؛ خانة الفتاة غير الجذّابة كما كنت دائمًا بنظر الجميع.

وخلال تلك المرحلة كانت برودي تلاحظ أينما ذهبت بصحبة والدتها، إلى السينما أو إلى المطعم أو الشاطئ، أن الرجال الذين كانوا ينظرون عادة إلى والدتها باتوا ينظرون إليها، ويحاولون الاقتراب جدًّا منها في مخزن المواد الغذائية مثلًا بقصد ملامسة صدرها. وكانوا يحاولون الجلوس قريبًا جدًّا منها في الباص، ولا يتوانون عن التحرّش بها في صالة السينما. رجال في الثلاثين كانوا يصفّرون عندما تقطع الطريق من أمامهم. كانت برودي تشتعل غيظًا فإذا بهم يفرحون لغيظها وكأنه الهدف الذي يطمحون إليه؛ وكلّما اشتدّ غيظها ازداد سرورهم. وفي الجامعة، عندما طلب منها أحد الشبّان الإذن في تقبيلها لأوّل مرّة، ظنّت بأنه قصد السخرية منها.

لم تكن برودي إذًا جميلة، ولم تكن ذات شعبيّة، ولكن ذلك لا يشكّل بالطبع عذرًا لكي لا تكون لطيفة. حاولت برودي التعويض عن هشاشة مركزها الاجتماعي في المدرسة عن طريق الاشتراك في تعذيب بعض الطلاب المنبوذين بالفعل. كانت تجد في ذلك حينها تكتيكًا معيبًا وإنما ضروريًّا لصرف نظر بقيّة الطلّاب عنها. أما الآن فقد تحوّل كلّ ذلك بالنسبة إليها إلى ذكريات لا تطاق. هل كانت حقًّا على هذه الدرجة من القسوة؟ ربّما لم تكن هي نفسها التي جعلت ميغان ستوهل تتعثّر بقدميها وتقع على الإسفلت، ولا هي نفسها التي رفست كتب تلك المسكينة وبعثرتها على الأرض. تعلم برودي الآن أن ميغان ستوهل ربّما كانت من ذوي الاحتياجات الخاصة إلى حدٍّ معيّنٍ، إضافة إلى كونها فقيرة الحال جدًّا.

ومن موقعها كمعلمة، تحرص برودي الآن على الانتباه إلى مثل هؤلاء التلامذة، وعلى تقديم كل مساعدة ممكنة لهم. (ولكن ماذا تستطيع المعلمة أن تفعل؟ لكنها بلا شكّ قد تسبّبت في دفع بعض الأمور إلى الأسوأ، مثلما ساهمت في تحسين بعضها الآخر). وربّما

كانت حاجة برودي إلى التعويض، أو إلى التكفير عن الذنوب، الدافع الحقيقي إلى اختيارها مهنة التعليم، مع أن ذلك الدافع كان يبدو حينها نابعًا من حبّها لفرنسا، وعائدًا إلى عدم ميلها إلى الدخول في صلب المناهج الدراسية. قد لا تخلو دوافع معلم في الصفوف الثانوية إذًا من حسابات يريد تسويتها، وكفّة ميزان يريد ترجيحها.

تفاصيل قليلة جدًّا في *مانسفيلد بارك* تؤيّد إمكان حدوث تحوّل أساسي في طبيعة الشخصيات. كتبت برودي في ملاحظاتها: «الصفات الشخصية تتحدّد في وقت مبكر»، وأتبعت جملتها بأمثلة: «تتحسّن أخلاق هنري كراوفرد الفاسق مؤقتًا، وسرعان ما يعود إلى طبيعته؛ العمّة موريس والشابّة ماريّا تستمرّان في سلوكهما الحقير والخاطئ بقدر ما يستمرّ إدموند وفاني باحترام أصول اللياقة والأدب. لا أحد يتغيّر في القصة سوى طوم الذي يتمكّن من ذلك بعد أن يتعرّض لخطر الموت وقبيل نهاية القصّة».

وكان ذلك كافيًا ليعطي برودي أملًا في قدرتها على تغيير ما في ذاتها. ربّما لم تكن على هذا القدر من السوء الذي تتصوّره. ربّما تستحق المغفرة حتى من جين.

ولكن، وفيما هي غارقة في تفكيرها بهذه الطريقة، وفيما كان القلم ينزلق بين أصابعها صعودًا ونزولًا، اجتاحت رأسها أمور وصور لا بدّ أنها غير قابلة مطلقًا للغفران حتى من جين. وما إن رفعت عينيها عن الصفحة، حتى رأت تري نورتن وكان قد أدار رأسه نحوها لينظر إليها. لم يفاجئها الأمر لأن تري نورتن حسّاس في رصد الأفكار البذيئة، كما المسبار حسّاس في رصد المياه. ابتسم لها ابتسامةً كما لا يجب أن يبتسم طالب ثانوي لمعلمته، (أو كما لا يجب أن يخطر في بال معلمة لمجرّد رؤية أسنان طالب تلمع). «اغفري لي يا... جين...!»، تمتمت في سرّها.

«هل تريد شيئًا يا تري؟»، سألته برودي بعد أن أسقطت القلم من يدها، ومسحت أصابعها المتعرّقة بفستانها.

«تعرفين ما أريد»، أجابها. ثم تعمّد الصمت لبضع لحظات قبل أن يرفع يده بالأوراق التي كتب عليها.

نهضت من مكانها لكي ترى، ولكن ما لبث الجرس أن دقّ معلنًا نهاية الحصّة. «انصرفوا الآن!»، قالت برودي بالفرنسية وبنغمة لعوبة. وكان تري أوّل الخارجين من الصف. أما بقية التلامذة فانهمكوا بجمع أوراقهم وكتبهم قبل أن يذهبوا لمتابعة النوم في الحصّة التالية.

«أقيمت هذه الكنيسة، كما ترونها، في عهد
الملك جايمس الثاني».

مانسفيلد بارك.

كان لدى برودي حصّة شاغرة فقطعت باحة المدرسة ودخلت إلى المكتبة المبرّدة والمجهزة بجهازَيْ حاسوب، وبالانترنت. مسحت العرق بيدها عن عنقها ووجهها ثم مسحت يدها بذيل فستانها، وفتحت بريدها الإلكتروني. وإذا بقائمة طويلة من تلك الرسائل غير المرغوب بها والتي تذهب من عروض المساعدة في تنظيم ديونك، إلى أدوية تساعد في تقوية العضو الذكري، إلى بعض أسرار الحرف اليدوية، إلى نكات ووصفات طعام، وإلى إعلان عن أدوية بأسعار بخسة، أو عن أشخاص مفقودين. كذلك إعلان عن حلّ مشكلة الرسائل التي تحمل ملاحق غامضة؛ ووجدت برودي ستّ رسائل إضافية من هذا النوع. لم يستغرق التخلص من كل تلك الرسائل أكثر من دقيقة، ولكنها دقيقة غالية من وقتها لا تريد التفريط بها، خصوصًا وأنها لا ترغب في استقبال مثل هذا النوع من الهراء في كل يوم. توقّعت برودي أن تعود كل هذه الرسائل التافهة إلى بريدها غدًا، وكل يوم. أيّ وقت لديها لتصرفه هكذا؟

وفكّرت كما تقول عبارة فرنسية معروفة: *elle a la mer à boire* (لها أن تشرب البحر...).

جلس كاميرون واتسن أمام الحاسوب المجاور. كاميرون مراهق محدودب الظهر له أنف طويل ودقيق كمنقار عصفور، وهو في السابعة عشرة ولكنك تخاله لم يتعدّ سنّ الحادية عشرة. كان طالبًا في صفّ برودي منذ سنتين، ويسكن مع عائلته في منزل قريب من منزلها. أما والدة كاميرون فكانت مع برودي ضمن مجموعة تشترك في استثمار بعض مدخّراتها في بورصة الأسهم. مرّت أيام أعطت فيها أسهم شركات الألياف الضوئية وغيرها في حقول التقنيات الحديثة عائدات جيّدة جدًّا. أما الآن فلم يبقَ من أعمال تلك المجموعة سوى خرائب من اليأس ومن الاتهامات المتبادلة. ولم تعد برودي تلتقي بوالدة كاميرون إلا نادرًا.

أخبر كاميرون برودي مرّةً أنه يرغب في تعلّم الفرنسية لأن لديه صديقًا فرنسيًّا يتبادل معه الرسائل الالكترونية. ولكن لم تلاحظ برودي أنه يملك ذلك الاستعداد الخاصّ لتعلّم اللّغات. وبعد أن التحق بصفّها وكان يتمّم واجبه المنزلي على أكمل وجه، كانت ظنون برودي تذهب فورًا إلى الصديق الفرنسي المساعد. كاميرون شابّ حادّ الذكاء، وهو نموذج لذلك المزيج العجيب من البراعة والسذاجة التي يتميّز بها المهووسون بالمعلوماتية من سكان الضواحي. كانت برودي تلجأ إليه من أجل حلّ كل ألغاز حاسوبها وتبذل جهدها في المقابل لكي تتقبّله وتتعامل معهه بمودة.

«وصلت إليّ رسائل تبدو وكأنها مرسلة من عناوين أناس أعرفهم، ولكنها ليست كذلك. وكلّها تحتوي على ملاحق؛ ولكني لم أفتحها ولم أقرأها. أحجم الآن عن إرسال أي رسالة من حاسوبي الخاص خوفًا من أن أساهم في انتشار المشكلة».

«لا بأس؛ إنه فيروس إلكتروني أرسل إليك بقصد الأذية»، قال من غير أن ينظر إليها. وفيما انحنى ليعاين شاشة حاسوبه، كان يضغط على الفأر، ويتابع: «إنه الفيروس الذي يستنسخ نفسه في كل الرسائل. أرسله صبيّ في الثالثة عشرة يعيش في هونكونغ. يمكنني أن آتي إلى بيتك وأنظف حاسوبك منه خلال دقائق معدودة».

«سيكون ذلك عظيمًا»، أجابت برودي.

«لو كانت لديك تقنيّة DSL لاستطعت أن أفعل ذلك من بيتي. ألا تكرهين أن تكوني مقيّدة إلى هذا الحدّ بالجغرافيا. لا تتأخري بالحصول على DSL».

قالت برودي: «إن بيتك قريب من بيتي، وقد صرفت مبلغًا كبيرًا من المال عندما اشتريت هذا الحاسوب. أتظنّ أن بإمكاني تحديث حاسوبي من غير تغييره؟». (درجت برودي منذ سنوات على استشارة كاميرون حول هذا النوع من مشترياتها، وكان هذا الأخير عالمًا بمواصفات حاسوبها أكثر منها). منذ سنتين فقط، لم يكن دين مقتنعًا بضرورة الحصول على DSL.

قال كاميرون: «لا تذهبي بهذا الاتجاه!». ربّما كان يتكلّم إلى الشاشة وليس إليها؛ غير أنّ برودي لم تُبعِد احتمال أن يكون كلامه موجّهًا إليها، فهو معجب بزوجها كثيرًا ولا يتحمّل سماع أي كلام قد يتناوله بالنقد.

ثلاثة طلاب آخرون دخلوا إلى المكتبة، وكان واضحًا أن لديهم واجبًا يتطلّب البحث. فتحوا قائمة الكتب، وسجّلوا بعض الملاحظات في دفاترهم، ثم تكلّموا إلى المسؤولة في المكتبة. كان تري نورتن أحد الثلاثة. لم تتعرّف برودي إلى الشابّ الثاني، ولكنها تعرف الفتاة فهي سالي وونغ ذات الشعر الطويل واللّامع والنظارات الصغيرة. تتمتّع سالي بموهبة في اللّغات وتتقن اللّفظ بالفرنسية، وكانت ترتدي بلوزةً

قصيرةً زرقاء ذات شرائط متعاكسة على الظهر، وتكشف عن كتفيها اللامعتين بسبب مزيج العرق وذلك الكريم البرّاق التي تستخدمه معظم الفتيات في المدرسة. ولاحظت برودي أن سالي كانت من غير حمّالة صدرها في ذلك النهار.

توجّه الثلاثة إلى الممرّات الفاصلة بين رفوف الكتب ودخل كل منهم في ممرٍّ مختلف. غير إن نورتن وسالي ما لبثا أن التقيا في ممرّ كتب الشعر، وكان باستطاعة برودي مراقبة ما يجري في أربعة من تلك الممرّات بفضل انعكاس واضح للمشهد على شاشة الحاسوب الذي أمامها. رأت برودي نورتن يزيح شعر سالي بيده ثم يهمس شيئًا في أذنها. انتقل الاثنان إلى الممرّ المجاور تمامًا قبل أن يدخل الشاب الآخر إلى ممر كتب الشعر، وكان الشاب ذا بنية ضخمة وملامح توحي بالجديّة. وبدا حائرًا يفتّش عنهما، فيما تعمّدا التهرّب منه. وما إن دخل ذلك الشاب إلى الممرّ المجاور حتى عاد الاثنان إلى مكانهما السابق.

كان كاميرون مسترسلًا في كلامه وما زال يستعرض شاشة حاسوبه صعودًا ونزولًا منشغلًا في أكثر من عمل واحد في الوقت عينه. «أنتِ بحاجة إلى نطاق خاصّ بك من الألياف الضوئية. لم تعد مسألة التحديث الآن تتوقّف عند زيادة سرعة الحاسوب أو سعة ذاكرته. تحتاجين إلى حجز موقع لك على شبكة الانترنت. لم يعد ينفع ذلك النمط من المعلوماتية المتعلّقة بجهاز مهما تكن سعته، وتجلسين إليه لتعملي. أقلعي عن التفكير بتلك الطريقة. وفي كل حال، أستطيع أن أزوّدك ببرنامج مجاني لمحاربة الفيروسات».

وإذا بنورتن وسالي يظهران في مكان المجلّات الدورية. ضحكت سالي فيما انزلقت يده فوق كتفها وراح يداعبها. ولكن ما إن سمع الاثنان صوت خطى الشاب الآخر حتى ازداد ضحك سالي، فشدّها نورتن إلى ممرّ آخر وأصبح الاثنان خارج نطاق المراقبة بالنسبة إلى برودي.

وقال كاميرون: «يمكنك اليوم الاستمتاع بما يشبه خطًّا هاتفيًّا مجانيًّا يصلك بجميع أقطار الدنيا، وتشاهدين أفلام فيديو تنقل إليك أحداثًا من الواقع بصورة فورية، إضافةً إلى نظام التراسل الفوري. ستتمكنين من طيّ حاسوبك كما تطوين فوطة من قماش أو ورق؛ وسوف تعيشين في داخله وتخرجين من خلاله إلى العالم بأسره. لقد انتقلنا إلى عالم «أفلام ماتريكس» تقريبًا».

لم تكن برودي متنبّهة لما يدور حولها، ولعلّها لو تنبّهت حتى، لما استطاعت أن تدرك متى حدث كلّ هذا التغيير. شعرت بانزعاج من شدّة البرودة التي أحدثها المكيّف، ولكن السير حثيثًا إلى غرفة الصفّ سيعيد الدفء حتمًا إلى أوصالها من جديد.

عاد نورتن وسالي للظهور في مكان المجلّات، وها هو يشدّ بها نحو زاوية مجلّات *ناشيونال جيوغرافيك* ويقبّلها.

أضاف كاميرون: «ليس حاسوبك اسمًا بعد الآن؛ إنه «فعل وبالفعل»!».

اقترب الشاب من مكان الحاسوب ليكلّم كاميرون؛ غير أنه لو التفت إلى شاشة برودي لطالعه مشهد سالي وونغ تطبق شفتيها على لسان تري نورتن. ولكنه لم يلتفت، بل توجّه إلى كاميرون لائمًا: «مكانك ليس هنا الآن بل علينا أن نعمل كلّنا معًا».

«سوف أنضمّ إليكم بعد دقائق. وأين البقية؟». أجاب كاميرون من غير أن يبدي تأسّفًا أو اهتمامًا يذكر.

جلس في كرسي قريب وقال: «دخلنا معًا أما الآن فلا أجدهما. لن أقوم بأي عمل بمفردي. ولن أقوم بإتمام البحث وحدي ثم أذيّله بأسمائكم كما تتوقّعون».

وإزاء رؤية جسد سالي ملتصقًا بنورتن وذراعيها حول عنقه، توقّف

انزعاج برودي من برودة المكيّف. عندئذٍ أجبرت نفسها على التوقّف عن المراقبة واستدارت نحو كاميرون.

استمرّ كاميرون في الطباعة. كان بإمكانه حبك نكتة فورية من وحي ما يحدث مع صديقه المرتبك، ولكنه لا يملك حسّ الفكاهة. وراح يعبّر بحماسة فائقة عن إعجابه بالتصميمات المستخدمة في ألعاب الفيديو DOOM[1] (دوم) العنيفة كانت أصابعه تطوي وتفتح تلقائيًا لشدّة حماسته ولكنه سبق وأن غاب عن الوعي مرّةً في صفّ قيادة السيارات إثر مشاهدة الفيلم المرعب *Blood on the Highway* (دماء على الطريق السريع). لا بدّ أن تؤثّر حادثة فقدانه الوعي سلبًا على ملفّه في المرحلة الثانوية، ولكنّ ساهمت تلك الحادثة في طمأنة برودي أن كاميرون ليس ذلك الشاب الذي قد يحمل بندقية ذات يوم في المستقبل القريب ويطلق النار في أروقة المدرسة. بل يؤكّد ذلك أنه يعرف الفرق بين ما هو حقيقي وما ليس كذلك.

وفي لمح البصر تخيّلت برودي نفسها في تلك الزاوية حيث رفوف مجلّات *ناشونال جيوغرافيك* في المكتبة تقبّل كاميرون فاستعاذت بالله ومحت تلك الصورة من مخيّلتها على الفور. ثم نظرت إلى كاميرون بوجه يخلو من كلّ تعبير وراحت تحاول تركيز انتباهها على ما يقول. وكان يقول: «ماذا لو تغيّرت الخطة ولم يأتِ أحد؟».

ورسم كاميرون حركة غريبةً بيديه، فقد ضمّ طرفي الإبهامين إلى بعضهما وطوى بقية أصابعه.

سالت برودي: «ماذا يعني ذلك؟».

«إنه رمز متّفق عليه للوجه المبتسم(*Emoticon*)؛ وهذا لكي أقول إني أقصد بكلامي المزاح فحسب».

---

(1) لعبة فيديو يقودها اللاعب بنفسه وتعتمد على العنف والرعب.

أجاب على سؤالها من غير أن ينظر إليها، ولكنه لو فعل لما استطاعت أن تنظر إليه في المقابل. «يا لهذا الجيل المحظوظ»، قالت في نفسها. «يكسبون كمًّا من الأصدقاء من غير أن يقابلوهم بالفعل، ومن غير أن يُجبروا على الكشف عن أمور لا يرغبون في الكشف عنها.

«لو كان في الإمكان القول بأن إحدى قدراتنا الطبيعية هي أشدّ عظمة من غيرها، لقلت إنها الذاكرة... الذاكرة تكون أحيانًا عالية القدرة على الحفظ، ومفيدة جدًّا، ومطيعة جدًّا، وتكون أحيانًا متلعثمة جدًّا وضعيفة جدًّا، وأحيانًا أخرى ظالمة وخارجة عن السيطرة!».

مانسفيلد بارك

تحبّ برودي بنوع خاصّ الصفحات الأولى من قصّة *مانسفيلد بارك*. تتكلّم هذه الصفحات على والدة فاني برايس وخالاتها؛ الأخوات الثلاث الجميلات وكيف تزوّجن. ويذكّرها ذلك بحكاية الخنازير الثلاثة الخرافية. الأخت الأولى تزوّجت من رجل ثري. والثانية تزوّجت من رجل محترم وذي دخل محدود. أما الثالثة وهي والدة فاني فتزوجت من رجل فقير. وعندما ازداد فقر والديّ فاني برايس عن الحدّ المقبول، تمّ إرسال الفتاة إلى منزل خالتها الثرية وزوجها لتعيش معهما. كلّ الأمور تغيّرت عندئذٍ وانطلقت أحداث القصة لتذكّر القارئ بأجواء قصّة *سندريلا*. هناك من تكلّم أيضًا عن القصص الخرافية في المرّة الماضية. هل كان غريغ؟ قرأت برودي مئات القصص الخرافية في طفولتها، وبقيت قصة «اثنتا عشرة إوزّة *The twelve Swans*» المفضلة لديها.

وجود الأهل وركوب المغامرات أمران لا يلتقيان بحسب برودي. إنها الفكرة التي وصلتها عبر الكتب والتي ما برحت ترافقها منذ الطفولة.

عاشت برودي نفسها، على كل حال، من غير أب ولم ترَ شيئًا من أبيها سوى تلك الصورة المعلّقة على الحائط والتي تحمل رسم رجلٍ شابّ في بزّةٍ عسكرية قيل لها إنه قتل خلال مهمّة سرّية أوكلت إليه في كمبوديا عندما كان عمرها تسعة أشهر. لم تصدّق برودي ما قيل لها على الرغم من جاذبيّته، وليس هناك بنظرها ما يحملها حقًّا على تصديقه. غير أن المشكلة تكمن في والدتها التي لم تتخلّ عن ابنتها، ولم توكل أمر رعايتها إلى أحد، ولن تفعل ذلك على ما يبدو مهما واجهت من صعوبات، وكيفما تصرّفت برودي.

كانت والدة برودي لطيفة ومحبّة ومتسامحة ومرحة. ولكنها كانت دائمًا مرهقة جدًّا وإلى درجة تثير الاستغراب. كانت تقول إنها تعمل في مكتب، وإن عملها ذاك يسبّب لها شدّة الإرهاق، حتى إن مجرّد الاستلقاء مساء على الأريكة لمشاهدة التلفزيون كان مجهدًا أحيانًا بالنسبة إليها. وكانت تقضي معظم عطلة نهاية الأسبوع متمددة في الفراش أو نائمة.

ارتابت برودي من الأمر. لا شكّ في أن أمّها كانت تغادر البيت في كل صباح بعد الفطور مباشرة ولا تعود إليه قبل موعد العشاء، وقد ذهبت لزيارتها أكثر من مرّة في المبنى الذي تعمل فيه (مع العلم أن أمها كانت تصرّ دائمًا على معرفة موعد الزيارة مسبقًا)، وكانت تجدها دائمًا هناك. ولكن برودي لم ترَ أمّها مرّةً وهي تزاول عملها، بل كل مرة تجدها تتكلّم على التلفون. فكرت برودي مرّة: «ماذا لو كانت أمّي تعمل في حضانة للأطفال، فإن قولها 'أنا متعبة' ما كان ليلقى أذنًا صاغية».

قبيل حلول عيد ميلاد برودي الرابع، وجدت الأم أنها غير قادرة على إقامة حفلة يكون المدعوّون إليها بمعظمهم أطفالًا في الرابعة. ولكنها وعدت برودي بأن الاحتفال بعيد ميلادها سيكون قريبًا «بعد غدٍ، أو ربّما في اليوم الذي يليه»، ثم لم يحصل الاحتفال، إلى أن قدّمت إلى برودي ذات يوم هديّة (من غير غلاف جميل) وكانت عبارة عن قرص مدمج

(CD) يحمل أغاني للأطفال. واعترفت الأم إذ ذاك بأن أيامًا كانت قد مضت بالفعل على موعد عيد ميلاد برودي الحقيقي، واعتذرت عن ذلك التأخير.

رمت برودي بالقرص وبنفسها على الأرض. كانت لديها كل الأسباب المحقّة لكي تبكي، وتستخدم كل ما تملكه طفلة في الرابعة من تشبّث وعناد وإصرار. وفي المقابل، لم يكن لدى أمها سوى الحيلة التي تتمّتع بها شابّة في الثالثة والعشرين. فإذا بالمشكلة الكبرى تجد حلًّا في أقلّ من ساعة.

كان لدى برودي ملء الثقة والقوّة لكي تضرب الأرض بقدميها ويديها ولكي تجهش بالبكاء والعويل. حاولت الأم التكلّم إليها من غير أن تتمكّن برودي من سماع شيءٍ غير صراخها. أما الشيء اليسير الذي سمعته عندما توقّفت عن الصراخ لحظةً لتلتقط أنفاسها، فكان مهينًا بدرجة كافية لإسكاتها. نعم لقد مضى عيد ميلادها، أعلنت الأم مجدّدًا بعد أن وجدت الحلّ في قصّة من صنع خيالها، واجتهدت لكي تقنع برودي بأنها احتفلت بعيدها بلا أدنى ريب. وانطلقت تصف لابنتها الحفلة والبالونات وأقراص الحلوى الصغيرة المزينة بالسكر الملوّن، إضافةً إلى *بيناتا* (Pinata)[1] على شكل حبّة فراولة كبيرة وممتلئة بالهدايا الصغيرة. وقالت إن برودي أطفأت كل الشمعات وكانت ترتدي قميصها المزيّن برسم وحيد القرن المفضّل لديها. وكانت برودي مضيفة ممتازة وطفلة رائعة وغير عاديّة إلى درجة أنها، وبعد أن فتحت الهدايا، طلبت من المدعوّين استرجاعها على الرغم من أن إحدى تلك الهدايا كان السنجاب الذي يمصّ إبهامه، والذي أحبّته برودي منذ أن رأته في محل الألعاب ورجت من أمّها شراءه. وأفاضت الأم بالثناء على برودي التي

---

(1) علبة كرتونية كبيرة تصنع بألوان وأشكال مختلفة.

برهنت على عدم الأنانية عبر ذلك السلوك الاستثنائي...، «كم أعجبت جميع الأمهات بها...، لقد كانت حقًّا مصدر فخر لأمها في ذلك النهار!».

نظرت برودي عبر ستار كثيف من الدموع، وعبر خصلات شعرها المبعثر فوق وجهها. «من هم المدعوون؟»، سألت.

«لا تعرفينهم،» أجابت الأم من غير تردّد.

لم تتراجع أمّها قيد أنملة عن قصّتها، بل استمرّت طيلة الأيام التالية في تجميل المشهد. ونادرًا ما جلست الاثنتان إلى طاولة الطعام (والوجبة المسائية المفضلة كانت من الكعك الطري المدهون بالزبدة، فذلك لا يترك وراءه أكثر من سكين واحد في حوض الجلي) من دون أن تسترسل الأمّ في وصف ما حدث في العيد من مرح، ابتداءً من لعبة التفتيش عن الكنز، ووصولًا إلى قبعات القراصنة الكرتونية التي يحبّها الأطفال في أعياد الميلاد، وإلى البيتزا اللذيذة المصنوعة كما يفضّلونها في سنّ الرابعة أي بالجبنة لا غير، وبطبقة غير كثيفة منها. وتأكيدًا للحكاية، استخرجت الأمّ من عمق الخزانة كيسًا مفتوحًا من الفوط الورقية المزيّنة بصور الخنافس الملوّنة لتقول بأنه كان قد بقي من الحفلة.

«لم يتصرّف بقية الأطفال حسنًا كما فعلت برودي بل دفع أحدهم رفيقه واحتاج هذا الأخير إلى المساعدة. وبكى طفل آخر لأن الأولاد سخروا منه وقالوا إنه جبان كالدجاجة». وكانت الأم تستحضر كل هذه التفاصيل بحماسة وتشويق وتنظر بتحبّب إلى برودي وتدعوها للدخول إلى ذلك العالم الخيالي الرحب والمعطاء قائلةً: «ألا تذكرين؟».

لم يستمر صمود برودي في رفض الفكرة بضعة أيام، بل ما لبثت أن انجذبت إلى اللعبة ودخلت في أعماقها. وفي ذات مرّة كانت تشرب عصير البرتقال من قنينة بلاستيك صغيرة صنعت على شكل برتقالة كانت أمها قد اقترحت غسلها والاحتفاظ بها، قالت برودي بحذر:

«أتذكّر مهرّجًا في عيد ميلادي». كانت قد بدأت بالفعل تتصوّر تلك الحفلة الخيالية أو على الأقل بعض أجزائها. كان باستطاعتها أن تغلق عينيها وترى: ورق الهدايا المزيّن بالنجوم؛ شرائح الجبن السائلة فوق البيتزا؛ والفتاة البدينة التي شاهدتها مرّة في الحديقة العامة بعد أن ربحت الجائزة في لعبة رمي الحلقات. وكانت قد كلّمت رفيقتها روبرتا في الحضانة على علبة الهدايا الكبيرة التي تشبه حبّة فراولة ضخمة. ولكن وجود المهرّج كان مرفوضًا ولن تتمكّن من قبوله. لا تكره برودي شيئًا بقدر ما تكره المهرّجين.

ومن جديد نجحت الأم في عدم الوقوع في الفخّ. احتضنت برودي بذراعيها، وكان ذقنها يلامس رأس برودي ويضغط عليه برفق، وقالت: «لن أسمح في حياتي لمهرّج بدخول هذا البيت».

أثبتت اللّعبة نجاحها، فاستحقّت الإعادة في عيد «هالوين Halloween»[1]، وفي كل مرّة شعرت الأم بحاجة اللجوء إليها. كأن تقول لابنتها: «اشتريت علبة الحليب هذا الصباح ولكنك شربتها». أو «شاهدنا هذا الفيلم معًا ولكنه لم يعجبك». وحرصت دائمًا على الابتسام وكأنها تستمتع بتلك اللعبة الشيّقة مع ابنتها. (أما في أوقات اللعب الحقيقي، فكانت توكل إلى برودي مهمّة رمي الزهر دائمًا وتحريك الأحجار عنها، وتتعمّد بأن تكون برودي الرابحة في كلّ مرّة).

في بعض الأحيان يخيّل إلى برودي أن زمن طفولتها كان مليئًا بالحفلات الرائعة، وبالنزهات المتعدّدة إلى نادي الألعاب المائية (Marine World)، وإلى مطعم البيتزا المشهور (Chuck E. Cheese) حيث الألعاب المتنوعة، وحيث يوجد أشخاص في ثياب أرانب أو

(1) عيد قيام الموتى، ويحتفل به في الغرب عادةً بارتداء الأقنعة والأزياء الغريبة. (المترجمة).

فئران ضخمة، يعزفون على الغيتار ويغنّون أغاني إلفيس (Elvis). لا بدّ أن بعض هذه الأمور كان قد حدث بالفعل، ولكن غالبًا ما لم تتمكّن برودي من معرفة أيّ تلك الأمور بالضبط. وبدأت بتدوين يومياتها، واكتسبت عادة تدوين كل شيء، ولكن كم كان من الصعب عليها تسجيل ما يحدث معها بدقّة.

وكان من الصعب عليها خصوصًا أن تكون صادقة حول ما يتعلّق بشخصها وسلوكها. وراحت تشعر، حتى قبل أن تصبح قادرة على ترجمة مشاعرها إلى كلمات بوقت طويل، أن شيئًا مختلقًا أو بالأحرى مصطنعًا يحيط بشخصها، ليس في دفتر اليوميّات فحسب، بل في العالم الحقيقي أيضًا (الذي لا تعرف ماذا يكون بالفعل)، ومرّت سنوات طفولتها، وأصبحت وراءها مثل خريطة من غير محطّات واضحة، أو مثل حفنتين من ماء وهواء لا غير. ومن بين كل الأمور التي كان عليها اختلاقها كان أمر اختلاق شخصيتها هو الأصعب.

وفي ذات مساء، وفي الوقفة الاعلانية أثناء عرض فيلم *البطل الأميركي الأعظم* على التلفزيون (كانت والدة برودي مأخوذة بحياة هؤلاء الأبطال المثقلة بالأحزان وبمشاعر الذنب. في هذا الفيلم، يعطى أحد المعلمين بزةً سحرية حمراء وقدرات خارقة راح يستخدمها في محاربة الجواسيس والمجرمين؛ وكأن غرفة الصفّ ليست المكان الأشدّ حاجة إلى القوى الخارقة). تذكّرت الأم أنها ذهبت مع برودي مرّة قبيل حلول عيد الميلاد إلى مركز «ماسي» التجاري المعروف. قالت الأم: «تناولنا طعام الفطور هناك، وأكلتِ حينها الفطائر المحلاة بالشوكولاتة، ثم جاء سانتا (بابا نويل) وجلس معنا إلى الطاولة، وطلبتِ منه سيارات صغيرة من نوع «ماتش بوكس» (Matchbox).

عندئذٍ توقّفت برودي فجأة عن تناول وجبة العشاء وكتلة زبدة الفستق الممزوجة بالحليب لا تزال في فمها. فقد أحسّت بأن شيئًا غير

عاديّ تفتّح في صدرها وتوسّع ليملأ كل المساحة الخالية حول قلبها. وهذا الشيء كان الاقتناع الشديد بأنها لم ترغب مرّة في حياتها باقتناء سيارة «ماتش بوكس». ابتلعت كل ما كان في فمها فدخلت كتلة الفستق الكبيرة مرّة واحدة إلى بلعومها وكادت تخنقها؛ ثم قالت: «تلك الفتاة لم تكن أنا». ولكن الأمّ تابعت: «وكانت قائمة الطعام تشبه رقعة كبيرة من الثلج...».

رمت برودي أمّها بنظرةٍ تخيّلت أنها كانت «فولاذية»، وقالت: «لست سوى طفلة يتيمة ولا أحد يأخذني لرؤية سانتا».

«...، وكان سانتا قد انتهى للتوّ من تناول كعكة عيد الميلاد، وحبوب السكر الملونة بالأخضر والأحمر تتناثر فوق لحيته». قالت الأم، وعيناها تطرفان بسرعة وتكرار. ثمّ حاولت تصحيح الأمور بأسلوب التحبّب البسيط: «ماذا عساي أن أفعل من غير وجود طفلتي الأحلى من الحلوى؟».

ولكن قلوب الأطفال في الثامنة أو التاسعة من العمر قد تصبح فجأةً قاسية؛ وقد لا تلين إلّا لصغار الحيوان. «أمّي ماتت»، قالت برودي.

«كيف؟»

«بسبب الكوليرا»، أجابت برودي، وقصّة *الحديقة السرية The Secret Garden* ما زالت حاضرة في ذهنها. لو كانت تلك القصّة هي التي قرأتها مؤخرًا، *أحمر إيرلندي Irish Red*، لأجابت: «بسبب مرض الكلَب». (ليس لأن أحدًا في القصّة أصيب بالكلَب؛ فأبطالها أوشكوا على الهلاك بسبب الجوع وسط عاصفة ثلجية وأثناء رحلة صيد إلى الجبل. لم يرِد ذكر هذا المرض البتّة في الكتاب؛ ولكن بمجرّد أن تقرأ كتابًا حول الكلاب، تتذكّر كتاب *العجوز الهادر The Old Yeller*).

لم يكن مزاج أم برودي في تلك الساعة متسامحًا. فقالت ببطء،

فيما شدّ الحزن عينيها وشفتيها إلى الأسفل: «أهكذا تموت أمّك بسبب الكوليرا؟ يا لها من ميتة صعبة! الكوليرا تعني التقيّؤ، والإسهال، والألم الشديد حتى يكاد الانسان أن يبصق أحشاءه».

لم تتصوّر برودي أن الكوليرا تعني كل ذلك العذاب؛ فقالت مستدركة: «كنت أحبّها كثيرًا». ولكنها تأخّرت، لأن أمّها لم تسمعها، إذ كانت قد نهضت من مكانها.

قالت الأم: «لم أكن أعلم أنك تميلين إلى تمثيل دور اليتيمة». ولكن برودي قالت ما كانت تضمره ولا سبيل للتراجع. كم من مرّة تخيّلت أن أمها ماتت؛ وكم تعدّدت أسباب موتها؛ كم من مرّة تخيّلتها ممزقة إربًا، أو ضحيّة حادث سير، أو مخطوفة لدى عصابة، أو ماتت نتيجة خطأ حدث في حديقة الحيوان. انتاب الطفلة شعور بالخجل شديد بعد ذلك، وبكت بمرارة لكونها ابنة غير صالحة البتّة.

دخلت الأم إلى غرفتها وأغلقت الباب، مع أن الفاصل الإعلاني كان قد انتهى وعاد الفيلم إلى الشاشة أمّها تحبّ الممثل ويليام كات William Kattوترى أنه شديد الجاذبية، وتقول إن من يفضّل توم سيليك Tom Selleck عليه، فهو لا يستخدم العينين التي وهبها إليه الله. لو كان ما حدث بين برودي وأمها لعبة، فإن برودي لا تستطيع التمييز ما إذا كانت قد ربحت اللعبة أو خسرت. ولو كان ما حدث حقًا لعبة فستكون تلك اللعبة التي لا تسمح بإدراك ذلك.

قبل عيد ميلادها العاشر، ادّخرت برودي مصروف جيبها خلال أربعة أشهر لكي تتمكّن من شراء بطاقات الدعوة التي كتبت عليها نصّ الدعوة بنفسها، ومن شراء قالب الحلوى المثلجة الذي قدّمته على صحون كرتونية مزيّنة برسوم معروفة مع محارم ورقية ملائمة. اختارت سبع فتيات من رفيقاتها في المدرسة لحضور عيد ميلادها وفي اليوم الذي

وزّعت فيه الدعوات عند فرصة الغداء، كانت محطّ اهتمام الجميع. أما الاهتمام الذي أحبته فتبيّن لاحقًا أنه كان ينذر بالقلق وليس بالفرح.

وفي يوم الحفلة، ولأن والدة برودي كانت قد اختارت لها ثوبًا من بين الموديلات التي تعرضها مجلّة خاصّة بإحدى محلات الموضة ولم تشتره لها، سمحت لبرودي أن تلبس عقدها الذي تتدلى منه لؤلؤة من جزر الهاواي. ولكن، وبسبب طول السلسلة غير المناسب لحجم برودي، علّقت اللؤلؤة بشريط أسود يعقد بحسب الطول المطلوب.

تلقت برودي ثلاثة كتب كهدايا وكلّها مناسب لقرّاء يصغرونها سنًّا؛ إضافةً إلى طائرة ورقية يطير بها خيال الأطفال في رحلاتهم الوهمية، وجرسًا لدرّاجتها، وسمكة ذهب بلاستيكوضعت في حوض بلاستيك خاصّ. لم تُعِد برودي أيًا من تلك الهدايا إلى المدعوّات. ولكنها فوجئت ببساطة الحفلة وتفاهة الهدايا التي تلقّتها. ومع أن جميع الفتيات تصرّفن بلياقة ولطف، شعرت بأن عيد ميلادها العاشر كان تراجعًا محزنًا عن المستوى الذي تعوّدته سابقًا.

«حفلة الزواج لائقة جدًّا. ارتدت العروس فستانًا أنيقًا أما ثياب الاشبينتين فكانت، وكما يجب أن تكون عادةً، أقلّ أناقةً...، ووقفت أمّها وفي يدها حفنة صغيرة من الملح خوفًا من أن تتأثّر أو تفقد هدوءها أما العمّة فحاولت البكاء»

مانسفيلد بارك.

كانت برودي قد أحضرت معها من البيت مجلّة لكي تتسلّى بقراءتها في غرفة المعلمين. وهذا لا يعني أنها لم تكن على استعداد لتبادل الأحاديث مع الآخرين لو كان الحديث ممتعًا. غير أن معلّمتين كانتا تتشكيان من تضخّم في مفصل الإبهام في القدمين. لم تتحمّل، وهي

التي لم تبلغ الثلاثين بعد، أن تسمع بأن اختيار حذاء جديد قد يصبح في يوم من الأيّام كابوسًا. أما اقتراح استخدام الأحذية الطبية وأحذية الممرضين فأرعبها! فتحت برودي المجلّة واكتشفت للتوّ بأن زوجها دين كان قد أجاب على الأسئلة الموجّهة للقارئات تحت عنوان: أيّ النساء تشبهك في مسلسل The *Sex and the city*(الجنس والمدينة)؟ ثمّ أخذت تجيب عن الأسئلة.

أجابت عن السؤال القائل: «ماذا ترتدين في سهرة نهاية الأسبوع؟ أجاب دين: «أرتدي قميصًا لعوبًا وتنورة ضيّقة». وعن السؤال: «لو وقف شابّ جذّاب جدًّا إلى جانبك أمام البار في الملهى، ماذا تفعلين؟»، أجبت: «أهنئه على جمال عضلاته وأطلب منه أن يقوم بثني ذراعه ليظهرها أكثر».

حدث اللقاء الأوّل بين برودي ودين في أحد الملاهي الليلية. وكانت برودي آنذاك طالبة في الجامعة وقد خرجت في تلك الليلة مع زميلتيها كيرستن ولوري بعد انتهاء الامتحانات الفصلية، أو قبل ذلك بأسبوع أو أسبوعين.

قالت له كيرستن: «نريد نحن الفتيات أن نبقى وحدنا الليلة»، ولكنّه لم يصغِ، بل انحنى ومدّ يده من أمامها، وأمسك بيد برودي وطلب منها الرقصَ معه.

رقص الجميع باستثنائهما بنمط سريع على موسيقى أغنية «لا تنظري إلى الوراء»، فيما لفّ دين ذراعيه حول برودي وشدّها إليه حتى اقتربت شفتاه من أذنها ولامست ذقنه عنقها، وقال لها: «سوف أتزوجك». علّقت لوري بعد ذلك إن ما فعله ذلك الشاب كان غريبًا. وقالت كيرستن إنه مخيف. ولكن، فكّرت برودي، لم تكن تلك الأذن التي همس فيها أذن إحداهما، ولا العنق عنق أيّ منهما.

يتمتّع دين بذلك النوع الخاصّ من الثقة بالنفس الذي يتولّد عادةً نتيجة الشعبية التي يكتسبها الطالب أو الطالبة في المدرسة الثانوية. كان يتميّز بمظهره الرياضيّ ووجوده القوي في المدرسة. وكان قد برز في فريق كرة القدم في الجامعة، وسجّل أهدافًا قياسية، وله عدد خاص به من المعجبين والمعجبات. إنه ذلك الشابّ الذي ربّما لم يكن ليلاحظ منذ بضعة أعوام وجود برودي حتى ولو وقفت أمامه وجهًا لوجه. أما الآن فقد اختارها من بين مئات الفتيات الساهرات في هذا الملهى. شعرت برودي بأنها أكثر جمالًا وجاذبية نتيجة اهتمامه بها، مع أنها توقّعت بأنها ليست على الأرجح الفتاة الأولى التي يعدها دين بالزواج على هذا النحو. (ولكنها اكتشفت في ما بعد أنها كانت كذلك بالفعل).

لو لم يكن مهمًّا أن يتمتّع دين بمثل تلك العينين الجذابتين، أو بمثل ذلك الوجه الوسيم، أو بمثل تلك القامة الرياضية، أو تلك الأسنان البيض والابتسامة الجميلة ولو تجاهلنا كم سيبدو مناسبًا أن يدخل معها إلى الحفلة التي تحتشد فيها مجموعة صفّها في المدرسة الثانوية كلّ سنة. وقد يفاجأ كثيرون بوجوده معها.

سيبقى الأهمّ من كل ذلك أنه وجدها جميلة منذ لحظة لقائهما الأول. يبدو الحبّ من النظرة الأولى مستهجنًا، بقدر ما هو عصيٌّ على المقاومة. وفي الواقع، ليست برودي جميلة بل تتظاهر بأنها كذلك.

انطلاقًا من هنا، شعرت برودي بأن دين شابّ رومانسي. أما والدتها فكانت أكثر وضوحًا في رأيها عندما قالت: «هذا شابّ واقعي ولا يأخذه الغرور». ومع أنها لا تميل إلى الشبّان الواقعيين كثيرًا، فإنها أحبّت دين، ودرج الاثنان في مساء كل ثلاثاء على مشاهدة المسلسل التلفزيوني (بوفي، قاتل مصاصي الدماء) *Buffy The Vampire Slayer*، ثم وبعد انتهاء الحلقة، لا بدّ أن يتحدّثا هاتفيًّا لمناقشة مستجدات الأسبوع. وكان دين مثل والدة برودي مأخوذًا بحياة هؤلاء الأبطال الخارقين المثقلة

بالأحزان ومشاعر الذنب. ويذهب اهتمام والدة برودي أيضًا إلى تشجيع فريق الولايات المتحدة لكرة القدم، ولكن غالبًا ما خيّب لاعبوه آمالها خصوصًا وأن تسمية «الأبطال» لا تصحّ عليهم البتة. وكانت تتكلّم على إمكان استخدام الحيل الجانبية المساندة، وكأنها كانت تعلم ما هي تلك الحيل، ومتى يجب استخدامها.

فهمت برودي المعنى غير المعلن في تعليق أمّها على شخصية دين، وتعمّدت الكلام على ما يوحي به من سمات حسنة. وسألت برودي أمها: «أيّ سوءٍ في شخصية الرجل الواقعي والصلب؟ هلِ تتمنّين لي زواجًا يخفي المفاجآت، أو تفضلين صهرًا يُعتمد عليه ورجلًا إذا نظرت إليه الآن تعلمين ما سيكون عليه بعد خمسين عامًا؟».

ثمّ سألت رفيقتها لوري، فقد كان لدى هذه الأخيرة قاعدة لقياس كل شيء. قالت لوري: «يبدو لي أنه بإمكانك الزواج من شخص تشعرين بأن الحظّ ساعدك في الحصول عليه؛ أو بآخر يشعر بأن الحظّ ساعده في الحصول عليك. كنت أفكّر سابقًا أن الحالة الأولى هي الفضلى. أما الآن فلا أعلم. أليس من الأفضل أن تقضي عمرك مع شخص يشعر بأن الحظّ حالفه ليصبح زوجك؟».

وسألتها برودي: «لماذا لا يكون الاثنان محظوظان؟».

أجابت لوري: «يمكنك الانتظار حتى يحدث ذلك». (ولوري هي التي ملا زالت غير متزوجة).

لا شكّ أنه كان على برودي أن تعدّ كل شيء لحفلة الزفاف بنفسها. وكانت حفلة متواضعة أقامتها في حديقة منزل والدتها الخلفية. سمعت لاحقًا أن ما قدّمته من ضيافة نال استحسان المدعوين؛ تشكيلة من الفراولة والبرتقال والكرز تؤكل مع صلصة من الشوكولا الأبيض أو الأسود. كانت برودي كثيرة الانشغال في الحفلة إلى درجة الشعور

بالدّوار، ولم تذق أي شيء من أصناف الضيافة. وعندما اطّلعت لاحقًا على الصور ثوبها الأبيض ذو الثنيات الأنيقة، والأزهار، وأصدقاء دين الذين أصيبوا بالسكر ولكنهم احتفظوا بسلوك لائق كان من الصعب عليها أن تتذكّر حتى وجودها في تلك الحفلة. «حفلة زفاف جميلة جدًّا!»، هذا ما سمعته من الناس لاحقًا. ولكنّها، ومنذ الدقيقة الأولى التي سمعت فيها هذا الكلام، تذكّرت أنّها لم تكن تسعى إلى حفلة زفاف «جميلة جدًّا»، بل إلى شيءٍ يبقى في الذاكرة. ربّما كان من الأفضل لهما لو اختارا الفرار معًا والزواج بمفردهما من غير أن يعلم بذلك أحد.

ولكن الأهم من كل ذلك كان الزواج؛ حتى إن جين أوستن لم تكترث في كتبها مطلقًا لوصف تفاصيل حفلات الزفاف. لقد تزوّجت برودي من دين الذي ولسبب ما برحت تجهله، يرى أنه كان محظوظًا في أن يصبح زوجها.

ما زالت برودي تكتشف كم كانت محظوظة بزواجها من دين. صفة الصلابة كانت غير كافية لوصفه؛ فقد كان كريمًا وحَسَن الأخلاق ونشيطًا في عمله، وجميل الطلعة. وعلاوة على كلّ ذلك، فإنه يساعدها في أعمال البيت من غير أن تطلب منه، ومن غير شكوى. أما وبمناسبة ذكرى زواجهما الأوّل، فقد اشترى بطاقتَيْ سفر ليسافر الاثنان إلى باريس في الصيف.

وهنا تكمن المشكلة. برودي تحبّ فرنسا، وحبّها لتلك البلاد كان دافعها إلى اختيار مهنة عمرها. لم تزر برودي فرنسا من قبل ولكنها تمكّنت من تصوّر أجوائها وأماكنها بدقّة. أوليس من الطبيعي ألّا ترغب في الذهاب إليها فعليًّا؟ ماذا لو تسبّبت الزيارة بخيبة أمل؟ ماذا لو صادفت هناك ما لا تحبّه؟ ماذا قد يحدث عندئذٍ؟ تتصوّر برودي أنه كان حريًّا بزوجها، حبّ حياتها، أن يفهمها بالشكل الكافي لكي يعلم أنها لن ترغب في الذهاب إلى فرنسا.

يصنع زوج كيرستن تصاميم ثلاثية الأبعاد تحاكي الطبيعة أحيانًا، وتُستقى من وحي الخيال أحيانًا أخرى. ففي إمكانه أن يصمّم أشكالًا تشبه الناس، كما يصمّم أغراضًا متفرقة تمثّل آلة لقصّ العشب، أو فتّاحة للقناني، أو خلّاطًا لصنع الحلوى، إلخ. وبإمكانه أن يصنع تصاميم تمثّل كلّ شخصيات أفلام *حروب النجوم Star Wars* وخصوصًا شخصية شوباكا Chewbacca[1]. أما دين فكان شريكًا متفهّمًا في السرير. لا يعترض على ممارسة الجنس بطرائق متنوّعة وجريئة، حتى ولو شعرت برودي في إحدى الّليالي بميل إلى الجنس على طريقة شوباكا، تراه يسلّم بالأمر الواقع ولا يخرج عن هدوئه.

ترى برودي أن دين هو حقًّا الرجل الذي تريده. إنه رجل غير مدّع بما ليس لديه، ويمكن الاعتماد عليه، وتشعر في معظم الأحيان بحبّها العميق له.

ولكنّها، وفي بعض الأحيان فحسب، تشعر بأنها محظوظة بزواجها أكثر ممّا هي قانعة أو مكتفية به. تفكّر برودي أنّه كان بإمكان حياتها الزوجية أن تكون أفضل مما هي عليه في الواقع، ولكنّها لا تلقي اللّوم بذلك على دين، وإنما على تلك الفتاة في فيلم *الجنس والمدينة* التي «تشبه» دين أكثر من النساء الأخريات؛ إنها ميريندا.

«سيكون الأخير كل الاحتمالات تشير إلى أنه المشهد الأخير على ذلك المسرح؛ ولكنّه كان على يقين بأنه المشهد الأسمى قاطبةً. سيغلق المسرح أبوابه على بريقٍ ساطعٍ».

من كتاب: مانسفيلد بارك

---

(1) شخصية خيالية من أفلام «حروب النجوم» وهي مكسوة بالشعر وتتميّز بذكائها الخارق. (المترجمة).

كان الهواء حارًا جدًا وخانقًا إلى درجة أنك تشعر وكأن الأوكسجين قد عصر إلى خارجه. شعرت برودي بصداع شديد، فتناولت حبتين من الأسبيرين وشربت جرعة من الماء الفاتر من إحدى الحنفيات القليلة التي لم يسدّ التلامذة فوهتها بالعلكة. ثمّ غسلت وجهها غير مكترثة لما قد يحدث لمكياجها. وعندما وصلت إلى الصف في الحصّة الخامسة كان صداعها قد بات محمولًا، وإنما ما زالت تشعر بما يشبه طرق طبولٍ بعيدة في أذنيها.

كانت الطالبة كارين بايف في انتظارها وبيدها رسالة من السيدة فراي: تطلب فراي، معلّمة الدراما، من برودي أن تسمح لكارين بمغادرة الصف في تلك الحصّة. الإنتاج المدرسي لمسرحية *بريغادون* *Brigadoon*[1] سوف يقوم بعرضه التجريبي الأوّل بالأزياء الخاصّة بعد ظهر ذلك اليوم، ويعاد العرض التجريبي مرّة ثانية في المساء. أما فكرة إلغاء بعض المشاهد فلا تزال متعثّرة.

كانت كارين قد لعبت دور ماريّا في مسرحية «*اللحن الموسيقى The Sound of Music*» في سنتها الثانوية الثانية، ولعبت دور ماريان مديرة المكتبة في السنة الأولى. وفي اليوم الذي ظهرت فيه قائمة الممثلين في مسرحية *بريغادون*، التقت برودي كارين في الحمّام، ورأتها تبكي بشدّة ودموعها تشقّ دروبًا فوق خدّيها وتحوّل زينتها إلى خليط مضحك من الألوان. وبالطبع، استنتجت برودي من المشهد أنه تمّ إسناد دور البطولة في المسرحية إلى فتاة أخرى. وراحت تحاول تهدئة كارين بالقول إن الانسان قد لا يرغب في فعل الشيء نفسه في كلّ مرّة، حتى ولو كان ذلك الشيء حسنًا. قالت ذلك بالفرنسية إذ تؤمن بأن الكلمات تكتسب

(1) مسرحية غنائية معروفة عرضت لأول مرّة على مسرح برودواي سنة 1947 في الولايات المتحدة.

وقعًا أفضل عندما تقال بالفرنسية. تشعر برودي بأنها تصبح إنسانة أفضل عندما تنطق بالفرنسية أكثر حكمة، وأكثر جاذبية، وأكثر أناقة. ثمّ أنهت كلامها وهي تردّد قولًا فرنسيًا شعبيًا ببهجة ظاهرة. (عندما فكّرت برودي بالأمر لاحقًا، عرفت أن احتمال أن تكون كارين قد فهمت حقًا نصائحها كان ضعيفًا. وإن التحدّث إلى كارين بالإنكليزية كان سيفي بالغرض بطريقة مضمونة وبسيطة، ولكن حبّ التميّز وميلها إلى الاعتزاز بالذات حالا دون وصول الرسالة إلى كارين. «*Tout le monde devient sage après le coup*» قالت برودي لنفسها، أيّ إنّ كل إنسان يصبح حكيمًا بعد اقتراف الخطأ.

ولكن، وفي جميع الأحوال، لم تكن مشكلة كارين قطعًا مثلما توقّعت برودي. فقد أسند دور البطولة إلى كارين مجدّدًا. مَنْ في المدرسة يملك صوتًا رنّانًا مثل صوتها، وقامة هيفاء ووجهًا ملائكيًا مثلها؟ غير أن كارين بكت بعدما علمت بأنّه جرى إسناد الدور الذكوري الأول إلى داني فارغو وليس إلى جيمي جونز كما كانت تتمنّى في سرّها. وكان على هذا الأخير أن يلعب شخصية شارلي دالريمبل. وهكذا سوف يكون على كارين أن تقع في حبّ داني فارغو أمام كل المدرسة. وسيترتّب عليها تقبيله أمام أنظار الجميع؛ ومن أجل القيام بذلك سيتحتّم عليهما التمرّس على القبلة مرارًا. هذا ما تتوقّع حدوثه في المستقبل القريب: تقبيل داني فارغو تكرارًا تحت أنظار السيدة فراي التي تتطلّب منهما إظهار المزيد من الحبّ والشغف. «انظري إلى داخل عينيه أوّلًا، تمهّلي، ودعي الشوق يظهر واضحًا في المشهد». سبق ومثّلت كارين مشهد القبلة تحت إدارة السيدة فراي مرّات عدة.

إضافةً إلى أن الفرص التي قد تتيح لفتاة مثل كارين تقبيل شابّ مثل جيمي قد تكون صعبة المنال في غير هذا الإطار. لقد فاجأ جيمي الجميع بمجرّد قبوله الخضوع لاختبار التمثيل خصوصًا بسبب

التضارب في التوقيت بين المسرحية وموسم البايسبول. ولقد أعلم المدرّب الرياضي بلومبيرغ أعضاء الفريق بأنهم لن يقوموا بأي نشاط رياضي آخر. من الطبيعي ألا يطمح هذا المدرّب، حتى ولا في حلمه، إلى إبطال المسرحية الغنائية.

وكان جيمي لاعبًا يعتمد عليه المدرّب. وبعد أن تمّت الترتيبات، وتمّ اختيار تنفيذ المسرحية على حساب موسم البايسبول، وقع الخبر وقوع الصاعقة على بلومبيرغ الذي صرّح بيأس أمام مجموعة من المعلّمات: «أشعر أني غير قادر على إنتاج مواسم بايسبول عدة بعد الآن».

كلّ ذلك ساهم في رفع آمال كارين بشكل مؤلم. لو تمّ اختيار جيمي لكي يلعب دور تومي، سوف يتسنّى لهما قضاء أوقات كثيرة معًا. سوف ينظر إليها، ويلاحظ أنها عندما ترتدي تلك الأزياء الجميلة وتسرّح شعرها ستبدو مشابهة لنجمات أفلام بوليوود. ربّما سيلاحظ داني فارغو الشيء ذاته، ولكن من يريد داني فارغو؟

«هل ستأتين لمشاهدتنا؟»، سألت كارين، وأجابتها برودي بأنها ستفعل بالتأكيد. (مع أنها تخيّلت كم سيكون الجوّ حارًّا في المسرح؟ وتساءلت إذا ما كانت هي نفسها ستتقبّل شكل جيمي جونز، وهو لاعب البايسبول القوي بذراعيه الضخمتين، يغنّي «تعالي إلي، وانحني نحوي»).

وطلبت من طلابها في الحصّة السادسة ترجمة النصّ عينه من كتاب «الأمير الصغير»، وإنّما من الإنكليزية إلى الفرنسية هذه المرّة نظرًا لأنهم في السنة الثالثة الثانوية.

وعادت برودي إلى دفتر ملاحظتها بشأن كتاب أوستن. لقد مرّ في بالها فيما كانت تتناول طعام الغداء أن فاني من بين سائر شخصيات أوستن النسائية هي الأكثر ورعًا. هل سيذهب المنتدى هذه المرّة إلى طرح الدِّين على بساط النقاش.

تعجّ قصص أوستن الأخرى بالأخبار المتعلّقة بحياة رجال الدين ولكنها غالبًا ما تناولت مسائل متصلة بأمور هؤلاء المالية وليس الروحية. لم تتّخذ أي شخصية نسائية رئيسية في تلك القصص موقفًا إيجابيًا من موضوع العبادة، أو تحبّ الاقتراب من رجال الدين مثلما فعلت فاني. ستّة قصص ممتلئة بمشاهد من الحياة القروية بما تتخلّله من عرض لحفلات الرقص والعشاء، من غير أن يكون في كل ذلك مكان لخطاب ديني واحد. ولأن والد أوستن نفسه كان رجل دين، فقد تفتح هذه الملاحظة بابًا عريضًا للنقاش، ولا بدّ أن تتكلّم برناديت إذ ذاك مطوّلًا حول هذا الموضوع. تمكّنت برودي من إدراج قائمة طويلة من الملاحظات قبل أن تشعر بارتفاع درجات الحرارة من جديد.

عاد الصداع إليها فراحت تضغط على صدغيها ونظرت إلى ساعة الحائط. كانت سالي وونغ قد كتبت شيئًا على ورقة وطوتها ودفعتها عمدًا بكوعها لكي تقع على الأرض. التقطها تين تشيني وفتحها ليقرأها. فما كان من سالي إلّا أن فتحت فاها لتطلق صرخة مكتومة:»يا إلهي!«، (بالإنكليزية وليس بالفرنسية طبعًا). لا شكّ بأن الورقة كانت موجّهة إلى نورتن. فكّرت برودي بوضع يدها عليها، ولكن ذلك سيتطلّب منها النهوض؛ وبما أن الحرارة كانت تجتاح جسدها بشكل مؤلم، قرّرت التغاضي عن الأمر خوفًا من أن يُغمى عليها لو نهضت. وتخيّلت الفوضى التي ستعمّ في الصفّ في تلك الحال؛ أقلّها حفلة مجنونة من هزج وهرج! ثمّ شعرت بنقاط سودٍ تطفو وتسبح أمام عينيها، فوضعت رأسها على الطاولة وأغمضت جفنيها.

لحسن الحظّ أن وقت الانصراف إلى البيت كان قد اقترب. فكّرت برودي أنها ستقوم بعملية تنظيف سريعة في البيت، ولعلّ الحرارة ستتراجع في المساء، فيتمكّن منتدى الكتاب من الاجتماع في الخارج؛

وكم سيكون الجوّ ممتعًا لو وصلت إليهم نسائم دلتا كاليفورنيا[1] المنعشة. ارتفع مستوى الضجة في غرفة الصف ارتفاعًا طفيفًا ففكّرت برودي بلزوم النهوض للتوّ قبل أن يشتدّ ويخرج عن السيطرة، وما إن قرّرت أن تفتح عينيها وتتنحنح بصوت مسموع حتى دقّ الجرس معلنًا انتهاء الدوام.

ولكنها وعوضًا عن الانطلاق مباشرة إلى البيت، وجدت نفسها تقف أمام قاعة النشاطات المتنوّعة. تحبّ برودي الطلاب والطالبات المشاركين في المسرحية الغنائية، ولكنهم يميلون غالبًا إلى تعاطي الماريغوانا، ويختلفون في ذلك عن الذين يؤلّفون النادي الطلابي السياسي الميّالين إلى تناول الكحول؛ وعن الرياضيّين الذين تستهويهم العقاقير المنشّطة، وعن الذين يعدّون كتاب المدرسة السنوي أيضًا، الذين لا يتوانون عن تناول الغراء كمادّة مخدّرة. مجموعات عدة، كبيرة وصغيرة وشديدة التعقيد، ومتميّزة في ما بينها تميّزًا ملفتًا يجعل برودي تتمنّى لو أنها تخصّصت في علوم الأنثروبولوجيا لكي تتمكّن من فهم أسراره. ولكنها لو اختارت ذلك التخصّص الجامعي، لكان عليها تحضير عددٍ لا ينتهي من الأبحاث. ولهذا الأمر بالطبع جوانب إيجابية وأخرى سلبية. ولكن الأبحاث تتطلّب مجهودًا كبيرًا، وهي ليست ابنة أمّها لسبب بسيط.

سمعت صوت الموسيقى يتسرّب خفيضًا عبر باب القاعة المغلق، فتخيّلت أجواء الأرياف الإسكوتلندية برذاذها وتلالها وألوانها، وتوقّعت أجواءه الحلوة والمنعشة في القاعة. وفيما كانت ترغب بالذهاب إلى البيت من دون تردّد، فكّرت بمسألة الدخول إلى السيارة التي ما زالت

---

(1) الدلتا التي تتكوّن من التقاء نهري ساكرامنتو وسان جاوكن في شمال كاليفورنيا. (المترجمة).

مركونة منذ الثامنة صباحًا بنوافذها المغلقة تحت عين الشمس الحارقة. سيكون عليها أن تستعين بذيل فستانها لكي تتمكّن من الإمساك بمقبض الباب لكي تفتحه. وسوف يكون المقعد شديد السخونة، والمقوَد أيضًا. وستمضي بضع دقائق وكأنها تُشوى وسط فرن حارّ فيما تقود.

لا شيء من ذلك سيتغيّر إن تأخرت، ولكنّ فكرة الانطلاق إلى البيت لم تجذب برودي في تلك اللحظة، فاختارت الدخول إلى القاعة. وما إن فتحت الباب حتى كوفئت بنسائم من الهواء المبرّد على وجهها؛ ولفتها وجود طالب لا تعرفه كان ينفخ في المزمار القروي الإسكوتلندي(1). وعلى خشبة المسرح، رأت الممثّلين يتدرّبون على مشهد ملاحقة «هاري بيتن». ويبدو أن المدرّبة السيدة فراي كانت قد طلبت منهم الهرولة خلال المشهد ببطءٍ أوّلًا، ثمّ بسرعة أكبر. اختارت برودي مقعدًا يتيح لها مراقبة المسرح، وكذلك الممثلين المنتظرين إلى جانبي الخشبة. كان النافخ في المزمار في هذه الأثناء يتدرّب على الموسيقى الجنائزية التي سترافق نعش «هاري بيتن». لا تحبّ برودي هذه الآلة الموسيقية تحديدًا ولكنها أعجبت بمستوى الأداء. وتساءلت: من أين لولد يعيش في كاليفورنيا أن يتعلّم فنّ النفخ والتّقاسيم على المزمار بهذه الطريقة؟

أحسّت برودي فجأة بشعور يقرّبها من المدرّب بلومبرغ. كم كان حكيمًا بالفعل عندما شجّع هؤلاء الطلاب أخيرًا على الاشتراك في تقديم مسرحيّة تتناول قصّة حبّ كبير؟ وعندما أتاح لهم أن يعلموا كيف أن الحبّ استحقّ حتى الموت لأجله، وأن مشاعر الوفاء والإخلاص على بساطتها، تفوّقت بصمودها على سائر القوى الأخرى في العالم. ما يؤمن به بلومبرغ، من الناحية الأخرى، حول أهميّة أن تتسابق مجموعتان من الصبيان على الركض، ورمي كرة البايسبول والتقاطها، يبدو في

---

(1) The Bagpipe مزمار يتألف من مزمار وكيس عرفت به اسكوتلندا. (المترجمة).

المقابل خدعة غير مؤذية. وخطر في بال برودي أيضًا أن جين أوستن كتبت ستّ قصص رومنسية رائعة، ولكن أحدًا من أبطالها لم يمت ضحيّة للحبّ. وأحسّت حينئذٍ بضرورة أن تلتزم بالصمت دقيقةً احترامًا لأوستن، وتقديرًا لإحجامها عن دفع الأمور في مثل هذا الاتجاه. ثمّ غرقت برودي في صمتها من غير مبرّر.

انزلق تري نورتن فجأة في المقعد المحاذي لمقعدها. «ماذا تفعل هنا؟» بادرته برودي، «أليس لديك حصّة الآن؟».

ابتسم تري بطريقة غير مطمئنة، وأجاب: «الحرارة في قاعة صفّنا المعدنية[1] بلغت 44 درجة مئوية، بحسب الميزان الذي كان أحدهم يحمله؛ سمح لنا الأستاذ بالانصراف للتوّ، فجئت إلى هنا لأذهب مع جيمي لاحقًا إلى البيت». لكن طريقته في الكلام كانت مختلفة عن طريقته المعهودة. وأضاف: «رأيتك في المكتبة، وكنت تراقبينني».

شعرت برودي بالدماء تتصاعد إلى وجنتيها، وأجابت: «إظهار العواطف في العلن سيجعلها علنيّة لا محالة».

«أوافق على قولك إنّ ما فعلته كان علنيًا. ولكن لا وجود لتلك العواطف أساسًا».

كان الوقت قد فات حقًّا على تغيير الموضوع، ولكن برودي شاءت المحاولة. «الصبي الذي ينفخ في المزمار القروي ماهر في النفخ»، قالت، ولكن ليتها تكلّمت بالفرنسية.

قال تري: «إنها نيسّا تريسلر؛ فتاة...، أو شيء آخر..!؟».

نظرت برودي إلى نيسّا مجدّدًا، واكتشفت أن في شكلها هناك حقًّا ما

---

(1) مستودعات معدنيّة كبيرة باتت تستخدم أحيانًا كغرف ومنازل في الولايات المتحدة. (المترجمة).

يدعو إلى الالتباس. وتمنّت للتوّ بأن يمسك تري لسانه ولا يخبر أحدًا بالخطأ الذي ارتكبته. قد تكون نيسّا مرتاحة جدًّا مع نفسها. وربّما لديها في المدرسة عددٌ كبير من المعجبين نظرًا لموهبتها الموسيقية. فقد «تحسن الدببة الرقص»، كما يقال.

غير أن أفضل ما يمكن أن يطمئن نيسّا، فكّرت برودي، هو أن مكوثها في هذه المدرسة لن يطول أكثر من ثلاثة أعوام، وستتمكّن بعد ذلك من الانطلاق إلى حيث تشاء، ويمكنها حتى عدم العودة إلى هنا قطّ. ولكن برودي هي التي ستبقى. وتصوّرت هذه الأخيرة فجأةً أن هذا المكان يشبه قرية بريغادون[1] حيث لا شيء يتغيّر البتّة. المعلّمون وحدهم يتقدّمون في السنّ. يا له من تصوّر مرعب!

ثمّ لمعت في رأسها فكرة إنقاذية، وإنّما متأخرة: «لا أستخدم العدسات اللاصقة اليوم... »، قالت له.

قال، بعد أن اقترب ونظر في عمق عينيها، فشعرت برائحة أنفاسه المنفّرة بعض الشيء والتي ذكّرتها برائحة القطط الصغيرة. «بلى، أرى العدسات في عينيك، أستطيع رؤيتها! إنها تبدو كالصحون الشفافة حول حدقتيك».

دقّ قلب برودي بسرعة. ولكن تري رفع ذقنه، وحوّل بصره عنها وأعلن: «شيء ما يحدث؛ انظري إلى اليمين».

أدارت برودي رأسها، وهناك إلى جانب خشبة المسرح التي كانت قد فرغت من الطلاب فيما ما زال عدد منهم منتشرًا في أرجاء القاعة، رأت معلّم الموسيقى الأستاذ تشو (عازب) مع السيدة فراي (متزوجة) وكان قد أدخل يده إلى ثدييها متحسّسًا ومتفحّصًا وكأنه يتفحّص رأسين

---

(1) قرية بريغادون الخيالية التي تدور قصة المسرحية الغنائية في داخلها. (المترجمة).

من البطيخ الأصفر العسلي. لم تكن تلك المرّة الأولى بالتأكيد! فهذه اليد تعرف هذين الثديين جيّدًا. ما هي قصّة هذه المدرسة؟ عاد الصداع بوتيرة أسرع إلى رأس برودي، ونفث المزمار زفرة يائسة قبل سكوته.

ولكن كان لبرودي ردّ فعل آخر أيضًا بعد أن هدأت قليلًا وفكّرت بأن المشهد المنفّر قد جاء ربّما في وقته ليشغل انتباه تري عن الخطأ الذي ارتكبته بشأن تيسّا منذ دقائق.

أما من ناحية مشهد الأستاذ تشو والسيدة فراي فليس هناك حقًّا ما يسمح لبرودي بادّعاء المفاجأة. لو أخذتَ في حسابك نشاط الفيرومونات الجنسية المتدفّق، والموسيقى الساحرة، والتمرينات المتواصلة ليلًا ونهارًا، وقصّة أبطال المسرحية الذين يموتون من شدّة الحبّ، علاوةً على أن السيدة فراي تتمتّع بثديين عارمين، فماذا تنتظر؟

بعض المسائل التي أزعجت برودي في قصّة *مانسفيلد بارك* كانت النهاية التي آلت إليها علاقة ماري كروفورد وإدموند. مهما تنوّعت أعذاره فإن قرار انفصاله عن ماري كان ناتجًا عن سبب واحد، وهو ميل هذه الأخيرة إلى التسامح مع أخيها وشقيقة إدموند على علاقتهما العاطفية التي بنيت على حساب حياة كل منهما الزوجية. اتّهم إدموند ماري بالتساهل مع الخطيئة؛ وفضّل هو نفسه التخلّي عن أخته إلى الأبد عوضًا عن التسامح.

طالما تمنّت برودي لو كان لها أخ. أخ تستعيد معه الذكريات، وتتحقّق من صحّة حدوثها بالفعل؟ هل ذهبت العائلة حقًّا إلى غابة ميوير، وإلى شاطئ ديللون؟ لما لا توجد صور تذكارية؟ تخيّلت أنها كانت ستحبّ أخاها كثيرًا، وأنه كان سيبادلها الحبّ، وسيلاحظ مواطن ضعفها ولكن بمحبّة ورحمة. أخيرًا، وجدت برودي أنها تكره إدموند أكثر بكثير ممّا تكره شقيقته التي وقعت في الحبّ وتصرّفت بأنانية وجرّت على نفسها الفضائح.

تتغيّر المواقف بالطبع مع تغيّر الأزمان. ولكنّ شخصًا متزمّتًا وغير متسامح يبقى شخصًا متزمتًا وغير متسامح. «ما هذا؟»، قال تري بنغمة تنمّ عن إعجاب ساخر.

مواقف برودي من الخيانة الزوجية تتأثّر بثقافتها الفرنسية.

«الأشجار دائمة الخضرة! - كم هي جميلة،
وكم هي مستحبّة، ورائعة!».

مانسفيلد بارك

يعتبر مناخ كاليفورنيا متوسّطيًا، وهذا يعني أن كل أشكال الخضرة تجفّ في فصل الصيف. يبس العشب، واختفت السواقي، وتحوّلت خضرة أشجار السنديان إلى الرّمادي.

صعدت برودي إلى سيارتها وفتحت النوافذ وأدارت مفتاح المكيّف، وكادت حرارة أسفل المقعد تحرق باطن ساقيها العاريين.

وفيما تنبّهت إلى أن لطخة من غائط الطير كانت قد هبطت على الزجاج الأمامي، وجفّت إلى درجة الشواء تحت الشمس لمدة ساعات، توقّعت أن تنظيفها سوف يحتاج إلى جهدٍ كبير، ولم تتصوّر أنها ستفعل ذلك للتوّ، بل فضّلت القيادة، ومراقبة الطريق ولو بصعوبة من وراء ذلك الرسم الرمادي الذي يذكرك تارةً بخريطة اليونان، وتارةً أخرى بخريطة غرينلاند. لن يساعدها قطّ أن تحاول نزع تلك البقعة بالماء والمسّاحات، لأن ذلك سيزيد في «الطين بِلّة»، وتصبح المشكلة أكثر إزعاجًا. غير أن طريقها إلى البيت لا تحتّم عليها المرور على خطّ سريع، ومع إمكان استخدام المرايا لن يكون قرارها بالقيادة في جميع الأحوال متهوّرًا.

على الرغم من عدم وجود ميل عاطفي خاصّ
لديها نحو قريبها البكر، فإن رقّة قلبها جعلتها تشعر
بأنها لا تتمكّن من تجنّبه؛ كما وحملتها مبادئها

النقيّة على إظهار نوع من الاهتمام الخاصّ به بعد أن لاحظت أن حياته (على ما يبدو) كانت تمرّ من غير فائدة أو قيمة تذكر، ومن غير قدرة عالية على الانفصال عن مصالح الأنا الذاتية.

مانسفيلد بارك

عندما دخلت برودي إلى بيتها، حيث كانت الستائر مغلقة والمكيّف يعمل، ارتاحت للظلمة ولدرجة البرودة المقبولة في أرجائه، ولكنها تناولت حبّتين إضافيّتين من الأسبيرين. لم تشعر بقدر كافٍ من النشاط لكي تقوم بأعمال تنظيف إضافية، كما كانت قد خطّطت وسجّلت على قائمة مهمّاتها في ذلك اليوم. كانت تسجّل ما تودّ أن تنجزه في كل يوم، فتتخيّل بأنها تسيطر على مجرى الأمور في حياتها في هذا العالم الفوضوي والمضطرب، ولكنها لم تكن يومًا أسيرة ما تسجّله؛ فقد تحدث أمور مفاجئة تغيّر خطّتها. وقد كانت هولّي، وهي السيدة التي تتولّى تنظيف بيت برودي من وقتٍ إلى آخر، قد نظّفته في الأسبوع السابق. فكان البيت نظيفًا بحسب معايير النظافة لدى المشاركين في المنتدى ما عدا جوسلين. ويبقى على برودي أن تذهب لشراء بعض الحاجيات خوفًا من أن تضطرّ مثلًا إلى إعداد السلطة بأوراق من الخسّ البائت الموجودة لديها في البرّاد منذ أيام.

دخلت إلى الحمّام واغتسلت بالماء البارد لعلّها تستعيد بعض نشاطها، ثمّ ارتدت قميصًا قطنيًّا من غير أكمام، وسروالًا خفيفًا طبع قماشه الرقيق برسوم تمثّل أنواعًا من لفائف السوشي؛ وما إن بدأت بتجفيف شعرها، حتى رنّ الجرس.

وهناك، على عتبة الباب وقف كاميرون واتسن والعرق يقطر من رأس أنفه المستقيم.

قالت برودي مندهشةً: «كاميرون! ماذا تريد؟».

أجاب: «لقد قلت لكِ إني مستعدّ لتنظيف حاسوبك».

«هل كنت تعني أنك ستفعل ذلك اليوم؟».

قال باستغراب: «ألا ترغبين في استخدام بريدك الإلكتروني؟ كيف يمكن لأحد أن يقضي أربعًا وعشرين ساعة من غير بريده الإلكتروني؟».

تشعر برودي بالقلق أحيانًا من أن يشعر كاميرون في يوم من الأيام بميل عاطفي إليها، غير أنها ارتاحت اليوم عندما تأكّدت بأنه لا يميل سوى إلى حاسوبها الذي اختاره بنفسه طبعًا، كما ويميل أحيانًا إلى ألعاب الفيديو التي يقتنيها دين. وعندما لم ينظر كاميرون إليها على الرغم من ثيابها الخفيفة جدًّا، تصوّرت أنها لو كانت في تلك الساعة في إحدى كتب أوستن، وإلّا لكانت تلك الفتاة غير الجذّابة التي لا يقترب منها الرجال إلا طمعًا بثروتها.

وقفت جانبًا لكي تفسح المجال أمام كاميرون ليدخل. فمشى من أمامها وكان محمّلًا بشرائط وكابلات وملحقاتها، إضافةً إلى علبه بلاستيك وفي داخلها مجموعة من الأقراص والاسطوانات. دخل مباشرة إلى غرفة الجلوس وفتح الحاسوب وراح يتفحّص مشكلاته الخفيّة ليعالجها بمهاراته السحرية. كانت قد فكّرت بقيلولة قصيرة قد تريحها من عناء النهار، ولكنها لن تتمكّن من ذلك الآن مع وجود كاميرون في المنزل. فانصرفت قسرًا إلى تنظيف الغبار عوضًا عن النوم. لكن الفرق شاسع بين الأمرين.

تنبّهت برودي إلى عدم إحساسها بمشاعر الامتنان التي يستحقّها كاميرون، فقرّرت أن تتظاهر بها، فهرعت إلى المطبخ وأحضرت له كوبًا من الليموناضة المثلجة.

قال: «أقوم بتنزيل برامج مهمّة في حاسوبك». وأخذ كوب الليموناضة

من يد برودي ووضعه على الطاولة التي ما لبثت أن تبلّلت بقطرات الماء المنسابة نتيجة اختلاف الحرارة بين الكوب والجوّ الخارجي. وأضاف: «يجب أن نأتي لك ببرنامج لينوكس أيضًا. لا أحد يستخدم ويندوز الآن». (ويمكن للدببة أن ترقص!)

وبمجرّد نظرة إلى رأسه من أعلى، لاحظت برودي وجود القشرة بكثرة على شعر كاميرون، فأحسّت بدافع تلقائي لمسحها عنه، تمامًا كما كانت تمسح الغبار عن الأثاث للتوّ. ولكنّها سألته: «ما تأثير هذه البرامج؟».

أجاب: «إنها تساعد على استخدام الألعاب القديمة».

قالت: «كنت أفكّر بأن المطلوب استخدام ما هو جديد. ظننت بأن الألعاب تتقدّم وتصبح أفضل».

«يمكنك استعادة تلك الألعاب الكلاسيكية».

ربّما يشبه هذا الأمر العودة إلى قراءة الكتاب ثانيةً. سارت برودي إلى غرفة الاستقبال وهي تطارد أفكارًا تدور حول إعادة القراءة واستعادة الذكريات والطفولة. وخطر في بالها كيف كانت مزرعة مانسفيلد بارك مكانًا باردًا وموحشًا بالنسبة إلى فاني إلى أن أجبرت على مغادرتها وعلى العودة إلى منزل والديها. لم يتأكّد لفاني بأنها تحبّ مقرّ عائلة برترام سوى بعد ابتعادها عنه. لم تكن، حتى تاريخ انفصالها عن تلك العائلة، قد اقتنعت يومًا بأن محبّة خالتها وعمّها لها قد تكون أصدق من محبّة والديها. من سوى جين أوستن فكّر بقلب المعادلة الثابتة دومًا في القصص الخيالية الكلاسيكية. أرادت برودي أن تذهب إلى حقيبتها لتستخرج قائمة الملاحظات لتضيف إليها هذه الفكرة، ولكنها سرعان ما استلقت على الأريكة واستسلمت للنوم على الرغم من استمرار وجود كاميرون في البيت.

استيقظت عندما ربّت دين على ذراعها برفق، وقالت: «رأيت حلمًا غريبًا جدًّا»، ولكنّها لم تتذكّر الحلم. ثمّ جلست وقالت: «حسبتك ستعود متأخرًا الليلة»، ونظرت إلى وجهه، وسألته: «ما المشكلة؟».

التقط يديها بين راحتيه وأجاب: «حبيبتي، يجب أن تذهبي حالًا إلى سان دياغو؛ لقد تعرّضت والدتك لحادث».

«لا أستطيع، عندي اجتماع المنتدى اليوم»، أجابت برودي على الفور وقد جفّ فمها وتشوّش رأسها. لو كان دين يعرف أمّها مثلما تعرفها لعلم أنه لن يكون هناك حقًّا ما يستدعي الخوف.

«أعلم، أعلم توقك لهذا الاجتماع. سوف أتصل بجوسلين. اشتريت لك بطاقة سفر والرحلة تنطلق بعد ساعة ونصف. اعذريني يا حبيبتي، اعذريني، ولكن عليك الإسراع».

لفّ ذراعيه حول عنقها ولكنّها سرعان ما أبعدته عنها، فالجوّ حارٌّ جدًّا ولا يسمح بالعناق. «إني متأكّدة بأنها على ما يرام. سأذهب غدًا أو خلال عطلة الأسبوع».

«فقدت الوعي بعد الحادث وما زالت على حالها. اتصلت عائلة بايلي بمكتبي. لم يتمكّنوا من الاتصال بك فخطّك كان مشغولًا طوال الوقت؛ حتى أنا، حاولت الاتصال بك في طريقي إلى البيت ولكن لا جواب».

«كاميرون يعمل على الحاسوب».

«سأطلب منه المغادرة في الحال».

وضّب دين حقيبة برودي، وقال لها إن سيارة تاكسي ستكون في انتظارها لدى وصولها، وسيحمل السائق بطاقة عليها اسمها ويقف في مكان استلام الحقائب. وقال أيضًا إنه سيتّصل بالمدرسة لكي يجدوا

معلّمة لتحلّ مكان برودي أثناء غيابها، وسيلغي مواعيده ويوكل أمر إطعام الهرّة في غيابهما إلى من هو أجدر في المسؤولية من كاميرون.

وأوضح أنه سوف يتبعها في أقرب وقت، ويكون في المستشفى معها غدًا صباحًا بالتأكيد؛ هذا إن لم يتمكّن من ذلك في ساعة متأخرة الليلة. «آسف يا حبيبتي!»، «آسف». كان يردّد تلك الجملة بانتظام إلى أن وصلت الرسالة أخيرًا إلى برودي، وهي أن أمّها على فراش الموت.

لو كانت مسافرة بمفردها إلى سان دياغو في الأحوال العاديّة، لرافقها دين إلى بوابة المغادرة وانتظر معها، ولكنه أوصلها الآن إلى رصيف المطار، وعاد فورًا لاستكمال تحضيراته. مرّ شابّ أمامها عبر حاجز التدقيق الأمني، وكان يحمل حقيبة رياضية وهاتفًا خلويًّا ويمشي على كعب قدميه مثلما يفعل تري نورتن. طلب منه المسؤول الوقوف جانبًا وخلع حذائه. أما مقصّ الأظافر والسكّين السويسري فتمّ أخذهما من برودي. ليتها تذكّرت أن تترك السكّين على الأقلّ مع دين فهي تحبّه لفوائده المتعدّدة.

كان دين قد حجز لها على طيران شركة «ساوثوست»، وعندما تسلّمت بطاقة العبور إلى الطائرة اكتشفت أن مقعدها يقع بين مجموعة المقاعد الوسطية وليس محاذيًا للنافذة، فتأمّلت أن تتمكّن من الجلوس في محاذاة النافذة لو حالفها الحظّ وكانت أول الواصلين إلى الطائرة.

وفيما راحت برودي تفتّش بين أغراضها المبعثرة في حقيبة يدها لاستخراج بطاقة هويّتها مرّة ثانية قبل الدخول إلى الطائرة، وقعت أرضًا البطاقات العديدة التي سجّلت عليها ملاحظاتها استعدادًا للمنتدى. وتذكّرت مرّة عندما سألت أمّها: «هل نلعب معًا لعبة التقاط اثنتين وخمسين بطاقة عن الأرض؟». وكانت قد تعلّمت تلك اللّعبة في حضانة الأطفال. «بكل تأكيد!». أجابت الأم، ثم رمت برودي البطاقات أرضًا،

غير أن أمّها ما لبثت أن طلبت منها أن تلعب دور القزم الصغير وتساعدها في عمليّة الالتقاط.

ركعت برودي على الأرض وانكبّت تلتقط وتجمع تلك البطاقات، فراح الركّاب يتجاوزونها، ويوشكون على الاصطدام بها، وكان بعضهم قليل الصبر وغير مهذّب البتة. انهمرت دموع برودي وكانت قد فقدت بالطبع كلّ أمل لها في الجلوس قرب النافذة. بعد الإقلاع بدقائق، وفيما كانت تشرب كوب الكوكاكولا الذي تقدّمه الشركة في أوّل الرحلة ترحيبًا بالركاب، أخرجت بطاقاتها من جديد وراحت تعدّها لعلّها تتسلّى وتهدأ. كان عدد البطاقات اثنتين وأربعين. كم كانت استعداداتها جيّدة لاجتماع الليلة! ثم أعادت عدّها من جديد لمزيد من التأكيد.

أمضت برودي بعض الوقت في حلّ لعبة الكلمات المتقاطعة في مجلّة الطائرة، ثم نظرت عبر النافذة إلى السماء الواسعة. وقالت: «كلّ شيء على ما يرام، وأكّدت لنفسها أن أمّها بألف خير، ورفضت الهبوط إلى هوّة التفكير بطريقة مغايرة.

حلم برودي:

كانت برودي قد رأت في الحلم أن جين أوستن كانت تسير معها في أحد القصور وتطلعها على غرفه. وهي لا تشبه صورة جين المعروفة بل تشبه جوسلين، وهي أحيانًا جوسلين، ولكنها في معظم الأحيان جين. وهي شقراء ومرتّبة وعصرية، وترتدي سروالًا حريريًّا فضفاضًا.

وقفت برودي وجين في مطبخ أزرق وأبيض ونحاسي مثل مطبخ جوسلين، وتوافقت الاثنتان على أن أفضل أشكال الطبخ لا يمكن إعدادها سوى على موقد على الغاز. وقالت جين لبرودي إنها تتقن إعداد الأطباق الفرنسية. ثمّ وعدت برودي بأن تعدّ لها طبقًا خاصًّا، غير أن برودي، وفيما كانت جين تتكلّم، تأكّدت من أنها ستنسى ما كانت تعدها به.

ونزلت الامرأتان إلى قبو لحفظ النبيذ. وكان هناك حائط داكن مجهّز بشبكة معدنية يحفظ في ثقوبها عدد من القناني. غير أن برودي رأت أن العدد الأكبر من تلك الثقوب كانت تحتلّه قطط تلمع عيونها في الظلام مثل نقود من ذهب. فتحت برودي فمها للتكلّم على هذا الأمر، ولكن سرعان ما أطبقته خوفًا من أن تتفوّه بملاحظة غير لائقة.

ومن غير أن تصعد على سلّم أو درج، وجدت برودي نفسها في الطابق العلوي، وكانت تقف بمفردها وسط قاعة كبرى محاطة بالأبواب. حاولت فتح بعضها ولكنه كان مقفلًا. وكانت قد عُلّقت بين الباب والآخر صورة كبيرة تمثّل شخصًا بحجمه الطبيعي؛ وبين الصور وضعت مرايا تعكس الصورة التي أمامها. كان باستطاعة برودي أن تقف إلى جانب كل من تلك الصور لتظهر في المرآة وكأنها تقف إلى جانب الشخص المتمثّل فيها.

ثمّ تحضر جين مجدّدًا، ولكنّها في عجلة من أمرها هذه المرّة، فتطلب من برودي أن تسير معها بسرعة أمام عدد كبير من الأبواب لتتوقّف الاثنتان فجأةً أمام أحدها. «هنا وضعنا أمّك وأظنّ بأنك ستلاحظين التحسينات التي قمنا بها»، قالت جين.

تردّدت برودي، ولكن جين طلبت منها أن تفتح الباب، ففعلت. ولكنّها لم تجد وراء الباب غرفة، بل شاطئٌ وقاربٌ وجزيرة تلوح من بعيد، والمحيط يمتدّ إلى أبعد ما يمكن لبرودي أن ترى.

أيار/ مايو

مكتبة
t.me/t_pdf

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

الفصل الرابع
قرأنا في حزيران قصّة
Northanger Abbey\دير نورثنغر
واجتمعنا في بيت غريغ

لم تحضر برودي إلى اجتماعنا في حزيران أيضًا. وكانت جوسلين قد حملت معها بطاقة وطلبت من كلّ منّا توقيعها. قالت جوسلين إنها بطاقة تعزية، وكان علينا الوثوق بقولها طبعًا لأن الكلام عن البطاقة كان قد كتب بالفرنسية. وكان ظاهر البطاقة داكنًا وحزينًا بالفعل، ويمثّل مشهد شاطئ بحري وتلال رملية وبعض طيور النورس ورواسب جرفتها الأمواج. إنه الوقت وحركة المدّ والجزر، أو المواساة الباردة. «شعرت بالأسى عندما عرفت أنها اضطرّت إلى إلغاء رحلتها إلى فرنسا»، قالت سيلفيا، وما لبثت أن أشاحت بوجهها حرجًا لأن ذلك الأمر لم يكن أكثر ما يدعو إلى الأسى في ما قاسته برودي مؤخّرًا.

ولكن جوسلين حاولت على الفور إنقاذ الموقف بقولها: «تعلمون أنها لم تزر فرنسا أبدًا».

معظمنا فقد أمّه أيضًا وشعر بالاشتياق إليها في تلك اللحظات. كانت الشمس تنثر أنوارها الزهرية في الغرب، والأشجار تزهو بخضرتها

المتجدّدة، والهواء صافيًا وناعمًا ومعطّرًا بروائح العشب والقهوة والجبن الأبيض الطري. كم كانت أمّهاتنا ستحبّ هذه الأجواء!

انحنت آليغرا نحو سيلفيا وأمسكت بيدها وربّتت عليها قليلًا ثم تركتها. وكانت سيلفيا في غاية الأناقة في تلك الليلة، وقد قصّت شعرها حتى أصبح يشبه قصر شعر آليغرا، وارتدت تنورة طويلة وسترة ضيّقة ذات لون أحمر صيني. ووضعت أحمر شفاه خوخي واستعانت بما يلزم من أدوات لتنظيف شكل حاجبيها وإظهارهما على أحسن صورة. كلّنا كنا مطمئنين لوضع سيلفيا الحالي بعد أن وصلت إلى مرحلة الهدوء والرضى بشأن طلاقها من دانيال. لقد استعادت حبّها للحياة وأناقتها.

آليغرا لبست كالعادة ثيابًا زاهية، وجوسلين لا تتخلّى عن مظهرها الكلاسيكي. احتفظ غريغ بمظهره الأنيق والمريح فلبس سروالًا من المخمل المضلّع وقميصًا أخضر بتصميم رياضي وأكمام قصيرة. أما برناديت فكانت قد لوّثت سروال «اليوغي» الواسع ببقعة من الحمّص المتبّل بالطحينة.

قماش سروال برناديت مطبّع بأزهار صغيرة باللونين الأزرق والزيتي، أضيفت إليها الآن بقعة بلون الحمّص قد لا يلاحظها الناظر مباشرة؛ كما وقد لا يلاحظ الناظر ما ترتديه برناديت بوجه عامّ إلا لاحقًا. والسبب أنها كسرت نظارتها بعد الاجتماع الأخير ببعض الوقت، وجمعت القطعتين بشريط معدني وشريط لاصق، لتصبح النتيجة أن كرةً لامعة وملفتة للنظر تقف فوق أنف برناديت وتشغلك عن ملاحظة كل التفاصيل الأخرى بشأن مظهرها.

وقد لا تكون نظارة برناديت مكسورة بالفعل، بل إن الحكاية لا تتعدّى بالفعل انحلال برغيّ صغير من مكانه.

كان اللقاء هذه المرّة في بيت غريغ. بعضنا كان يتساءل إذا كان غريغ

سيدعونا ذات مرّةٍ لنعقد اللقاء في بيته. وبعضنا الآخر اعتقد بأنه لن يفعل، وانتابه الغضب مسبقًا حول ما يتوقّعه الرجال عادةً من معاملة خاصّة؛ لماذا لا يقوم الرجال عادةً بإعداد الأطباق الصعبة ووجبات الأعياد؟ ولِمَ تقع دائمًا على كاهل الزوجات مهمّة كتابة بطاقات الشكر وبطاقات الدعوة لأعياد الميلاد؟ كنّا مشغولين بأفكار من هذا النوع عندما أعلن غريغ عن رغبته ليكون لقاؤنا المقبل لمناقشة كتاب دير نورثنغر في بيته، لأنه الوحيد بيننا على ما يبدو الذي يفضّل هذا الكتاب على غيره من كتب أوستن التي قرأها حتى الآن.

لم نكن نتصوّر أن أحدًا سيفضّل هذا الكتاب على غيره من كتب أوستن، وتمنّينا أنه لم يتّخذ مثل هذا الموقف بقصد إغاظتنا؛ خصوصًا وأن أدب أوستن ليس المكان المناسب للتباهي والغرور.

كان الفضول يدفعنا بقوّة إلى زيارة بيت غريغ. معظمنا لم يزر بيت شابّ عازب منذ السبعينات. وكنّا نتخيّل أجواء تذكّر بالمرايا الكروية[1] وبمتحف آندي وارهول[2].

وعوضًا عن ذلك وجدنا أجواء الكاتبة الإنكليزية بياتريكس بوتر، وإنارة عملية وحديثة. يعيش غريغ في بيت قرميدي صغير وأنيق وسط حيّ راقٍ في المدينة. وفوق شرفة البيت الأمامية تتدلّى كرمة، وفي الداخل غرفة نوم علوية وموقد للتدفئة لم نشهد أصغر منه من قبل. قال غريغ إن ذلك الموقد كان كافيًا لتدفئة البيت كله خلال شهر فبراير/ شباط. ولكنه أضاف بأن الجهد الذي يبذله في تقطيع الحطب إلى عيدان

(1) Mirror Balls: كرات من المرايا اشتهرت بها الملاهي الليلية في أميركا في النصف الثاني من القرن العشرين. (المترجمة).

(2) Andy Warhol: فنان تشكيلي ومنتج سينمائي أميركي اشتهر بتصاميمه الحديثة في القرن العشرين. (المترجمة).

صغيرة تناسب الموقد، يبثّ في جسمه دفئًا كافيًا يجعله يتعرّق ويغنيه في بعض الأحيان عن النار.

السجادة التي وضعت أمام الأريكة ذكّرت بعضنا بأنها عرضت في بيان التسوّق المعروف «سندانس كاتالوج»، ومن منّا لم ترغب حينذاك في اقتنائها؟ وعبر النافذة المقابلة، كانت أشعة الشمس تنير المكان وتتسرّب أيضًا من بين مجموعة من الأواني النحاسية التي رصفت على حافة النافذة وحيث زرع غريغ أنواعًا من البنفسج الافريقي الأبيض والليلكي.

أن ينجح شابّ في المحافظة على نباتاته المنزلية حيّة، وخصوصًا عندما تنقل من آنيتها الأصلية وتوضع في آنية أخرى غير مزوّدة بثقب سفلي يساعد على التخلّص من الماء الفائض، لهو أمر جدير بالإعجاب. لا شكّ بأننا شعرنا بالغيرة من غريغ لكونه يقتني تلك السجادة. أما بالنسبة لشتول البنفسج، فربّما اشتراها في ذلك اليوم عينه، ووضعها في تلك الآنية لكي يلفت أنظارنا ويحظى بإعجابنا. ولكن مَنْ نحن لكي يسعى أحدٌ إلى نيل إعجابنا؟

وعلى امتداد الحائط في محاذاة الدرج كانت هناك رفوف لحفظ الكتب، وكانت ممتلئة بالكتب التي لم ترتّب كلّها بشكل عمودي بل وضع بعضها بشكلٍ منحنٍ وكان معظمها ذا غلاف ورقي ويبدو أنها تطالع باستمرار. توجّهتَ آليغرا لتنظر إلى تلك الكتب عن كثب، وأسرعت إلى القول: «هناك الكثير من الصواريخ الفضائية في هذه المجموعة».

«هل يستميلك أدب الخيال العلمي؟»، سألته سيلفيا، بنغمة توهمك بأنها معجبة حقًّا بالخيال العلمي وبقرّائه.

ولكن غريغ لم يقع في الفخّ، وأجاب باقتضاب: «دائمًا»، واستمرّ في ترتيب قطع الجبنة على الصحن. وعندما انتهى، بدا وكأنّه رسم بتلك القطع

وجهًا مبتسمًا واستخدم دائرتين من البسكويت المنكّه بالفلفل الحرّيف في مكان العينين، وقطعة رقيقة ومستطيلة من الجبنة للابتسامة. ربّما كان ما رأيناه محض خيال، ولعلّ غريغ لم يقصد بما فعله رسمًا فنّيًا معيّنًا.

ترعرع غريغ في «مقاطعة أورانج» في كاليفورنيا، وكان الصبي الوحيد، والطفل الأصغر سنًّا لوالديه. عندما ولد غريغ كانت أخته إميليا في الثامنة، بينما أخته بيانكا في السابعة، أما كاتي، التي دعيت للتحبّب باسم «كاتيديد» عندما كانت صغيرة، ثمّ دعيت «كات» عندما كبرت، فكانت في الخامسة.

كان غريغ سهل الإغاظة؛ وغالبًا ما قالت له أخواته: «لا تكن صبيًّا على هذا الشكل»، وأحيانًا: «لا تكن طفلًا على هذا الشكل»، إلى أن بدا له أن الأشكال التي يمكن أن يكون عليها باتت حقًّا محدودة.

لو ولد غريغ بنتًا، لأطلقت عليه أمّه اسم «ديليا»، وقد أُعطي اسم جدّه الذي مات قبل ولادة غريغ بزمن قصير، ولكن لا يبدو أن أحدًا يتذكّر شيئًا كثيرًا عنه. «إنه رجلٌ بكل ما للكلمة من معنى، ورجل هادئ »، يقول والد غريغ في وصف أبيه. وكانت هذه العبارات مأخوذة من فيلم للممثل جون واين شاهده غريغ على التلفزيون، وبات يتصوّر جدّه على صورة هذا الممثل الشهير.

ومع ذلك، لم يكن من السهل على غريغ أن يغفر لجدّه مسألة الاسم. ففي أوّل يوم من كلّ سنة دراسية جديدة، كانت المعلمة الجديدة تقرأ اسمه هاريس غريغ، عوضًا عن غريغ هاريس. وكان غريغ يقضي طيلة أيام تلك السنة متوجّسًا من تجدّد هذا الموقف المخجل في السنة القادمة. حتى اكتشف لاحقًا أن الاسم الحقيقي لجدّه كان غريغوري، وأن والديه كانا على معرفة بذلك. هكذا فإن اسم غريغ ليس سوى لقب تحبّب، ولم يكن يومًا اسمًا حقيقيًا إلى أن اختار والداه أن يجعلاه

كذلك. وفي كلّ مرّة كان يسألهما عن السبب، لم يكن يلقى جوابًا مقنعًا، حتى أعلن يومًا أنه سيعتمد اسم غريغوري، ولكن لم يتذكّر أيّ من أفراد العائلة مناداته بهذا الاسم، فيما تذكّروا وبسهولة مناداة أخته كاتي باسم «كات» عندما كبرت.

كان الجدّ هاريس يعمل في أعمال مدّ الخطوط لحساب شركة الكهرباء، وكان عمله خطرًا كما أخبره والده. أما غريغ فلطالما تمنّى من كلّ قلبه أن يكون له عمل خطر في يوم من الأيام، ولكن ربّما كعميل استخبارات، وليس كعامل خطوط على الطرقات. أما والد غريغ فكان يعمل أيضًا في شركة الكهرباء، ولكن في قراءة ما تسجّله عدادات ساعات الاستهلاك في البيوت. وكان أن دخل إلى المستشفى أربع مرّات إثر عضّة كلب هنا، وآخر هناك. وكان يحمل على باطن ساقه أثرين لامعين، وأثرًا ثالثًا في مكان مستور من جسده. لا تقتني عائلة هاريس كلابًا، وقد عرف غريغ سبب ذلك عندما كان في الخامسة. وهو لا ينسى الفكرة التي خطرت في باله آنذاك وهي أن والده لن يعيش إلى الأبد.

وحده غريغ دون أخواته ينعم بغرفة خاصّة به في البيت، ولكن ذلك كان مصدر استياء دائم له. فقد كانت الغرفة صغيرة جدًّا وتكاد لا تسع السرير. أما خزانة ثيابه فوضعت في الممرّ خارج الغرفة. ومع ذلك، فقد كانت الغرفة له وحده. كان سقفها مائلًا ولها نافذة واحدة، وجدرانها مغطاة بورق جدران مطبّع بورود صفر اختارتها إميليا، لأن الغرفة كانت تخصها قبل ولادة غريغ. أما لو ولدت في مكان غريغ ابنة، لكانت الغرفة لا تزال غرفة إميليا حتى الآن.

كانت الريح تنفخ أحيانًا وتحرّك أغصان الشجرة في محاذاة غرفة غريغ الذي يسمع طرقها على زجاج النافذة وكأنه طرق أصابع إنسان؛ وكان إذ ذاك يتمدّد على سريره منفردًا وسط الظلمة، ومفكّرًا بأن ذلك لم يكن ليخيف إميليا بالطبع. وفيما هو كذلك، كان يسمع ضحكات أخواته

في آخر الممرّ، فيميّز ضحكات كلّ واحدة منهنّ عن الأخرى. وكان، ولو لم يسمع أقوالهن، يتوقّع أنّهن يتحدّثن عن الفتيان، وليس من أخبار حسنة يتبادلنها عادةً بشأن هؤلاء.

ثم تنادي أمّه من الطابق السفلي: «اذهبن الآن إلى النوم يا بنات»، وغالبًا ما كانت الأم تعزف على البيانو بعد أن ينام الأولاد. أما لو سمعت أصوات البنات تعلو على موسيقى سكوت جوبلن الذي تحبّه كثيرًا، فهذا دليل قاطع على أنهن لم يلتزمن بما طلبته. وعادة ما كانت الفتيات تستجبن بفترة صمت قصيرة تلبية لنداء الأمّ، أو ربما لا تكترثن لأوامرها مطلقًا. كان في إمكان والدة غريغ السيطرة على كل واحدة من بناتها منفردة، ولكنّ الأمر لم يكن بتلك السهولة عندما يكنّ معًا.

وغالبًا ما لقي والد غريغ صعوبة في مواجهة بناته. كنّ لا يحتملن رائحة غليونه، فكان لا يدخّن سوى في السقيفة التي يضع فيها أدواته وخردواته. كما كنّ يكرهن الرياضة فيضطر أن يذهب ليتابع أخبار المباريات عبر الراديو في السيارة. أمّا لو كنّ بحاجة إلى المال، فيلجأن إلى الحيلة والممالقة: فهذه تصلح ربطة عنقه، وتلك تطبع قبلة على وجهه، فيستسلم لهن مثل قطّة صغيرة، ويمدّ يده إلى جيبه الخلفي ويسحب محفظته. عندما لجأ غريغ إلى الطريقة عينها ذات صباح، ونظر إلى أبيه بعينين طارفتين واختلجت رموشه وتكوّرت شفتاه، ضحكت أخته كات ضحكًا شديدًا حتى كادت تختنق بحبّة الفستق التي كانت في فمها. وعندما قالت إميليا إنها سمعت مرّةً بأن أحدًا مات بهذه الطريقة، فكّر غريغ كيف كان سيشعر لو حدث شيء من ذلك بالفعل؟

كان غريغ في المدرسة عرضةً لسخرية رفاقه بشكل مستمرّ. ومع أنه تفوّق على جميعهم في الصف الابتدائي الأوّل بلعبة التقاط الحصى، لم يدعم تفوّقه في هذه اللعبة مركزه في المدرسة، بل ظهر وكأنه خطوة اجتماعية ناقصة أيضًا.

وفي ذات صباح، وكان غريغ في الصفّ الابتدائي الخامس، ناداه أبوه بعد طعام الفطور مباشرةً، وقال له بصوت خفيض: «أخرج معي إلى الخلف الآن، ولا تخبر الفتيات بذلك».

«الخروج إلى الخلف» يعني الذهاب إلى الغرفة الصغيرة التي أعدّها أبوه لنفسه في سقيفة الخردوات. وهو مكان محظور دخوله إلا بناءً على دعوة خاصّة. كان الباب موصدًا بقفل حديد، وفي الغرفة كنبة قديمة لا تحبّ أمّي شكلها وكانت قد رفضت إبقاءها داخل البيت. وكان هناك وعاء بلاستيك كبير يملأه الأب بنوع من السكاكر المطعّمة بالقرفة. لم يكن غريغ ميّالًا إلى هذا النوع من السكاكر ولكنّه لا يرفضها عندما تقدّم له.

فرح غريغ لأن أخواته لسن مدعوّات إلى هذا الاجتماع السرّي، ويجب ألا يعلمن به البتّة. لم يكن من السهل أن يخفي غريغ مضمون هذا السرّ عن أخواته الثلاث، مع إعلامهنّ ضرورةً، وفي الآن عينه، بأن هناك سرًّا يخفيه عنهن. ولكن ذلك لم يكن مستحيلًا عليه، وهو الذي تدرّب على أيديهنّ، هن الخبيرات الثلاث بمثل هذه الأمور.

خرج غريغ إلى السقيفة ووجد أباه في انتظاره، وكان هذا الأخير يدخّن سيجارة. لا وجود لنافذة في السقيفة، حتى إن الظلمة تكاد تكون داكنة لولا بقعة الضوء المركّزة المنبعثة من ذلك القنديل الكهربائي ذي العنق المتحرّك، وكأنه مكان لاستجواب أحد المجرمين. احتقن الهواء بدخان السيجارة الكثيف، ولكن كانت الأضرار التي تلحق بغير المدخّنين جرّاء استنشاق الدخان الذي ينفثه المدخّن غير معروفة بعد. وكان الأب يجلس على الكنبة القديمة وفي حضنه كومة من المجلّات.

قال أبوه: «ما تراه هنا يا غريغ هي أشياء تخصّ الرجال فحسب. فهمت؟».

جلس غريغ على صندوق مقلوب وتسلّم من والده مجلّة. وعلى غلاف المجلّة صورة امرأة في ثيابها الداخلية، ذات شعر أسود تتبعثر خصلاته الطويلة المفتولة وتتراخى فوق وجهها. لها عينان واسعتان، وثديان عارمان ضاقت حمّالة الصدر الذهبية بهما فلم تتمكّن من استيعابهما بشكل كلّي.

ولكن أفضل من ذلك كلّه، الأفضل بدرجة لا تصدّق، هو الشيء الذي أوكلت إليه مهمّة فكّ حمالة الصدر؛ كانت لدى ذلك الشيء ثماني أذرع وجسم على شكل علبة كوكاكولا، وكان أزرق اللون. أما التعبير الذي رسم على وجه ذلك الشيء فيقول بصراحة إنه جائع يا له من فنّان، ذلك الذي استطاع أن يوصل تعبيرًا على تلك الدرجة من الدقّة عبر شكل على تلك الدرجة من البساطة.

وهذا بالذات كان اليوم الذي صنع من غريغ عاشقًا للقراءة. وفي غضون وقتٍ قصير بعد ذلك، كان غريغ قد تعلّم التالي:

تعلّمّ من آرثر س. كلارك أنه «لا يمكن الاستمتاع بالفنّ سوى إذا تمّت مقاربته بالحبّ».

ومن ثيودور ستورجن، تعلّم التالي: «أحيانًا قد يبدو صعبًا العيش في مثل هذا العالم، وفي جسدٍ ربّما تحتاج إلى تجاهله لكي ترتاح».

ومن فيليب ك. ديك، تعلّم أنّ «نصف الأشخاص الذين اشتهروا في التاريخ ليسوا حقيقيّين»، وأنه «يمكن تخيّل واختراع أيّ شيء».

أكثر ما أحبّ غريغ في أدب الخيال العلمي، هو أنه مكان لا يشعر فيه وحيدًا، وليس في الآن عينه محاطًا بالفتيات. ولكنّه ما كان ليستمرّ في حبّه له بعد أن أصبح شابًّا، لو خلا هذا العالم بالفعل من الفتيات كما كان يتصوّره في البداية. كان أندرو نورث من أوائل المؤلّفين المفضّلين لديه. ولكنه علم لاحقًا أن ذلك الاسم كان مستعارًا، والاسم الحقيقي

للمؤلف كان «أندريه نورتن». ثمّ عرف لاحقًا أيضًا أن أندريه نورتن هي امرأة.

لم يخبرنا غريغ أي شيء من كلّ هذا لاعتقاده بأننا قد لا نكترث إلى معرفته.

قال غريغ: «تلك الكتب التي تحمل عنوان «المركبات الفضائية» هي أولى الكتب التي أحببت، ومن الطبيعي ألاّ ننسى حبّنا الأوّل، أليس كذلك؟».

وعلقت سيلفيا مباشرةً: «كلا، لا ننساه أبدًا».

لكن برناديت علّقت: «إلا في بعض الأحيان».

قال غريغ: «كنت في مؤتمر للخيال العلمي عندما التقيت جوسلين لأول مرّة».

التفت جميعنا إلى جوسلين؛ وبيننا من فغرت فمها تعجّبًا. لم نتخيّل يومًا أنها تقرأ كتبًا في الخيال العلمي. لم تذكر لنا ذلك أبدًا بالطبع. ولم تحضر أي فيلم من أفلام «حروب النجوم» الجديدة، ولم تقف في الصف بانتظار دورها لحضور أي من الأفلام القديمة.

«رجاءً»، قالت جوسلين وأشاحت بيدها بحركة تعبّر عن نفاد صبرها. «كنت في اجتماع لمربّي الكلاب، وكان في الفندق ذاته».

لم يكن قد تجاوز لقاؤنا بدايته، وكنا نعد النفس بسماع قصّة ثانية لم نكن قد سمعناها من قبل.

منذ نحو عام، ذهبت جوسلين إلى مدينة ستوكتون لحضور اللقاء السنوي لنادي مربّي الكلاب في المقاطعة. واحتفالًا بعطلة نهاية أسبوع خالية من وبر الكلاب (ليس المقصود هنا أن كلابها تسقط وبرًا كثيرًا، بل فهي تحتفظ بوبرها أكثر من معظم أنواع الكلاب، وتلك إحدى ميزاتها العديدة). جمعت جوسلين في حقيبة سفرها مجموعة من الملابس

السود، وارتدت قميصًا مطرّزًا بالخرز تحت سترة صوفية سوداء، وسروالًا أسود وجوارب سود. تابعت محاضرات عديدة تراوحت عناوينها بين: «ميزات كلاب الصيد التي تعتمد على حاسّة البصر»، و«تقنيّات جديدة لتغيير سلوك الكلاب العدائي»، إلخ.

وفي عطلة نهاية الأسبوع ذاتها، استضاف الفندق مؤتمر الخيال العلمي الذي يعرف باسم *Westeresscon*. اشترك في المؤتمر الذي عُقد في الطابق السفلي محبّو الخيال العلمي لمناقشة كتبهم المفضّلة، وللتعبير عن أسفهم على تراجع عروض مسلسلات الخيال العلمي على الشاشة الصغيرة. وطرحت عناوين مثل: «لماذا كنا نحبّ بوفي *Buffy*»، و«الحدود النهائية *The Final Frontier*»، و«بابا نويل، هل هو إله أم شيطان؟»، وغيرها من العناوين.

استقلّت جوسلين في نهاية النهار المصعد إلى الطابق السابع عشر حيث كانت غرفتها، ودخل وراءها شابّ سرعان ما لاحظت أنه ليس صغيرًا في السنّ، ولكنه يصغرها بعدد غير قليل من السنوات. يبدو وكأن هذه الفئة العمرية من الناس على ازدياد دائم في هذه الأيام، فكّرت جوسلين، ولكنها لم تجد فيه ما يسترعي انتباهها بدرجة أكبر. ثمّ دخلت إلى المصعد ثلاث نساء بمظاهر غريبة، إذ علّقت كلّ منهنّ سلسلة بأنفها، ووضعت سوارًا معدنيًا شائكًا حول معصمها، وغطّت أذنيها بكواتم للصوت، فكأنها كانت قد خطفت إلى عالم الأسماك أو إلى عالم الحيوانات الوحشية لحظةً ثمّ أعيدت إلى عالمنا مع بصمة من ذلك العالم. كانت وجوههن مغطاة ببودرة بيضاء بلون الكلس، وذراعا كلّ منهن مكتوفتان بشكل متعاكس فوق صدرها، بحيث بقي السوار الشائك ظاهرًا. ضغط الشابّ على زرّ الطابق الثاني عشر، وضغطت إحدى النساء على زرّ الطابق الثامن.

توقّف المصعد عند أحد الطوابق ودخل إليه بعض الناس. وفيما

كان الباب على وشك الانغلاق، دقّ أحدهم عليه من الخارج ففُتح مجدّدًا، وحشرت دفعة أخرى من الناس أجسادها في الداخل. وإذا بجوسلين تجد نفسها ملتصقة إلى جدار المصعد الخلفي، وسوار إحدى الفتيات الشائك يصطدم بسترتها ويخرج منها خيطًا؛ ثمّ يقف أحد ركاب المصعد على قدمها من غير أن يتنبّه لما يفعله، وكان عليها أن تسحب قدمها بالحيلة من تحت رجله، ومع ذلك لم يعتذر. وتوقّف المصعد من جديد، ولكن سرعان ما أعلن أحد الواقفين بقرب الباب بصوت عال عن عدم وجود مكان إضافي، فانغلق المصعد. كانت المرأة الواقفة إلى يمين جوسلين تضع حول عنقها شريطًا أحمر خاص بالكلاب وهو مثل الشريط الذي تزيّن به جوسلين عنق كلبتها «صحارى» في المناسبات الخاصّة. «لديّ شريط عنقٍ مثل هذا»، قالت لها جوسلين في محاولة لمدّ الجسور أو لتلطيف الجوّ، في محاولة لأن تتحمّل برحابة صدر وجودها في تلك الزاوية الضيّقة. فهي مع أنها لا تعاني من رهاب الأماكن المغلقة، ولكنها نادرًا ما تجد نفسها في مثل هذه الزحمة الخانقة. وكانت أنفاسها قد بدأت تتسارع وتضيق.

لم تجب المرأة على كلام جوسلين التي كانت تتوقّع جوابًا أو حتى إيماءة. فاجتاح جوسلين فجأةً شعور مقتضب وغير مبرّر بالإهانة. «أيّ ذنبٍ اقترفت؟»، فكرت جوسلين: «هل المشكلة في عمرها؟ أو في ثيابها؟ أم في بطاقة اسمها التي كتبت عليها عبارة: (الكلب مساعدي)». الكلّ سوى جوسلين، وسوى هذا الرجل الذي ليس صغيرًا في السنّ، ولكنه أصغر منها بسنوات خرج من المصعد عند الطابق الثامن. تقدّمت جوسلين إلى وسط المصعد ونظرت إلى الخيط الذي نتأ من سترتها وحاولت إدخاله إلى مكانه كي لا يُرى. ثم تحرّك المصعد من جديد.

فقال الرجل: «لقد كانت خفيّة».

استدارت جوسلين نحوه وقالت بتعجّب: «نعم؟ ماذا تقول؟».

بدا الرجل طبيعيًا ولطيفًا. وباستثناء جمال رموشه الطويلة والكثيفة، كان يبدو عاديًا. وتابع الرجل: «إنها لعبة يتظاهرن فيها أنهن من مصّاصي الدماء، وعندما تضع إحداهنّ ذراعيها فوق صدرها بذلك الشكل المتعاكس، تدّعي بأنها أصبحت غير مرئية، ولذلك يكون على الناظر التظاهر بعدم رؤيتها. كانت تدّعي أنها غير منظورة ولذلك لم تجبك. لا تأخذي الأمر بطريقة شخصية».

بدا من كلامه وكأن كلّ الخطأ حدث من جانب جوسلين فحسب. فقالت له: «أن تكون مصّاص دماء لا يعطيك العذر بألّا تكون مهذّبًا. هكذا تقضي الأصول». لم تتضمّن قواعد الأصول مثل هذه التفاصيل بالطبع، ولكن لو طرحت المسألة على من يصوغ تلك القواعد لكان الجواب كذلك.

وصل المصعد إلى الطابق الثاني عشر، وهدر قليلًا ثم توقّف. بينما يخطو الرجل خارجًا استدار نحو جوسلين، وقال:

«أدعى غريغ».

وكأن أحدًا كان سيعلم إذا كان غريغ اسمه الأول أو لقبه ما لم يوضح هو نفسه ذلك. وانغلق باب المصعد قبل أن تتمكّن جوسلين من الإجابة. «مجموعة مجانين!»، قالت بصوتٍ عالٍ لعلّ أحدًا بقي في المصعد معها فيسمعها. مشاعر الأشخاص غير المرئيين أو الخفيّين لا تهمّها، مع أن ذلك أيضًا قد يتنافى مع قواعد الأصول التي قد تكون قاسية أحيانًا.

كانت جوسلين قد خرجت من القاعة قبيل بداية عرض يقدّمه متخصّص في علم نفس الحيوانات الأليفة، وأقلّ ما يقال فيه إنّه يغالي في الخيال، وبعيد عن التصوّر. ومن القائمة الطويلة التي تتكلّم عن مشاعر الشكر لدى الحيوانات الأليفة، سمعت جوسلين مثلًا: «ـ يريدك أن تعلمي مبلغ تقديره للعناية التي تقدّمينها له»؛ «ـ تريد أن تقول إنها تحبّك كثيرًا»، وإلخ.

وصلت جوسلين أخيرًا إلى غرفتها، واستحمّت بهدف الاستمتاع بالمستحضرات التي يقدّمها الفندق فحسب. ثم نفضت شعرها ليجفّ قليلًا، ولبست فستانًا من الكتّان الأسود الأنيق. وتركت بطاقة اسمها معلّقة على صدر السترة الصوفية على السرير، ثمّ استقلّت المصعد إلى الطابق العلوي المخصّص للترفيه. وقفت جوسلين عند باب القاعة وتفحّصت بنظرة شاملة الحاضرين لعلّها تقع على وجهٍ تعرفه، وفيما هي كذلك، سمعت امرأة جذّابة تجلس إلى طاولة غير بعيدة عن الباب، تقول: «سافرت في السنة الماضية إلى هولندا، وإلى إيطاليا، وإلى أستراليا، وفي كل مرّة شاهدت فيها التلفزيون، كنت أصادف عرضًا لأحد أفلام روّاد الفضاء *Star Trek*، صدّقوني إنه شديد الانتشار».

وجدت جوسلين مقعدًا شاغرًا حول البار، فجلست وطلبت كأس «كوكتيل مارتيني». وما إن وصل الكأس حتى ابتلعت منه جرعةً كبيرة، ثمّ جرعةً كبيرة أخرى، وجرعة ثالثة، محاولةً وسعها ازدراد الكأس بسرعة والعودة إلى الطابق الأرضي، أو إلى المطعم حيث قد تلتقي بهواة تربية الكلاب مثلها. كانت الضجة عالية في البار إلى درجة الازعاج؛ عشرات الأحاديث تدور بين الحاضرين وضحكات رنّانة تخترق الجوّ أحيانًا، إضافةً إلى أصداء مباراة الهوكي التي تعرض على الشاشة، وأصوات قنانٍ تُقذف حينًا، وتسكب حينًا آخر، وماكينات تطحن الثلج هنا وهناك.

«كلّ ما أريد قوله هو أن الحيوان يحتاج إلى تطوّر قد يستغرق ألف عام قبل أن يصل إلى مستوى الوعي الكامل»، قال رجل كان يجلس إلى جانب جوسلين.

«لن أوافقكَ الرأي لو قلت غير ذلك». أردف بصوتٍ مرتفع جعل جوسلين تفكّر بأن لا لزوم لتتظاهر بعدم سماع ما قاله، فقرّرت المشاركة.

انحنت قليلًا إلى الأمام وقالت: «في الواقع كنت سأستمتع أكثر

بعرض أكثر واقعيّة، وربّما أقرب إلى ذكاء الزواحف. كيف لنا أن نتخيّل هذه الحيوانات تتكلّم بهذا المستوى من اللغة الصحيحة، واللكنة البريطانية، قائمة لا تنتهي من أفعال الشّكر! كأننا لا نتكلّم هنا على حيوان يتربّص الفرصة المناسبة ليلعق أقدامنا؟».

لم تعبّر جوسلين عن رأيها بأسلوب لائق. ربّما كانت ثملة بدرجة قليلة، خصوصًا وأنها شعرت بدوار طفيف. فكرت: «الشرب على عجل، يعني الندم لاحقًا»، عبارة طالما كانت أمّها تردّدها. ومرّ على الشاشة إعلان لحذاء رياضي يكاد يكون «شاعريًّا».

التفت الرجل إليها، وكان ضخم الجسم، وذا لحية كثيفة وأمامه كأس ويسكي صغيرة. لا شكّ بأن شكله يذكّرك بشكل الدببة، ولكنّه بدا مرحًا، وإمارات المرح بعيدة جدًّا عن الدببة الحقيقيين. توقّعت جوسلين أن يكون من مربّي كلاب الصيد من نوع باسِّت Basset Hound؛ وليس من كلاب في العالم أقرب إلى القلب من هذه الكلاب. أما هي فلم تتمكّن من أن تحبّها سوى منذ زمن وجيز، وتخجل في سرّها من ذلك، لأن الجميع يقع في حبّ كلاب باسّت بسرعة فائقة.

قال الرجل 'الدبّ': «أكثر ما أهانني هو كلامه عن اللافقاريات، لسنا من فصيلة القشريّات، والقواعد عينها لا تنطبق علينا».

هنا شعرت جوسلين بالندم لأنها تركت العرض بهذه السرعة. «أي تعبير عن الشكر تتمكّن القشريّات من إظهاره؟»، ولو تمكّنت إحدى فصائل القشريات من ذلك، فتتمنّى لو استطاعت مشاهدتها. «هل قدّم عرضًا عن القشريات أيضًا؟»، سألت بتوق تعتريه الكآبة.

«أيًا من كتبه قرأتِ؟».

«لم أقرأ أيًا منها».

«يا إلهي، عليك أن تقرأي كتبه! على الرغم من عدم اقتناعي ببعض الأمور، فإنّي بلا شكّ مشجّع 'ضخم' له. عليك حقًّا أن تقرأي كتبه».

«إنكّ بلا شكّ ضخم، وأنت محقّ من هذه الناحية»، قال صوت رفيع دخل إلى أذن جوسلين كأزيز بعوضة، فاستدارت لترى وجه روبرتا رينيكرز يحوم فوق رأسها، ورأت تاد أخ روبرتا واقفًا وراء أخته تمامًا. تملك عائلة رينيكرز مرْبى للكلاب في منطقة فرسنو، وكلبة جميلة تدعى بيوتي من نوع ريدجباك، أي من نوع الكلاب التي تربّيها جوسلين. تتمتّع بيوتي بمواصفات جيّدة بتأييد الخبراء. وهي لطيفة مع أنها لا تحافظ على شريك واحد؛ فهي تعطي قلبها بسهولة للكلب الأقرب إليها. وهذه الصفة تعدّ جيّدة في الكلاب.

«أعطني مكانًا إلى جانبك»، قالت روبرتا. وقفزت لتجلس على المقعد الضيّق والعالي إلى جانب جوسلين التي باتت ملتصقة بطاولة البار أمامها.

روبرتا امرأة لها شعر أشقر ساطع، وفي نهاية العقد الثالث من عمرها. أما أخوها الذي يكبرها سنًّا ويقلّ عنها جاذبية، فسرعان ما انحنى فوق جوسلين ليطلب من النادل كأسًا. وقال لجوسلين:»اشتريت سيّارة جديدة»، رافعًا حاجبيه إعجابًا بنفسه، وأكمل: «سيارة من نوع لكسوس Lexus؛ مقاعدها جميلة، ولوحة قياس الأميال التي قطعتها السيارة تظهر رقمًا صغيرًا، أما المحرّك فناعم كالحرير»، وانتظر ردّ فعل منها.

قالت جوسلين: «جميل». وكان لا يزال يتحرّك فوق رأسها وينحني باتجاه النادل. لو نظرت جوسلين إلى أعلى لشاهدت جلد ذقنه الأبيض والطري يشبه جلد الضفدعة. لم يكن، ولحسن الحظ، ذلك المنظر متاحًا.

«'جميل'؟»، قال تاد وهزّ برأسه؛ فاهتزّ جلد ذقنه يمينًا ويسارًا، ثمّ يمينًا ويسارًا. «كنت أتمنى لو قلتِ شيئًا أكثر من ذلك، إنها لكسوس!».

فتبرّعت جوسلين بالقول: «جميل جدًّا!».

تعرف جوسلين جيّدًا أن سيارات لكسوس جيّدة ولم تسمع قطّ ما يخالف هذا الرأي.

«نعم إنها مستعملة، ولكني كنت محظوظًا في العثور عليها. يمكننا الذهاب معًا في نزهة سريعة فتكتشفين كم ركوبها مريح».

وفيما كان يتكلّم، دخل أزيز صوت روبرتا إلى داخل أذن جوسلين مرّة جديدة. فقالت: «ناس غريبو الأطوار!».

لا توافق جوسلين على عبارة «غريبو الأطوار». ولا تجد في الواقع ما يبرّر قطعًا وصف تلك المجموعة التي كانت تجلس حول البار في تلك الساعة بهذا العبارة. كان هناك «كلينغن»[1] وقزم أو انين في الطابق الأرضي، ولكن يبدو أن تلك المخلوقات غير الأرضية لا تتعاطى الكحول. لو انتهت هذه الليلة التي بدأت بقراءة أفكار القشريات التي تعبّر عن امتنانها، بمشهد مخلوقات غير أرضية تترنّح من شدّة السكر، لكانت ليلة من العمر لا تنسى. ولكنها مع الأسف لم تنتهِ كذلك.

أجابت جوسلين: «لا أعلم عمّن تتكلّمين».

«صدّقتك!»، قالت روبرتا باحتيال.

سأل الرجل ’الدبّ‘ روبرتا: «إلى أيّ من الكتّاب تميلين؟».

«لا أقرأ كتب الخيال العلمي مطلقًا». وأضافت في أذن جوسلين: «يا إلهي، يظنني واحدة منهم».

يا إلهي، يبدو أن الرجل ’الدبّ‘ من هواة الخيال العلمي، وليس مربّيًا لكلاب باسّت إذًا كيف دار الحديث بينهما، وعمّ كانا يتكلّمان؟ كيف دخلت القشريات إلى حديثهما؟

---

(1) Klingon: مخلوق فضائي في أفلام روّاد الفضاء.

من المؤكّد أنه لم يسمع جواب روبرتا بسبب الضجة، ولكنّه تمكّن من رؤيتها تهمس في أذن جوسلين التي تكاد تتمزّق بسبب الخطأ الذي ارتكبته من ناحية، وبسبب انعدام اللياقة في سلوك روبرتا.

«حقًّا؟»، سألت جوسلين روبرتا بصوتٍ عالٍ. وتابعت: «لا تقرئين مطلقًا؟»، ولكن ليس ذلك دليلًا على سعة المعرفة؛ من ناحيتي، أميل إلى قراءة كتاب جيّد في الخيال العلمي».

سأل الرجل 'الدبّ': «لمن تقرئين؟».

ازدردت جوسلين جرعة أخرى من المارتيني ثمّ وضعت الكأس أمامها، وأغلقت ذراعيها فوق صدرها؛ ولكنّ ذلك لم يأتِ بنتيجة. أما الرجل 'الدبّ'، وروبرتا، وتاد، فكانوا يراقبونها باهتمام. أغمضت جوسلين عينيها التي لم تعد منظورة، ولكن من غير فائدة. تذكّري يا جوسلين! قالت في نفسها. كانت متأكّدة من أنها تعرف اسم أحد أدباء الخيال العلمي. ماذا كان اسم مؤلّف ذلك الكتاب حول الديناصور؟ مايكل ماذا؟

كان غريغ قد وصل فيما كانت جوسلين تغلق عينيها، ووقف وراءها. «أورسولا لوغوم، أو كوني ويليس، أو نانسي كريس؟ هل أنا على حقّ؟»، سألها، وأضاف: «لا بدّ أنّك تتمتعين بذوق رفيع».

نظرت نحوه وأجابت: «ولا بدّ أنك عالم في الغيب».

وراح تاد يدلي برأيه حول مواصفات الكتاب الجيّد: «ألا يكون خياليًّا، وتتخلّله مراكب بحريّة مثل كتاب *العاصفة المثالية* *The Perfect Storm*»، ثمّ تحدّث عن الكتاب غير الجيّد بحسب رأيه، مثل كتاب *سيّد الخاتم* *The Lord of the Ring*، وتبيّن بعد ذلك أنه لم يقرأ أيًّا من الكتابين بل شاهد الفيلمين. فاغتاظ الرجل 'الدبّ' إلى درجة أنّه ارتجف وأوقع كل محتوى كأسه من الويسكي فوق ذقنه.

ذهبت جوسلين إلى الحمّام وعندما عادت كان غريغ والرجل 'الدبّ' قد غادرا. أخبرتها روبرتا للتوّ أنها احتفظت لها بمقعد الرجل 'الدبّ'، وكان تاد قد أحضر لها كأسًا ثانيةً من المارتيني. مع أن ما فعله تاد كان لطيفًا، لم تكن ترغب في شرب كأس أُخرى، وكان من الأفضل طبعًا أن يسألها. أما المقعد الذي تجلس عليه روبرتا الآن فهو مقعد جوسلين. ليس لأن جوسلين تفضّل أحد المقعدين على الآخر، بل لأنّها لم تكن بحاجة لأن يحتفظ أحد لها بمقعد، لو أنه لم يؤخذ مقعدها منها في البداية.

«ها إني نجحت بالتخلّص منهم»، قال تاد، وكان يتكلّم بصوت مرتفع لكي يُسمع. وتابع: «قلت لهما إننا سنذهب في نزهة في سيارتي الجديدة».

قالت روبرتا: «لن أذهب معك، إنني منهكة حقًّا، وأكاد لا أستطيع السير من هنا إلى غرفتي». ولمزيدٍ من الإقناع، أرخت رأسها بدلال فوق البار.

سألته جوسلين: «ما الذي جعلك تفكّر بأنني كنت أرغب في التخلّص منهما؟». يا له من رجلٍ مزعج! تمتمت جوسلين في سرّها، وشعرت بأنها تكره تلك السيارة؛ كما وبدأت تكره الكلبة «بيوتي»، الكلبة الأجمل على الاطلاق. ولكن هل ترغب جوسلين حقًّا بانتقال هذا الجين الوراثي الذي قد يحمل عادات سقيمة إلى سلالة كلابها، كلاب سيرنجتي الأفريقية العريقة؟

«أعلم جيّدًا عندما تقصدين أن تكوني مهذّبة»، قال تاد، وغمز بعينه، مثبتًا حقًّا أنه لا يعلم شيئًا.

غير أن جوسلين اعتذرت عن الذهاب معه في السيارة بحجّة أنّ عليها الاستيقاظ باكرًا في الغد لكي تتابع إحدى المحاضرات. ولذلك فسوف تعود إلى غرفتها في الحال. «وأنا أيضًا»، قالت روبرتا.

شكرت جوسلين تاد على الكأس الذي لم تلمسه، وأصرّت على دفع ثمنه، ثم انصرفت.

بحثت جوسلين عن غريغ وعن الرجل 'الدبّ' من غير أن تجدهما. كانت لا تريد أن يبدو ما حدث وكأنه مدبّر تذهب هي إلى الحمّام، ويتخلّص تاد من الصحبة غير المرحّب بها. كيفما كان أسلوب تاد في إقناعهم بالمغادرة، لا بدّ لمثل هذا الموقف من أن يكون محرجًا. كانت تريد لو التقتهما مجدّدًا أن تخبرهما بأنها لم تعلم بما جرى، وأنّها استمتعت بصحبتهما. قد يكون ذلك في غير محلّه، وقد لا يكون مقنعًا، ولكنّها الحقيقة.

وقرأت إعلانًا على جدار المصعد عن حفلة تقام في الطابق السادس بمناسبة إطلاق وتوقيع أحد الكتب. ضغطت على زرّ الطابق السادس، ثمّ سارت في الممرّ متظاهرة بأنها تسير إلى غرفتها. كانت القاعة الصغيرة التي أقيمت فيها الحفلة مزدحمة إلى درجة أن بعضهم جلس أو وقف خارجها. رأت جوسلين الفتيات الثلاثة اللّواتي يلعبن لعبة مصّاصي الدماء يجلسن بين الحضور. اثنتان منهنّ لم تدّعيا الخفاء، وكانتا تشربان النبيذ الأحمر وتتقاذفان رقائق البطاطا بينهما. أما الثالثة فعقدت ذراعيها حول عنق رجل شاب، ووضعت لسانها في داخل فمه. وكانت يداه تداعبان مؤخرتها، فعرفت جوسلين أنه مرئيٌّ، ولكنّها بقيت غير متأكّدة بشأن الفتاة. سوف تطرح على غريغ عندما تعثر عليه السؤال التالي: «هل تكون خفيًّا عندما تكون ذراعاك معقودتان بشكل متعاكس، وبينهما رأس شابّ نحيل يلعق وجهك؟».

أكملت جوسلين طريقها من أمام باب القاعة فشاهدت وميض الأضواء وكان هناك رقص وموسيقى وصخب. وقد فوجئت جوسلين برؤية روبرتا بين الراقصين وكانت تنفض برأسها وشعرها وتهزّ مؤخّرتها، وتتغيّر مع كل ومضة ضوء من وضع إلى وضع. ها هي تضع

يديها على وركيها هنا، ثمّ تتلوّى بجسدها كالحيّة هناك. وهنا تقفز، وهنا تهوي برأسها إلى أسفل. لم ترَ جوسلين شريك روبرتا في الرقص بسبب الازدحام الشديد.

يئست جوسلين فجأةً من جدوى التفتيش عن غريغ والرجل 'الدبّ'، فقرّرت العودة إلى غرفتها حيث اتصلت بسيلفيا ونقلت إليها أخبار تلك الليلة المزعجة.

«من هو تاد؟ هل هو الرجل الذي يردّد: 'أحسنتِ!' ويقولها للجميع». ذلك الذي خطر في بال سيلفيا كان بيرتي تشيمبرز. غير أنّ سيلفيا أحبّت فكرة أنّ تصبح خفيًا لمجرّد عقد ذراعيك فوق صدرك. «يا إلهي كم سيكون ذلك رائعًا!»، قالت. وأضافت: «كم كان دانيال سيحبّ ذلك! فهو لا ينقطع عن القول بأنه يريد أن يختفي».

***

لم ترَ جوسلين غريغ مجدّدًا حتى مساء اليوم التالي، فبادرته بالقول: «كنت قلقة بأن تكون قد غادرت قبل أن أعتذر منك بسبب الليلة الماضية».

حرصًا منه على عدم إحراجها، سارع غريغ إلى قطع اعتذار جوسلين بقوله: «أحضرت إليك شيئًا قد يسرّك». ومدّ يده إلى الكيس الذي كان يحمله وأخرج كتابين *The Left Hand of Darkeness* (يد الظلام اليسرى) و*The Lathe of Heaven* (مخرطة الفردوس). أنصحك بهذين الكتابين!».

أخذت جوسلين الكتابين منه شاكرةً. أحبّت الهديّة، ولكنّها شعرّت وكأنه يسخر منها؛ أحد الكتابين كان للكاتبة لوغوم التي ادّعت البارحة بمساعدته بأنها معجبة بكتبها وتحبّها. إضافة إلى أن غريغ كان يبدو وكأنه متحمّس جدًّا لأنه عثر على قارئة على هذا المستوى من الجهل.

«إنهما كتابان كلاسيكيان في الخيال العلمي. أظن أنك ستحبين هذين الكتابين حقًّا، كما وإنّي مستعدّ للأخذ بنصيحتك. أنت تقولين لي أيّ الكتب أقرأ، وأعدك بقراءتها».

شكرته مجدّدًا، مع أنها لم تكن قد فكّرت يومًا بقراءة كتب في هذا المجال، ولم تفكّر بعد.

ومن حيث إن لا شيء أعز على قلب جوسلين من أن توكَل إليها مهمّة إرشاد الآخرين، أجابت: «سوف أكتب لك قائمةً بها».

غير أنها نسيت كل شيء بشأن غريغ، حتى بعث لها برسالة إلكترونية قبيل نهاية شهر يناير/ كانون الثاني. وسألها: «هل تذكرينني؟ التقينا في مؤتمر ستوكتون. ولأنني تركت وظيفتي، قرّرت تغيير منطقة سكني واستأجرت بيتًا في منطقتكم. وبما أنّك الشخص الوحيد الذي أعرفه في هذه المنطقة، أتمنّى الأخذ بنصيحتك بشأن بعض الأمور؛ أين أقصّ شعري؟ أين أصلح أسناني؟ ما رأيك أن نلتقي حول فنجان قهوة، فتكتبي لي قائمة كما فعلت سابقًا؟».

لو لم يكن اسمه غريبًا، لما استطاعت ربّما أن تتذكّره بسهولة. ولكنّها سرعان ما تذكّرت كم وجدته لطيفًا؛ خصوصًا عندما قدّم لها كتابًا أو اثنين. يجب أن تعثر على الكتابين وتقرأهما.

حافظت على رسالته في رأس قائمة بريدها لعدّة أيّام. ثمّ فكّرت بأنه ليس من الحكمة التفريط برجل لطيف وجذّاب وغير مرتبط (كما توقّعت) لمجرّد أن لا «حاجة» إليه في الوقت الحاضر. ولذلك سارعت إلى الإجابة على رسالته ووافقت على اللقاء.

عندما بدأت بتنظيم منتدى الكتاب، راسلته مجدّدًا: «أتذكّر أنك قارئ شغوف، وسوف نقرأ كمجموعة جين أوستن، فهل يهمّك هذا الأمر؟».

وأجاب: «سأكون معكم. فكّرت بقراءة كتب أوستن منذ مدّة طويلة».

أنذرته جوسلين: «ربّما ستكون الرجل الوحيد بين مجموعة من النساء، وبعضهن أكبر منك سنًّا. ولا أضمن ألا تصيبك بعض المضايقات من هنا أو هناك».

«لا بأس، لا بأس، في الواقع لا أكون مرتاحًا من دون ذلك».

لم تخبرنا جوسلين أيّ شيء من هذا، والسبب هو أن لا علاقة لنا به، ولأن هدف اللقاء مناقشة أدب أوستن. وكل ما فعلته جوسلين هو أنها التفتت إلى سيلفيا وقالت: «ألا تذكرين عندما ذهبت إلى ستوكتون، والتقيت بعائلة رينيكرز هناك وشعرت بالانزعاج الشديد منهم، ثمّ تراجعت عن موافقتي على تزويج كلبتهم «بيوتي» مع كلبي «ثمبي؟»».

هل السيد رينيكرز هو ذلك الرجل الذي يردّد عبارة 'أحسنتِ'، ويقولها للجميع؟ سألت سيلفيا.

كان غريغ قد وضع مقاعد غرفة الطعام على الشرفة الخلفية لكي نجلس عليها في تلك الأمسية اللطيفة. وكان هناك كرسيّ مستدير صنع من قصب الخيزران وفوقه مسند وثير. وطلبت جوسلين من برناديت الجلوس عليه، فجلسنا كلنا حول برناديت وكأنها الملكة وكأننا الحاشية.

كنّا نسمع أصداء ضجيج السيارات من شارع الجامعة غير البعيد. ثمّ جاء هرّ أسود يذكّر بشكل أبي الهول من حيث صغر رأسه وضخامة جسمه، وراح يتمشّى ويلتفّ حول أقدامنا إلى أن قفز واستقرّ في حضن جوسلين. كل القطط تتصرّف هكذا مع جوسلين، مع أن هذه الأخيرة تعاني من مشكلة الحساسية منها.

إنه ماكس، قال لنا غريغ. ثمّ حمله ووضعه في الداخل. ولكن ماكس بقي مصرًّا على رؤيتنا، فراح يتمشى على حافّة الشباك بين أحواض البنفسج ويرمقنا بعينيه الذهبيتين ونظراته غير المطمئنة. من المعروف أن من بين القطط المشرّدة التي يصار إلى إيوائها وإعطائها لمن يرغب،

فإن الذكر الأسود منها لا يجد بسهولة من يرغب في اقتنائه. أما جوسلين فتشعر بالارتياح نحو كل من يربّي قطًا أسود. هل كانت جوسلين تعرف مسبقًا بوجود هذا القطّ لدى غريغ؟ هل يكمن هنا سرّ دعوته للمشاركة معنا في المنتدى. لا شكّ بأنّ غريغ شابّ لطيف، ولم نعد نشعر بما يبرّر رفض وجوده بيننا، سوى بعض الأمور التي بقيت معلّقة.

أخبرنا غريغ أنّه فقد وظيفته كخبير تقني في حقل المعلوماتية في مدينة سان جوزيه بعد الأزمة المالية التي أصابت شركات المعلوماتية، وحصل بالتالي على تعويض مالي، فاختار الانتقال إلى هذه المنطقة حيث الإيجارات أقلّ كلفة. وهو يعمل حاليًا في الجامعة بوظيفة مؤقتة مع مكتب السكرتاريا في قسم اللّسانيات.

أعجب كلّ من عمل معه في الجامعة بمهاراته، وقيل له مؤخّرًا إنّه يستطيع الاحتفاظ بهذه الوظيفة ما أراد. يقضي يومه في عمليات نبش الملفّات الضائعة في زوايا مجهولة من قاعدة البيانات، وفي ملاحقة الفيروسات والتخلّص منها، وفي تنظيم وعرض المحاضرات وفق نظام *باور بوينت* Power Point، بناء على طلب هذا الأستاذ أو تلك الأستاذة. لا يقوم بالعمل الذي عيّن من أجله، ولكن أحدًا لا يعترض على ذلك، فالكلّ مرتاح من مهمّة حلّ مشكلات المعلوماتية. وكان يبدو لغريغ وكأن إدارة الجامعة تعمل بما يشبه الأسلوب العسكري من حيث حفظ المعلومات بطريقة سرّية جدًّا، فيصبح الاطلاع عليها عسيرًا ويحتاج إلى عددٍ كبيرٍ من المحاولات. وإذا نظرت إلى الوجوه العائدة من مختبر المعلوماتية، - بحسب قول غريغ - ، تخالها عائدة من مقابلة مع «العرّاب»[1]. أما راتب غريغ في الجامعة، فأدنى من الراتب الذي كان يتلقّاه في سان جوزيه؛ ولكن غالبًا ما تقدّم له هدايا من الكعك المصنوع في البيت.

---

(1) The Godfather رئيس المافيا الإيطالية في فيلم «العرّاب».

إضافة إلى ذلك، فإن غريغ يفكّر في كتابة قصّة بوليسية(roman à clef) يحكي عبرها قصّة أشخاص حقيقيين تحت غطاء من الخيال.

كان غريغ قد وضع على الطاولة أمامنا صحنًا كبيرًا من السلطة الخضراء مع الجوز وتوت العلّيق الأحمر المجفّف؛ وكانت هناك تشكيلة من الأجبان والبسكويت الهشّ المنكّه بالتوابل، وأنواع من الخضار النيئة المقطّعة إضافة إلى الأرضي شوكي والصلصات المناسبة. كما وقدّم لنا نبيذًا أبيض لذيذ الطعم من كروم بوني دوم Bonny Doom vineyard. كانت ضيافة غريغ كريمة ولائقة مع أنّه وضع الجبن في صحن طبعت عليه مشاهد ثلجية تؤكّد بأنه يستخدم عادةً لتقديم الكعك في عيد الميلاد؛ ومع أن أكواب النبيذ لم تكن كلّها متناسقة.

«لماذا قلت إنّك تفضّل كتاب (*Northanger Abbey*) دير نورثنغر على بقيّة كتب أوستن؟ طرحت جوسلين السؤال على غريغ بلهجة تتضمّن دعوتنا إلى الانتظام، كما وتحمل في طيّاتها فكرة الانفتاح على الرأي الآخر. ولا يمكن سوى لجوسلين تحميل المعنيين في جملة واحدة.

«أحببت في الرواية أنها تتكلّم عن موضوع قراءة القصص. 'أيّ الشخصيات تكون بطلة القصّة؟ ما هي المغامرة؟' تطرح أوستن هذه الأسئلة بطريقة مباشرة، وتستشرف بقوّة أسلوب *ما بعد - الحداثي* في الأدب».

غالبيتنا لا تعلم الكثير عن الأسلوب المسمّى *ما بعد - الحداثي* في الأدب. سمعنا العبارة في بعض الجمل، إنما يبدو أن معناها يتغيّر مع تغيّر سياق النصّ. ولكن لا داعي للقلق بشأن هذا اللغط فهناك في الجامعة أشخاص متخصّصون يتلقّون رواتبهم لقاء الاهتمام بمثل هذه الأمور؛ وفي المستقبل القريب يصبح معنى هذه العبارة واضحًا للعموم.

«هذا منطقي ومفهوم نظرًا لكون رواية دير *نورثنغر* أولى روايات أوستن».

«ظننت أنّ رواية *العقل والعاطفة* كانت الأولى، ودير *نورثنغر* إحدى رواياتها الأخيرة»، قال غريغ وهو يتأرجح على كرسيّه إلى الخلف. أسلوب خاطئ في الجلوس على الكرسي! ولكن البيت بيته في النهاية والكرسيّ كرسيّه.

نشر كتاب *العقل والعاطفة* أوّلًا، ولكن دير *نورثنغر* كانت أوّل قصّة لأوستن اشتراها الناشر.

كان رأينا بالطبعة الصادرة عن دار النشر غرامرسي Gramercy لمجموعة أوستن (التي اشتراها غريغ) غير إيجابي منذ البداية، فازداد إذ ذاك سلبيةً. هل من المعقول أن دار النشر لم توضّح ذلك؟ أو أن غريغ أهمل قراءة التوطئة؟ لا بدّ أن هناك توطئة.

قالت سيلفيا: «لا يبدو أن أوستن تؤيّد دائمًا مسألة القراءة. فهي تلقي في دير *نورثنغر* على غيرها من الروائيين تهمة تشويه سمعة بعض الروايات الأخرى في نصوصهم، ولكنها تقترف هي نفسها الخطأ عينه».

قالت آليغرا: «كلّا، إنها تدافع عن الروايات ولكنّها تحمل على القرّاء. إنها تسخر من كاثرين عندما تتكلّم هذه الأخيرة بإعجاب ومن دون انقطاع عن رواية *The Mysteries of Udolpho* (غرائب أودولفو)، من منطلق اعتقادها بأن هذا ما يحدث على أرض الواقع. لا أجد هذا الجزء من القصّة جيّدًا، لأني أراه في الحقيقة ضعيفًا».

لا تألو آليغرا جهدًا في التصويب على الأجزاء الأقل جودة في كلّ كتاب؛ غير أننا سئمنا في الحقيقة من أسلوبها هذا.

وتأرجح غريغ بقوّة حتى ارتطم كرسيّه بقوّةٍ بأرض الشرفة. وقال: «ولكنّها لا تهتمّ أيضًا بتلك الشخصيات في الرواية التي لم تقرأ الكتاب، أو ادّعت أنّها لم تقرأه. وفيما تسخر من كاثرين لأنها تأثّرت إلى حدّ بعيد بكتاب *أودولفو*، فإن رواية دير *نورثنغر* كلّها وقعت تحت التأثير عينه. إذ

اتّبعت أوستن هيكلية *أودولفو* ذاتها، ولكنها ذهبت إلى خيارات مناقضة تمامًا لخيارات الكتاب الأصلي، لأنّها توقّعت أن الجميع كان قد قرأه.

سألت آليغرا: «هل قرأتم *غرائب أودولفو*؟ حجب سود وهيكل لورانتينا العظمي؟ ألا يستهويكم الكلام على مثل هذه الأمور؟».

لم نقرأ الكتاب. بل يبدو لنا هذا الكلام قائم على المبالغات الفارغة، ويستجدي وسائل مبتذلة لجذب القرّاء. وباختصار، وجدناه تافهًا. في الواقع، لم تخطر في بال أحد منّا فكرة قراءته. حتى إنّ بعضنا لم يفكّر بأنه كتاب حقيقيّ.

غابت الشمس أخيرًا، وخلا الفضاء سوى من هلال القمر الجديد الذي طالعنا بحياء من وراء ستائر شفافة من السحاب. ثمّ هبط طائر أبو زريق الذي يشبه الغراب في اتجاهنا واستقرّ على حافة نافذة المطبخ الخارجية. وما إن لمحه ماكس حتى راح يموء ويرجو إخراجه إلى الشرفة مجدّدًا. وإبّان ذلك الهرج والمرج، دخل غريغ إلى المطبخ ليحضر لنا الحلوى.

كان قد حضّر قالبًا من حلوى الجبن وتوت العلّيق البرّي الأزرق. حمل القالب ووضعه أمام برناديت لتقطّعه. يبدو وبلا أدنى شكّ أن غريغ كان قد اشترى العجينة حاضرة. ولا بأس في ذلك، فكلّنا نفعل ذلك عندما لا نملك الوقت الكافي لتحضيرها في البيت.

وشرعت برناديت تفصح عن رأيها حول ما إذا كانت أوستن معجبة بقرّاء الروايات أو لا، ليتبيّن أخيرًا أنّ ليس لديها رأي واضح حول الموضوع وإنّما تجد أن هناك عددًا كبيرًا من الأجوبة المحتملة والمتناقضة حوله.

صمتنا قليلًا متظاهرين بالتفكير في ما قالته. ليس من الأدب أن ننتقل بسرعة إلى الانشغال بأمرٍ آخر فيما استغرق كلامها حيّزًا غير قليل من

الوقت. وكانت برناديت قد نزعت نظارتها ذات الكتلة الضخمة من الدبابيس والشريط اللاصق، ووضعتها إلى جانب صحنها. وكانت ترمقنا بنظرات شاحبة، وبعينين محاطتين من الأسفل بانتفاخ يعاني منه معظم الذين يستخدمون النظارات الطبّية.

طرحنا باقتضاب إمكان الانتقال للجلوس في الداخل فقد كان الجلوس الطويل على تلك الكراسي غير المجهّزة بمساند غير مريح. ولكننا قرّرنا البقاء في الخارج بعد أن اكتشفنا أنّه كان سيترتّب علينا نقل الكراسي عينها معنا إلى الداخل إذ لم يكن البيت مجهّزًا بمقاعد أخرى. لم يكن الهواء باردًا في الخارج، كما وأن برنامج مكافحة البعوض الذي تنفّذه البلدية بدا مفيدًا وفعّالًا، بدليل أننا لم نكن نشعر بالانزعاج من هذه الناحية، فبقينا حيث كنّا. ولم يعكر صفو الجلسة سوى مرور درّاجة نارية في شارع الجامعة المجاور فملأت الجوّ ضجيجًا مزعجًا إلى أن ابتعدت بعد قليل واختفى ضجيجها.

قالت برناديت: «أنا أجد في كاثرين شخصية محبّبة. أين الخطأ في شخصية ذات قلب طيّبٍ ومخيلة ناشطة؟». ثم تابعت: «كما وأن الشابّ تيلني طريف وذكي. وهو أكثر جاذبية من إدوارد في رواية العقل والعاطفة، ومن إدموند في *مانسفيلد بارك*. ليست كاثرين أحبّ بطلات أوستن إلى قلبي، ولكن تيلني هو البطل المفضّل لدي».

توجّهت برناديت بحديثها بنوع خاصّ إلى آليغرا التي لم تكن قد أدلت برأيها بعد حول الموضوع. ومع أنّ برناديت لم تكن تجهل كليًّا ماذا سيكون رأي آليغرا بشكل عام، رغبت في أن تتحدّاها وتسمع منها الرأي الصريح.

ردت آليغرا: «إنها في غاية السخافة، وساذجة إلى درجة لا تصدّق. أما تيلني فهو لا يطاق أحيانًا».

«أحبّ الاثنين»، قالت سيلفيا.

«وأنا أيضًا»، قالت جوسلين.

كان القمر قد اخترق الغيوم فجأة فانفلش نوره علينا وظهرت عينا آليغرا أشدّ عمقًا واتساعًا، ولمعت صفحة وجهها تحت الضوء الناعم الفضي بتعابير أوضح وأبلغ من تعابير وجه نجمة من الصف الأول في السينما الصامتة. إنها فتاة جميلة حقًّا! وتابعت آليغرا: «هنا صلب الموضوع، تقترح أوستن أن *أودولفو* كتاب خطِر لأنه يدفع الناس إلى التفكير بأن الحياة مجرّد مغامرة، ولأن كاثرين وقعت كليًّا تحت تأثيره. وفي الحقيقة، أجد أنّ القصص الخطرة تختلف جدًّا عن هذه». ثمّ توقفت للحظات وسألت: «هل يمكن القول بأن غريغ يرى أننا مخلوقات من خارج الأرض لمجرّد أنّه يقرأ كتبًا في الخيال العلمي؟».

أصدرت برناديت صوتًا يشبه السعال لتعلن أنها فوجئت بما قيل. وعندما استدرنا لننظر إليها، تحوّلت إلى التظاهر بالابتسام. ومن وراء نظارتها المزوّدة بتلك الكتلة الضخمة من الدبابيس والشريط اللاصق، نظرت برناديت إلى وجوهنا وكانت قد رفعت ساقَيْها وعقَدتهما فوق حضنها بذلك الوضع «اليوغي» الغريب؛ فإذا بحجم شكوكنا يتعاظم فجأةً. لن تتمكّن من خداعنا بعد الآن؛ هل يمكن لبشر حقيقيين أن يكونوا على هذه الدرجة المتفوّقة من الليونة الجسدية!؟.

ولكن لمَ القلق؟ هل يوجد في العالم أرقّ وأعذب من برناديت؟.

و تابعت آليغرا: «على كل حال، فإن أوستن هي من يكتب القصص الأشد خطورةً، قصصًا يصدّقها الناس حقًّا وعلى مرور مئات السنوات! إنها تحدّد مواصفات الفضيلة وكيف يكافأ الفاضلون!؟ وتؤكّد بأن الحبّ هو المنتصر دومًا، وأن الحياة قصة حبّ!».

حملنا كلام آليغرا فورًا إلى التفكير بأن الوقت قد حان لكي تتخطّى

هذه الأخيرة تبعات قصّتها مع كورين. وفكّرنا كم تعذّبت سيلفيا حتى تخطّت تعلّقها بدانيال؛ وأن على آليغرا أن تتعلّم شيئًا من ذلك.

وإذا بدفعة من غائط الطير تهبط فجأة فوق حافة الشرفة.

سألت برناديت: «ماذا سنقرأ في المرّة القادمة؟». واقترحت: «كتاب *كبرياء وهوى Pride and Prejudice* هو المفضّل لديّ».

قالت سيلفيا: «إذًا فلنقرأه».

سألتها جوسلين: «هل أنت متأكّدة يا عزيزتي؟».

«نعم إني متأكدة، خصوصًا وأن في كتاب *إقناع Persuasion* حكاية وفاة إحدى الأمهات، ولا أرغب بأن تتعرّض برودي إلى مثل هذا الآن. غير أن شخصية الأم في *كبرياء وهوى* هي...».

«أرجو ألّا تتكلّمن على محتوى الكتاب أمامي، فإني لم أقرأه بعد».

لم يقرأ غريغ كتاب *كبرياء وهوى* في حياته!

قرأ غريغ كتاب *غرائب أودولفو*، ويعلم الله كم يقرأ من قصص الخيال العلمي؛ ومع أن بيته مليء بالكتب، لم يجد بعد الوقت المناسب ليقرأ *كبرياء وهوى*، أو ربّما لم يجد في نفسه الميل لقراءته! وإزاء كل هذه الأفكار لم نجد حقًّا ما يمكن أن نقوله.

رنّ جرس الهاتف، وتوجّه غريغ للإجابة، ثم سمعناه يقول: «بيانكا!».

لاحظنا رنّة فرح صادق في صوته، ولكن ليس ذلك النوع المعيّن من الفرح؛ وتوقّعنا أن المتصلة ربّما تكون صديقة لا أكثر. «أيمكنني الاتصال بك لاحقًا؟ صديقاتي في منتدى جين أوستن عندي».

ولكننا رجونا منه الاستمرار في المحادثة؛ كان نقاشنا قد انتهى، ويمكننا الانصراف من غير مواكبته. حملنا الصحون والأكواب الفارغة إلى المطبخ، وودّعنا الهرّ، ومشينا بصمت على رؤوس أقدامنا نحو

الباب. كان غريغ يتكلّم بشأن والدته ويبدو أن عيد ميلادها كان قريبًا، فتوقّعنا حينئذٍ أنّ المتّصلة، أو بيانكا، كانت شقيقته.

بعد انصرافنا تحدّث غريغ إلى بيانكا عنّا: «يستلطفنني على ما أعتقد، ولا يتورّعن عن إغاظتي أحيانًا. اكتشفن الليلة أني أقرأ كتبًا في الخيال العلمي، ولم يتقبّلن الأمر بسلاسة».

قالت بيانكا: «أستطيع أن أكون بقربك، قارئات جين أوستن لا تخفنني. لن يتجرّأ أحد على إزعاج أخي الصغير».

«سواك أنتِ، وأماليا، وكات».

«هل كنّا حقًّا على مثل هذا القدر من الفظاظة؟»، سألت بيانكا.

قال غريغ: «كلا، لم تكنّ كذلك».

***

فيما كان غريغ يغسل الصحون والأكواب في ذلك المساء، تذكّر أمرًا مهمًّا حدث معه قبيل انتقاله إلى المدرسة الثانوية الأولى. كان يلعب مرّة لعبة العميل السرّي فأنصت مصادفةً إلى حديث كان يدور بين أبويه بشأنه. كان يقف خلف الستارة في غرفة الطعام ووالداه في المطبخ، عندما فتح أبوه علبة بيرة وقال: «إنه بنت أكثر من البنات».

أجابت أمّ غريغ: «لا بأس عليه؛ ما زال ولدًا».

«إنه على وشك الدخول إلى الثانوية الأولى. هل تعلمين ما مصير الصبي 'المتبنّت' هناك؟».

انتفخت الستارة وانخفضت مرّات عديدة بفعل أنفاس غريغ التي تسارعت نتيجة الرّعب الذي سقط عليه فجأةً ممّا قد يحدث له في الثانوية الأولى.

أجابت الأم: «إذًا علّمه كيف يكون رجلًا! يعلم الله أنّك الوحيد هنا الذي يستطيع ذلك».

وفي صباح اليوم التالي وحول طاولة الفطور، تلقّى غريغ الخبر بأنّه سيذهب بصحبة والده في رحلة تستغرق عدّة أيام، وسيناموين في خيمة؛ والرحلة محظورة على النساء. سيتسلّقان الجبال ويتصيّدان في النهر، ويسهران حول النار، ويتبادلان القصص، وسيكتشف غريغ في السماء عددًا من النجوم التي لم يرها في حياته.

شعر غريغ طبعًا بالحماسة، وسرعان ما حضرت إلى مخيّلته الصور التي يعرفها عن الحياة في المخيّم مثل السندويشات الصغيرة، والبسكويت المالح المقرمش، وألواح الشوكولاتة، وقطع حلوى المارشميلو اللذيذة المشوية على الأسياخ والتي تحتاج لنزعها إلى سكين صيد حادّة وخطرة. عبّرت بيانكا وكاتي عن فرحهما لعدم اضطرارهما إلى الذهاب، مع العلم أنّهما تحبّان خوض المغامرات في الطبيعة الخشنة حتى إنهما كانتا تتسلّيان في بعض الأحيان بإدخال شرائط معقوفة إلى بطن الدّود لكي يخرج كل ما في داخلها، وحتى إن بيانكا أصابت مرّة علبة كوكاكولا فارغة كانت مرمية فوق السور ببارودة خردق؛ ومع العلم أيضًا أنّه يمكن لغريغ إذا ابتعد عن أخواته أن يصاب بالكوابيس كالأطفال، وأن يصرّ على العودة إلى البيت. وكانت إميليا قد شرعت في دراسةٍ تدريبيّة لكي تصبح خبيرة في التصوير الشعاعي، عدا عن كونها تخطّت تلك المرحلة العمرية التي كان يمكن أن تهتمّ فيها بشأن من يذهب إلى المخيّم ومن لا يذهب.

إنها السبعينات، وكان والد غريغ قد استعار مرّة كتابًا لامعًا من المكتبة العامّة للكاتب هاينلاين Heinlein[1] وعنوانه: *غريب في أرض غريبة* *Stranger in a Strange Land*. وبعد أن أخذه من المكتبة، قرّر عدم

---

(1) كاتب من روّاد أدب العلم الخيالي الأميركيين، ترك بصمات واضحة على الثقافة الأميركية. (المترجمة).

إعادته وقال للمسؤول إنّه أضاعه. كان يقرأ الكتاب بنهم، ولا يقرأ غيره خلال شهرين، حتى إنّه لو توقّف عن القراءة، وضعه في مكان خفي. ولم ينجح غريغ، على الرغم من محاولاته العديدة، ومن رغبته الحارّة في إلقاء ولو نظرة سريعة على مضمونه، في اكتشافه. أما المكتبة فلا تسمح له، نظرًا لسنّه، باستعارة مثل هذا الكتاب حتى ولو كانت لديها نسخة منه. ولم يكن لديها نسخة ثانية في ذلك الوقت.

حمّل الرجلان في عائلة هاريس صندوق السيّارة بما استطاعا من المأكولات المعلّبة وعدّة المخيّم وانطلقا على الطريق السريع رقم 99 في اتجاه منطقة يوسمايت Yosmite. ولكنهما توقّفا بعد ثلاث ساعات أمام محطّة وقود واستقبلا فتاتين لتركبا معهما السيارة. «إلى أين تريدان الذهاب؟»، سأل والد غريغ، وجاء الجواب بأنهما ذاهبتان إلى منطقة بل إير Bel Air. وكان اتجاه بل إير معاكسًا جدًّا لطريق المخيّم، بل تناقض سيرهما حتى تكاد تكون باتجاه الطريق التي تعود بهما إلى البيت. فوجئ غريغ عندما سمع والده يوافق على اصطحاب الفتاتين، ثمّ ماذا بالنسبة إلى «شرط عدم قبول البنات في الرحلة»؟

ازدادت ثرثرة والده فجأة وراح يستخدم عبارات غريبة لم يسمعها غريغ من قبل، حتى التفتت إحدى الفتاتين إلى غريغ قائلةً: «والدك مسلٍ جدًّا!!»، وكانت تعقد منديلًا حول رأسها، ويبرز تأثير الشمس الحارقة على وجهها وخصوصًا على أرنبة أنفها. أما الأخرى وكانت ذات بشرة سوداء فاتحة يتخلّلها بعض النمش فقد عقصت شعرها فوق قمّة رأسها وبات في الإمكان ملاحظة شكل جمجمتها بدقّة عالية، وكذلك شكل نهديها من تحت قميصها القطني الرقيق. قالت الفتاتان إنهما تقصدان الذهاب لمشاهدة عرض بهيج جدًّا سوف ينال بلا شكّ إعجاب غريغ ووالده.

فقال لهما غريغ: «نحن ذاهبان لكي نخيّم في يوسمايت».

تكدّرت ملامح والده وقال بصوتٍ منخفض لا يسمعه سوى غريغ: «ليس مقبولًا أن نترك فتاتين جميلتين تنتظران على الطريق. ربّما كانتا ستصعدان مع شخص منحرف يمرّ بسيارته بعدنا. هل كنت ستتحمّل أن تقرأ خبرًا سيئًا عنهما في الجريدة غدًا؟ تصوّر أنهما بيانكا وكات؛ هل كنت ستتمنى ألا يهتم بسلامتهما أحد؟ الرجال الحقيقيّون يهتمون بسلامة النساء. إضافةً إلى أنّنا لو تأخّرنا عن الوصول إلى يوسمايت يومًا واحدًا، فأين المشكلة؟».

لم ينتهِ الوالد من كلامه حتى شعر غريغ بأنه سخيف وأناني. وفي محطّة الوقوف الثانية اشترى الوالد طعامًا للجميع. وبعد ذلك، وجد غريغ نفسه في المقعد الخلفي وإلى جانبه الفتاة ذات المنديل حول رأسها واسمها هيلاري. أمام الفتاة ذات النهدين فجلست في المقعد الأمامي واسمها روكسان.

«إنها القوى الكونية التي نظّمت لقاءنا هذا الصباح»، قالت هيلاري، وكانت نوافذ السيارة مفتوحة، فتحتّم عليها الكلام بصوت مرتفع جدًّا.

راقب غريغ المشاهد التي كانت تتوالى بسرعة على جانبَي الطريق، ورأى أشجار اللوز المزروعة على طول خطوط مستقيمة كانت تتحوّل إلى منحنية فجأة في لحظة مرورهم من أمامها؛ ولاحظ أكواخًا عدة تعرض صناديق من الليمون والأفوكادو. وبسبب انقطاع المطر الطويل عن المنطقة، ارتفعت سحابات صغيرة من الغبار فوق الحقول. تقول إحدى اليافطات، «إنه آتٍ، فهل أنتم جاهزون؟».

تخيّل غريغ أنّه يركض في موازاة السيارة، ويقفز فوق قنوات صرف المياه، ويتخطى السيارات؛ سرعته توازي سرعة السيارة ولكنه لا يتعب مثلها. وكان يتأرجح في الفضاء متنقّلًا بذراعيه القويّتين بين خطوط الهاتف.

قالت هيلاري: «إن كنتم مطّلعين على بعض ما ورد في النصوص القديمة، نصوص نوسترادامس وأمثاله، تعلمون أن تغييرًا رئيسيًا اقترب موعده بفعل طاقة كارما، وسوف يكون ضخمًا ورائعًا».

وافق والد غريغ على أنّه يتوقّع ذلك.

ثمّ مدّت روكسان يدها إلى راديو السيارة وغيّرت المحطّة.

توقّفت السيارة مرارًا عند محطّات الوقود لكي تستخدم الفتاتان المرحاض. وخطر في بال غريغ أن أخواته نادرًا ما طلبن توقيف السيارة من أجل استخدام المرحاض.

وصلوا إلى مدينة غريبفاين Grapevine بعد المغيب وكان الخطّ السريع يشهد ازدحامًا؛ نهر من الأضواء الحمر يتحرّك ببطء في هذا الاتجاه، مقابل نهرٍ من الأضواء البيض في الاتجاه الآخر. وتذكّر غريغ أن أخته كات اخترعت ذات مرّة لعبة استوحتها من أضواء السيارات وأطلقت عليها اسم «الأشباح والشياطين». ولكن لا يمكن تطبيق تلك اللعبة مع وجود مثل هذا العدد الكبير من السيارات. وفي جميع الأحوال، إن كات وحدها قد تجعل اللعبة مسلية، فمن دونها فستكون حتمًا مضجرة.

كانت الساعة قد جاوزت التاسعة عندما دخلوا عبر البوابات الخاصّة بمنطقة بل اير Bel Air. وأرشدت هيلاري والد غريغ إلى الطريق المؤدّية إلى مدخل بيت كبير جدًّا محاط بسور عالٍ من الحديد الأسود المشغول على شكل الدوالي وعناقيد العنب؛ وحيث تتسلّق أيضًا كرمة وعناقيد حقيقية. قال والد غريغ إنه يحتاج إلى الراحة في الداخل بعد القيادة الطويلة، فدخلوا.

كان البيت شاسعًا، والرّواق الأمامي الذي رصفت أرضه وجدرانه بالرخام والمرايا يؤدّي إلى غرفة طعام فخمة ومزوّدة بطاولة ذات سطح بلّوري ومقاعد لعشرة أشخاص. وما لبث هيلاري أن لفتت أنظار

المجموعة إلى وجود جرس كهربائي مثبت في الأرض تحت الطاولة يتيح لسيدة المنزل استدعاء الخدم من المطبخ من غير أن تحتاج إلى مغادرة مقعدها. ولكن غريغ لم يجد مبرّرًا لكل ذلك، فالمطبخ لا يبعد سوى مسافة بضع خطوات عن غرفة الطعام. وقالت هيلاري إن أصحاب البيت أصدقاؤها وهم خارج البلاد حاليًّا. وراء غرفة الطعام والمطبخ هناك حديقة زجاج داخلية (دفيئة) زرعت فيها شجرة نخيل، وأنواع عدة من الأوركيديا في ثلاثة أحواض متدرّجة. ومن خلال زجاج الحديقة، لاحظ غريغ وجود حوض سباحة كبير تتلألأ صفحته الزرقاء وسط بحرٍ من الأضواء وكان يعجّ بالسابحين. وعندما حاول غريغ لاحقًا أن يتذكّر متوسّط أعمار هؤلاء الناس، توقّع أنّهم كانوا في سنّ إميليا، أو ربّما بيانكا؛ وإنّما في غير سنّ والده بالتأكيد.

وفي المطبخ، فتحت هيلاري الثلاجة وأخرجت علبة بيرة وقدّمتها إلى والد غريغ؛ وكان هناك ثلاثة أولاد يجلسون حول المنضدة. انتبه غريغ إلى وجود رائحة ماريجوانا في الهواء، وقد بات باستطاعته التعرّف إليها منذ أن شاهد فيلم «2001: *أوديسة الفضاء*» *2001: A Space Odyssey* ستّ مرّات؛ مرّتان منها في حرم إحدى الجامعات.

وراح والد غريغ يتحدّث إلى شابّ طويل الشعر، يذكّرك وجهه بوجه المسيح كما يعرضونه في الصور والأفلام. سأل والد غريغ الشابّ إذا كان قد قرأ شيئًا للكاتب هاينلاين Heinlein وكان الجواب بالنفي، وسأل الشابّ والد غريغ إذا كان قد قرأ للكاتب هيرمان هيسه Hermann Hesse، وكان الجواب بالنفي أيضًا. ولكن أكّد كلّ منهما للآخر أن الأمور والعالم إلى تغيّر كبير. «زمن مؤاتٍ لكل من هو في عمر الشباب!»، قال والد غريغ. فقال غريغ في سرّه: «ولكنّه ليس شابًّا، وليته يعلم ذلك».

شعر غريغ بالإحراج نتيجة شيء قاله والده الذي ما لبث أن استأذن محدّثه من أجل الذهاب إلى الحمّام، (وكأن كلّ تلك المرّات التي توقّف

فيها على الطريق لم تكن كافية)، ولكنّه انصرف إلى اكتشاف البيت. قال إن حرارته ربّما ارتفعت قليلًا، وراح يتحرّك كالمسحور، أو كأنه تمثال من زجاجٍ يخاف على نفسه من الكسر. وأخذ يتنقّل من غرفة إلى غرفة مستكشفًا غرف النوم والجلوس والمكتبة وكأنه في حلم. كانت جدران بعض الغرف مغطاة كليًّا بالمرايا، وكان هناك غرفة بليارد، وبار يعجّ بأنواع المشروبات. وغرفة فتيات زهرية اللون وفيها سرير ذو غطاء يتدلّى كالخيمة فوقه لمنع دخول الناموس إلى النائم، وهاتف مزخرف. «كم كانت ستفرح كات بهاتف مثل هذا!»، فكّر غريغ. ثم استخدم الهاتف في مخابرة يدفع كلفتها المتلقّي.

أجابت إميليا وسألت للتوّ: «ما أخبار المخيّم؟ لم أكن أعلم أنه يمكن الاتصال هاتفيًّا من تلك المنطقة البعيدة».

قال غريغ: «لسنا في المخيّم، بل نحن في بل إير».

ردّت إميليا: «التخابر بهذه الطريقة عالي الكلفة. أعطني رقمك وسأتصل بك حالًا».

أعطاها غريغ الرقم المطبوع على قرصٍ التلفون، وتمدّد على السرير تحت الخيمة متخيّلًا أنّه في الغابة. شباكٌ واقية من البعوض، دقّ طبول قبلية، إلخ. ثمّ رنّ الهاتف.

قالت أمّه: «أهلا غريغ، كيف حال المخيّم؟».

فقال غريغ: «نحن في بيت في منطقة بيل إير، لم نذهب إلى المخيّم بعد، ولن نذهب حتى الغد».

«حسنًا، هل أنت مسرور، هل أنت مستمتع بوجودك مع والدك؟».

«أظنّ ذلك».

«سأذهب الآن مع أخواتك إلى السينما لنشاهد فيلمًا يستهوي الفتيات ولا يعجبك بالتأكيد. أشكرك غريغ على الاتصال!».

قالت الأم وأقفلت الخطّ.

ذهب غريغ للتوّ في اتجاه خزانة الثياب. إنها خزانة فتاة، ترفض أخواته في البيت رفضًا قاطعًا أن يفتح خزائن ملابسهنّ حيث توجد دفاتر وأوراق وعلب أحذية وُضعت فيها أشياء سرّية تافهة. عندما فتح مرّةً علبة تخصّ كات، ثارت عليه غاضبةً واستمرّت في الصراخ لمدّة نصف ساعة، مع أن كل ما وجده في تلك العلبة كان صحن بلاستيك صغيرًا مغلّفًا بقطعة من القماش المخملي، وفيه بضع حبّات غامضة من الكستناء البرّية.

علب الأحذية في خزانة هذه الفتاة لا تحوي سوى أحذية. وهي تضع الأحذية أيضًا على رفوف عمودية. إنها وبمفردها تمتلك في الواقع عددًا كبيرًا من الأحذية يفوق ما تمتلكه أخواته الثلاثة معًا.

لاحظ غريغ مكانًا آخر في الغرفة قد يكون مخبأً للأسرار. فتوجّه إلى درج الملابس وتحسّس تحت الملابس المطوية، ولم يجد شيئًا. وكانت هناك أيضًا منضدة التجميل ولها درْجٌ مقفل، حاول فتحه، ولكنّه بحاجة إلى أظافر طويلة، أو إلى بطاقة إئتمان، أو إلى مفتاح. ثمّ تنبّه إلى وجود عددٍ من المفاتيح المعلّقة بسلسلة فوق عمود السرير، ولكنْ، أيّ منها لم يكن صالحًا لفتح ذلك الدرْج.

وإذا بشابّ وفتاة يدخلان إلى الغرفة ويخلعان نصف ثيابهما قبل أن يتنبّها إلى وجود غريغ. وكان عضو الصبيّ الذكوري يلمع من خلال فتحة سرواله القصير مثل حبّة خوخ ناضجة. وضع غريغ المفاتيح على المنضدة فصرخت الفتاة عندما لمحته، ثم ضحكت. وتدخل الشاب قائلًا: «عن إذنك، لن نتأخر أكثر من دقيقة». فضحكت الفتاة مجدّدًا وضربته على ذراعه.

توجّه غريغ ثانيةً إلى المطبخ، ووجد أباه قد عاد ليتكلّم إلى الشابّ

عينه «المسيح». وقف غريغ في الباب وبقي في ذلك المكان من المطبخ حيث لا يعلو صوت أبيه على صوت الضجّة القادمة من بركة السباحة.

قال الأب: «تذهب إلى الأمكنة ذاتها، وترى الناس ذاتهم، وتتحدّث بالطريقة ذاتها، وهذا يسلب نصف عقلك ونصف حياتك».

قال الشابّ: «ماذا تقول؟ نصف حياتك، ما هذا؟».

أجاب والد غريغ:»إنّك في داخل قفص لا تعلم كيف ومتى أُقفل بابه».

ازداد الشابّ اهتياجًا، وقال مشيرًا بيديه: «أنظر حولك، لا وجود لقفص، ولا لقضبان. إنّك حرّ، لا أحد يملي عليك ما تفعله، ولا أحد يجبرك على ربط ساعة المنبّه لتستيقظ في الصباح، بل أنت نفسك».

خرج غريغ إلى بركة السباحة وإذا بأحدٍ يضربه بمنشفة. نظر حوله فرأى هيلاري وكانت عارية إلا من الحلقة المطاطية الصغيرة التي عقصت بها شعرها. ضحكت عندما رأته ينظر إليها. قالت له: «لست ولدًا صغيرًا، وارتداء الملابس ليس مسموحًا هنا. إن أردت النظر إلى أجساد الآخرين، فعليك أن تسمح للآخرين بالنظر إلى جسدك. هذه هي القوانين، وإلّا وانحنت إلى الأمام قليلًا فتأرجح ثدياها في اتجاهه فسنعتقد بأنك ولد شاذّ».

عاد غريغ فورًا إلى الداخل، وأكثر ما استطاع أن يتعرّف إليه من مزيج تلك المشاعر الغريبة والحارقة التي اجتاحته كان الشعور بالإهانة الذي يعرفه جيّدًا وطالما تعوّد عليه. وجد في غرفة المكتب هاتفًا آخر فاتصل برقم البيت من غير أن يتوقّع أن أحدًا سيجيب ظنّ أن الجميع خرج إلى السينما ولكنّ إميليا أجابت وقالت لموظّف الهاتف إنها ستعاود الاتصال بنفسها. وما هي إلّا ثوانٍ حتى تكلّمت والدة غريغ من جديد.

قالت بصوت لا يخفي غضبها: «نحن في طريقنا إلى الخارج، ما المشكلة؟».

«أريد الذهاب إلى البيت».

«تريد دومًا العودة إلى البيت باكرًا. منذ أن كنت في الثالثة، وفي كل رحلة تستغرق أكثر من يوم واحد مع مخيّم الأشبال الكشفي، كنت تصرّ على العودة إلى البيت باكرًا. وكلّ مرّة أقنعتك فيها بالبقاء، كنت تستمتع بالوقت كثيرًا. عليك أن تقوى وتصبح أشدّ خشونة». ثمّ أجابت على نداء إحدى أخواته قائلةً بصوت مرتفع: «ها أنا قادمة!». وعادت لتتكلّم مجدّدًا إلى غريغ: «كن عادلًا مع أبيك، إنّه يتشوّق لقضاء هكذا أوقات معك».

وضع غريغ السمّاعة في مكانها وعاد إلى المطبخ. سمع أباه يقول: «إني غير سعيد»، ويمرّ بيده على عينيه كأنه يبكي.

كان يفضّل لو بقي عند بركة السباحة، وينزع كلّ ملابسه ويترك للناس فرصة الهزء منه، على أن يسمع والده يتكلّم بهذه الطريقة. حاول أن يتصوّر السبل التي قد تولّد لدى أبيه شعورًا بالسعادة. وحاول أن يتصوّر كيف كان هو نفسه سببًا لعدم سعادة والده.

قرّر الذهاب. وإن لم يقتنع أبوه بإعادته إلى البيت فسوف يذهب بمفرده. سيذهب مشيًا على الأقدام ولو استغرقت رحلته أيّامًا عدّة. سيقتات من شجر البرتقال المنتشر على الطريق، وربّما سيلقى كلبًا يرافقه ويسلّيه، ولا أحد في البيت سيجبره على التخلّي عن ذلك الكلب الذي رافقه تلك المسافة الطويلة. ربّما يستوقف سيارة على الطريق؛ وقد يركب سيارة أشخاص غير أسوياء، عندئذٍ تكون نهاية كلّ شيء. ثمّ سمع صوت تكسّر زجاج وضحكات قادمة من بركة السباحة، وأصوات أبواب تغلق بعنف، وصوت جرس هاتف من غرفة بعيدة. «إني تعيس!»، قال في نفسه، وذهب مجدّدًا إلى الغرفة ذات السرير المغطّى بخيمة، ونام.

استيقظ على صوت ظنّ أنه صوت المطر؛ ولم يعرف أين هو في الوهلة الأولى. ثمّ تذكّر أنه في لوس أنجلوس ولا مطر هناك إنه صوت

مرشّة الريّ في الحديقة انتفخت الستارة البيضاء المنسدلة فوق النافذة المفتوحة ثم هبطت. ولاحظ غريغ أنّ لعابه كان قد سال على غطاء السرير، فحاول تجفيفه بكفّه.

ثمّ توجّه إلى المطبخ ليسأل والده متى سينطلقان إلى المخيّم، فوجد المطبخ خاليًا. ثمّ لاحظ أن الباب المؤدي إلى بركة السباحة كان مفتوحًا فذهب ليغلقه وحرص على عدم النظر إلى الخارج، ولكنّ مزيجًا من روائح الكلور والبيرة وربّما التقيؤ تسارع إلى أنفه.

جلس غريغ على مقعد والده أمام منضدة المطبخ وأدار ظهره للباب؛ ثمّ أغلق أذنيه بيديه بقوّة وراح يصغي إلى دقّات قلبه، وضغط على جفنيه وبات يرى وميض ألوان كأنها ألعاب ناريّة. ثمّ سمع جرس الباب يرنّ مرّة واثنتين وثلاثًا، وكأن أحدًا كان يضغط عليه من دون انقطاع. وعندما توقّف الجرس، انتبه غريغ إلى حدوث فوضى وضجيج في الرّواق الأمامي. وما هي إلّا ثوانٍ حتى أحسّ بضربات خفيفة على كتفه. وهنا كانت إميليا تقف وراءه، وبيانكا وراءها، وخلف بيانكا وقفت كات.

وكان على وجه كلّ منهن تعبيرٌ يعرفه غريغ تمامًا؛ إنها الملامح التي تقول إن أحدًا حاول التلاعب معهنّ، وسوف لن يجرؤ على ارتكاب هذا الخطأ ثانيةً في حياته.

«جئنا لنأخذك إلى البيت»، قالت أميليا.

انفجر غريغ بالبكاء وراح يشهق بعبرات مخنوقة. فوضعت إميليا ذراعها حوله وقالت: «لا بأس سوف أدعو والدي. أين هو؟».

أشار غريغ بإصبعه في اتجاه بركة السباحة.

خرجت إميليا، وانتقلت بيانكا لتأخذ مكانها إلى جانب غريغ.

قال غريغ: «تقول أمّي إن عليّ البقاء». ولكنه لم يكن خائفًا من الإفصاح عن رأي أمه، فقد كان واضحًا أن أخواته لم يتوقّفن عنده.

هزّت بيانكا رأسها، وقالت: «اتّصلت إميليا ثانية إلى هنا وسألت عن غريغ. لم يعرف أحد من هو غريغ؛ وحتى إنّهم لم يحاولوا، وقالوا إن الاسم يبدو مضحكًا. أخذت إميليا عنوان البيت منهم، وقالت لأمي إننا سنأتي إلى هنا؛ سيّان إن رضيت بالأمر أم لم ترضَ. وقالت إميليا أيضًا إنها شعرت بشيء غريب في صوتك يدعو إلى القلق».

عادت إميليا إلى الداخل بوجه متجهّم. وقالت: «والدي ليس جاهزًا للانصراف بعد». ووضعت ذراعها حول غريغ فوقعت خصلات من شعرها فوق كتفه. كانت أخواته تستخدمن نوعًا من شامبو الشعر يدعى *المطر الأبيض White Rain* لأنه رخيص الثمن. وجد غريغ اسم ذلك الشامبو رومنطيقيًا، وكان عندما يفتح زجاجة الشامبو في الحمّام ويشمّ غطاءها، يشعر وكأنه يشمّ رائحة شعر إميليا وبيانكا وكات معًا. وفي بعض الأوقات، كان يتسلّى بتأليف قصص مرسومة بطلتها امرأة خارقة تدعى «المطر الأبيض». كانت المرأة الخارقة قادرة على التحكّم بأنظمة الطقس. ومع أن غريغ ابتكر هذه الأفكار والرسوم بنفسه، قيل له لاحقًا إن أحدًا كان قد سبقه إليها.

وفيما ملا زال جالسًا في مطبخ ذلك البيت الفخم في بيل اير محاطًا بأخواته، تأكّد لغريغ أنّه لو احتاج إليهنّ في أي موقف صعب في حياته فسوف لا يتأخّرن عن نجدته. لم يعد يتصوّر أن شيئًا البتّة سيخيفه في المدرسة الثانوية الأولى. بل حتى إنه أحسّ بالشفقة نحو هؤلاء الصبيان والبنات الذين قد يخطر يومًا في بالهم إغاظته بعد أن ينتقل إلى هناك.

قالت إميليا: «هيا، لنذهب إذًا».

قالت لها كات: «نبرة صوتك غريبة!». ولكنّها أردفت بقصد المداعبة السمجة: «وكأن صوتك لا يبدو غريبًا في معظم الأحيان».

***

وأشدّ ما كان محزنًا هو أنه عندما قرأ غريغ أخيرًا كتاب هاينلاين «*غريب في أرض غريبة*»، وجده سخيفًا. كان قد تخطّى منتصف العشرينات في ذلك الوقت، وانتظر طويلًا قبل قراءته بسبب وعد كان قد قطعه لأمه بألا يقرأ ذلك الكتاب البتّة. ولكنه انتظر طويلًا وبقدر ما استطاع. يحتلّ الجنس بالطبع مساحة واسعة في الكتاب، ولكنّه ذلك النوع من الجنس الخبيث، وقد آلمه أن يتذكّر بأن الكتاب أعجب والده. ثمّ قرأ كتاب «*رأس الينبوع Fountainhead*» الذي كان قد وعد إميليا بعدم قراءته مطلقًا، ليتبيّن له أن ذلك الكتاب كان سخيفًا أيضًا.

كانت تلك هي القصّة الثالثة. لم يقصّها غريغ علينا لأنّه لم يتذكّرها سوى بعد مغادرتنا. وفي جميع الأحوال، ما من أحدٍ بيننا قرأ كتاب «*غريب في أرض غريبة*،» ولسنا لنتراجع عن ازدرائنا لأدب الخيال العلمي، ولنستمع إلى تحليل نقدي لكتاب هاينلاين وسط أجواء اجتماعنا الهادئ والممتع. وحتى إنّ غريغ نفسه لم يكن مستعدًّا بالطبع ليتكلّم عن الجنس الذي في ذلك الكتاب إلينا.

كنّا سنحبّ القصّة، وخصوصًا الجزء الذي يصف عملية الإنقاذ في النهاية؛ وسنحزن لحالة والد غريغ، وإنّما سنحبّ فتيات «المطر الأبيض». ولكن، ومن خلال ما سمعناه في هذه القصّة، فإنه لا بدّ لكل من تعرّف إلى غريغ في طفولته من أن يشكّ في أنه وُلد لكي يتقمّص في يوم من الأيام شخصية «البطلة» في إحدى القصص.

من كتاب «*غرائب أودولفو*»

بقلم آن رادكليف

«اقتربي بالقنديل أكثر»، قالت إميلي، لكي نرى طريقنا عبر هذه الغرف.

وقفت آنيت بقرب الباب متردّدة، ومدّت ذراعها مع القنديل إلى الأمام

عسى أن يضيء داخل الغرفة، ولكن نوره الخفيف لم يصل سوى إلى منتصفها. لِمَ تتردّدين يا آنيت؟ دعيني أرى إلى أين تأخذنا هذه الغرفة.

تقدّمت آنيت بخفر. الغرفة تنفتح على مجموعة من الأروقة الفسيحة والقديمة. بعض جدرانها مغطّى بالسجاد، وبعضه الآخر مكسو بألواح من خشب الأرز. وكلّ ما كان هناك من أثاث يبدو وكأنه قديم ومن عمر الأروقة. ولكنّه، وعلى الرغم من الغبار الذي يكسوه، ومن الرطوبة والسنين التي جعلت من بعض أجزائه تهترئ وتقع، ما زال يحتفظ بمظاهر الفخامة والعزّ.

قالت آنيت: «كم هي باردة هذه الغرف آنستي، لم يسكنها أحدٌ منذ سنين طويلة جدًّا، بحسب ما يُقال. هيّا نذهب من هنا».

«ربّما تنفتح هذه الأروقة على الدرج الكبير»، قالت إميلي فيما مشت حتى وصلت إلى غرفة مليئة باللّوحات. فأخذت القنديل بيدها وتفحّصت صورة جندي على ظهر حصانه في أرض المعركة. كان يصوّب رمحه نحو رجلٍ مطروح تحت أقدام الحصان رافعًا يده راجيًا الرحمة. أما الجندي الذي كان قد رفع حافّة خوذته وكشف عن وجهه، فكان يراقب الرجل بنظرات تنمّ عن رغبة عارمة بالثأر. ذهلت إميلي عندما لاحظت كم تشبه ملامح الجندي وتعابيره، وجه مونتوني. ارتعدت وأشاحت بنظرها عن اللوحة. ثمّ مرّت بضوء القنديل بسرعة على عدد من اللوحات الأخرى، حتى وصلت إلى لوحة مغطاة بوشاح من الحرير الأسود. ذهلت لغرابة ما يحدث ووقفت أمام اللوحة، وأرادت أن تنزع الوشاح لتكتشف الأمر الذي استحقّ هذا النوع المتقَن من الاخفاء. ولكنها احتاجت إلى الشجاعة.

«يا سيّدتي العذراء، ما يمكن لهذا أن يكون؟»، صرخت آنيت؛ «إنّها بالتأكيد اللوحة التي قيل لي عنها في البندقية».

قالت إميلي. «أيّ لوحة؟ ولماذا هي لوحة؟».

أجابت آنّيت بتردّد: «أنا أيضًا لا أفهم قطّ ماذا تكون».

«انزعي هذا الغطاء يا آنّيت!».

«ماذا؟ آنستي! لن أفعل ذلك أبدًا!». لاحظت إميلي أن وجه آنّيت بات شاحبًا. «أرجو أن تقولي ما الذي سمعته عن هذه اللوحة، ويجعلك ترتعبين إلى هذا الحدّ؟».

«لم أسمع شيئًا يا آنستي، ولكن فلنخرج من هنا».

«بالطبع، ولكني أرغب أوّلًا أن أرى اللوحة؛ امسكي القنديل، فيما أرفع أنا الوشاح»»

أخذت آنّيت القنديل وأسرعت به إلى الخارج، غير مكترثة لرجاء إميلي بأن تبقى. لم تستطع إميلي البقاء بمفردها في تلك الغرفة المظلمة، فتبعتها مرغمة. وتوجّهت إلى آنيت بحزم: «ما سبب هذا السلوك؟ وما الذي سمعته بشأن هذه اللوحة حتى رفضتِ البقاء، ولم تتقيّدي بأوامري؟».

أجابت آنّيت: «لا أعلم السبب، يا آنستي، ولا أعلم شيئًا عن اللوحة؛ سوى أن هناك أمرًا مخيفًا جدًّا يتعلّق بها... ولهذا فإنّها مغطّاة بالأسود منذ زمن طويل... *وإن أحدًا لم ينظر إليها منذ سنين طويلة جدّاً... والأمر يتعلّق بصاحب هذا القصر قبل أن يصبح ملكًا للسيّد مونتوني... وأيضًا...*».

قالت إميلي مبتسمة: «حسنًا آنّيت، أدرك ما تقولين.. إنّك لا تعلمين شيئًا بشأن هذه اللوحة».

«كلا، لا شيء بالتأكيد يا آنستي، لأني قطعت وعدًا أمامهم بألا أتكلّم حول ذلك لمخلوق؛ ولكن...».

قالت إميلي، بعد أن لاحظت أن آنّيت تتمزّق بين ميلها إلى البوح بالسرّ من جهة، وخوفها من نتائج ذلك من جهة أخرى. «حسنًا، سوف أتوقّف عن طرح الأسئلة.»..

«لا لا تتوقّفي، أرجوك».

قاطعتها إميلي: «إذًا عليك أن تفصحي عن كلّ ما تعرفينه».

حزيران/ يونيو

الفصل الخامس
وفيه قرأنا كتاب *كبرياء وهوى* واستمعنا إلى برناديت

أوّل انطباع تركته آليغرا لدى سيلفيا، هو أنّ أحدًا لم يرزق بمثل هذه الطفلة الجميلة من قبل.

أوّل انطباع تركه غريغ لدى جوسلين، هو أنّه يتمتّع برموش جميلة، ولكن اسمه غريب، ولا يثير اهتمامها قطّ.

وأوّل انطباع تركته برناديت لدى برودي، هو أن شكلها يدعو إلى الدهشة، وكلامها يدعو إلى الضجر، ولا حاجة للإصغاء لما تقوله.

وأوّل انطباع تركته برودي لدى برناديت، هو أنها نادرًا، في حياتها الطويلة، ما التقت بامرأة شابّة مذعورة مثلها.

وأوّل انطباع تركته جوسلين لدى غريغ، هو أنها شعرت وكأن الدقائق التي قضتها برفقته في مصعد الفندق كانت نوعًا من القصاص.

وأوّل انطباع تركته سيلفيا لدى آليغرا اختلط مع انطباعها الأوّل عن العالم الأوسع. «أهذا لي؟»، كانت تسأل ذاتها، عندما لم تكن تمتلك الكلمات، ولا حتى القدرة لكي تعلم بأنّها تسأل. ثمّ، عندما نظرت سيلفيا في عينيها لأوّل مرّة، ونظر دانيال، كان انطباعها: «وهذا كلّه لي؟».

كانت الحفلات الراقصة في أيّام أوستن تفتتح برقصة خاصّة تدعى «Minuet».

كان يتوالى على تأدية هذه الرقصة كل ثنائي بدوره منفردًا على ساحة الرقص.

«الكل يعلم أنّه لا بدّ من أن يرغب الرجل الثري بالزواج من امرأة ثانية غير زوجته في يوم من الأيام». قالت برودي، فيما جلست إلى جانب برناديت حول طاولة مستديرة وكبيرة في الحفل السنوي الخيري الذي تقيمه المكتبة العامة في مدينة ساكرامنتو. وكان حضور الأثرياء قويًا وثقيلًا في تلك القاعة.

وفي عمق القاعة، وفي محاذاة النافذة الكبيرة ذات القنطرة الضخمة، استقرّت فرقة موسيقية تعزف موسيقى جاز Jazz، تعزف مقدّمة لحن «*عندما دخل الحبّ*». يمكن للناظر التسلّق بعينيه عبر الطوابق الخمسة، وعلى طول الأعمدة الرخاميّة الضخمة، وعبر أربعة مستويات من الشرفات المزنّرة بالحديد المشغول الأسود، وصولًا إلى قبّة قاعة مكتبة تساكابولس Tsakopoulos Library Galleria الرائعة بدوائرها البلّورية الضخمة المعلّقة.

لم تكن برودي قد دخلت إلى هذه القاعة من قبل، مع أن إحدى المعلمات في المدرسة أقامت حفل زفافها هنا. قيل لها إنّ هناك أقنعة تمثّل وجوه ثعالب صغيرة مصنوعة من البرونز معلّقة في بعض الأماكن على هذه الشرفات، ومع أنّها لا تراها من تلك الزاوية التي تجلس فيها، فمن الجميل أن تعلم أنها موجودة.

إنّه مكان جميل ورومنسي. يمكنك أن تتخيل عاشقًا يغنّي لحبيبته على إحدى هذه الشرفات؛ أو مجرمًا يطعن أحد رؤساء الجمهورية في ظهره، هذا لو سافر خيالك إلى مكان سقيم.

غير أن برودي شعرت بشيء من خيبة أمل لأنها وصلت مع دين باكرًا إلى الحفلة وفي وقت وصول برناديت، فتوقّعت أنّه سيترتّب عليها البقاء إلى جانب هذه الأخيرة والتحدّث إليها طيلة السهرة. يجلس دين بالطبع إلى جانبها من الجهة الأخرى، ولكن متى لا تستطيع التحدّث إلى دين؟

في الواقع، لن تتحدّث برودي إلى برناديت، بقدر ما ستتحدّث برناديت إلى برودي. برناديت كثيرة الكلام وتدور حول النقطة عينها طويلًا، حتى إذا ما وصلت إليها أخيرًا، يتبيّن لك أنّها لم تكن تستحقّ كل ذلك الجهد والتفسير. مسكينة برناديت، فقد كانت سيّدة منزل في الخمسينات، حيث كان منتظرًا منها تنظيف منزلها في كل يوم من أيام الأسبوع. أما حركة تحرير المرأة فقد وصلت متأخرة ولم تتمكّن من إنقاذ برناديت من كل ذلك الضجر. اليوم هي امرأة متقدّمة في السنّ لا تحظى بالاهتمام إلا نادرًا. وخطر في بال برودي فجأةً جملة بالفرنسية تقول: «Peu de gens savent être vieux (قليل من الناس يتقنون عيش الشيخوخة)».

اختارت برودي وبرناديت المجيء إلى هذه الحفلة إكرامًا لسيلفيا، على الرغم من ارتفاع ثمن البطاقة البالغ مئة وعشرين دولارًا. إنها حفلة عشاء راقصة وعد منظّموها بأن يجلس كاتب معروف أو كاتبة معروفة إلى كل طاولة تكريمًا للحاضرين. تحمّست برودي للفكرة، ولكن دعم سيلفيا كان السبب الأوّل لقدومها. كان على سيلفيا التي تعمل في المكتبة نفسها الحضور لأنه نشاط خيري يقام لمساعدة المكتبة، وكانت آليغرا قد علمت أن دانيال سيكون حاضرًا أيضًا بصحبة صديقته، وهي المحامية التي وقع في حبّها.

اقتصرت صحبة سيلفيا على أعضاء منتدى أوستن الأدبي. ومع أن وجودهم لا يغيّرفي شيء، فإن حضورهم مهمّ بالنسبة إليها.

أينما نظرت برودي حولها في تلك الحفلة طالعتها مظاهر الثراء. ومن باب التسلية، خطر في بالها أن تتخيّل كيف قد يكون المشهد في عينيّ إحدى شخصيات أوستن. وتخيّلت شابّة لا تملك مالًا ولا حظوظًا تجلس في هذا المكان تحت أبصار طغمة من الرجال الأثرياء. هل ستشعر بالقوّة وتتّخذ القرار بالتعرّف إلى من تختاره بينهم؟ أو ستكون ضعيفة وتستجدي انتباه أيّ كان؟ ولكن ما الفائدة من إجالة النظر والاختيار في السرّ عندما لا يتاح لها بحسب الأصول سوى الجلوس وانتظار من يتقدّم لها؟ ثمّ قرّرت برودي أنها تفضّل تعليم الفرنسية في المدرسة الثانوية على أن تتزوّج من أجل المال. لعلّه قرار سريع يبقى قابلًا لإعادة النظر في وقتٍ لاحق.

كان دين قد ذهب لإيداع معطف برودي في الزاوية المخصّصة لهذا الغرض، وليحضر لنفسه كأسًا. لو كان دين جالسًا إلى جانبها لاعترض من دون شكّ على رأيها حول الرجال الأثرياء ورغبتهم في الزواج ثانيةً. ليس دين غنيًّا ولكنّه وفيٌّ. ربّما كان سيقول إن المال لا يغيّره؛ ويقول إن برودي هي الزوجة التي يريدها سواء في الفقر أو في الثراء. وربّما قال إنّه لن يصبح غنيًّا أبدًا، وسيكون ذلك من حسن حظ برودي.

ما كانت برودي لتتفوّه بمثل هذه الملاحظة أيضًا في حضور سيلفيا؛ ولكن سيلفيا وآليغرا لم تحضرا بعد. لم يكن هناك حتى تلك الساعة سواها وبرناديت. لم تكن معرفة برودي ببرناديت قديمة العهد بما يكفي للتحدّث في مواضيع عدة. أما مسألة طلاق سيلفيا ودانيال فقد تشكّل موضوعًا يمكنهما الحديث حوله معًا. وهناك بالطبع المواضيع التي تطرحها كتب جين أوستن. ولكن موعد نقاش *كبرياء وهوى* لم يحن بعد، ولا ترغب برودي في استباق الأمور.

يبدو أنّ برناديت تخلّت هذه المرّة عن أسلوبها المعروف في ارتداء الثياب البسيطة والمريحة فحسب، وقرّرت أرتداء ما يليق بهذه السهرة

التي يرتدي فيها الرجال بزات رسمية، فلبست قميصًا وسروالًا أنيقين باللون الفضّي، وسرحت شعرها ذا اللون الفضيّ أيضًا بشكل جميل وعالٍ فوق جبهتها. وكانت قد أصلحت نظارتها ونظّفت عدساتها، وعلّقت بأذنيها قرطين من حجر الكهرمان الأصفر يبدوان وكأنهما من صناعة يدي آليغرا. لاحظت برودي أن أذني برناديت طويلة وتذكّر بأذني بوذا وأنّ التزيّن بالأقراط يزيد من طولهما. تتمتّع برودي بحاسّة شمّ مرهفة فتبيّنت رائحة عطر لافندر خفيفة، وربّما رائحة شامبو بعطر التفاح؛ وكذلك رائحة أزهار الزينيا الموضوعة وسط الطاولة، ورائحة مكيّف ضخم يبذل ما في وسعه لتبريد القاعة.

لم تكن برناديت قد انتهت من إجابتها الطويلة على الرأي الذي أدلت به برودي. ولم تصغِ برودي إلى كلّ ما قالته برناديت جيّدًا لأن هذه الأخيرة سوف تورد في ختام حديثها موجزًا للنقاط التي تطرّقت إليها. ولذلك انتظرت برودي حتى انخفضت وتيرة الكلمات معلنةً قرب نهاية الحديث، فأصغت إلى برناديت تقول: «أن تكون غنيًّا لا يغيّر رغبتك في السعي إلى الزواج، بمقدار ما قد يغيّر في الحياة الزوجية ذاتها. ولن تتمكّني من اكتشاف نقاط الضعف التي يعاني منها زوجك سوى بعد مرور فترة على الزواج. والسعادة في الزواج هي مسألة حظّ».

من الواضح أنّ برناديت لم تتنبّه إلى أنّ برودي قصدت عبر ملاحظتها التلميح إلى وضع سيلفيا، لأن الآراء التي انتهت للتوّ من شرحها، قد تنطبق على بعض الحالات، ولكنّها لا تنطبق حتمًا على وضع سيلفيا، ومن حسن الحظّ أن جوسلين لم تكن قد وصلت بعد لتسمعها.

ثمّ تبرّعت برودي بإشارة سريعة إلى الموضوع المقصود. فقالت: «يمثّل دانيال الصورة النمطية للرجال».

أجابت برناديت: «لا بدّ أن يتطابق بعض الرجال مع هذه الصورة؛ وإلا لماذا وجودها؟».

لم يُجدِ أسلوب التلميح نفعًا، فقرّرت برودي الكلام بشكل أوضح، فقالت: «مؤسفٌ ما يجري بين دانيال وسيلفيا».

«نعم طبعًا؛ إنها جريمة كبرى»، قالت برناديت، وابتسمت بطريقة تركت لدى برودي الانطباع بأنها ربّما فهمت المحور المقصود من الحديث.

انتقلت الفرقة إلى عزف لحن أغنية *«الحارس الذي يرافق حياتي»*. أحسّت برودي بانعقادٍ في حنجرتها، فقد كانت أمّها تحبّ الموسيقي Gershwin كثيرًا.

ثمّ جاءت سيّدة أميركية سوداء تلفّ كتفيها بشال من الفرو الثمين (في هذا الجوّ الحارّ!) وجلست إلى الطاولة بجانب برودي التي كان لا بدّ من أن تعلمها بأن الطاولة كلّها محجوزة. قالت المرأة بهدوء: «هكذا إذًا، لا بأس». ثمّ قامت من مكانها ولامس شال الفرو شعر برودي فيما استدارت صاحبته لتنظر في اتجاه طاولة أخرى. خافت برودي أن تكون السيّدة قد فسّرت كلامها من منطلق عنصري؛ وهي لا تفعل ذلك البتّة وكل من يعرفها يشهد لها على ذلك. كانت تحبّ بالفعل أن تجاور في تلك الجلسة سيّدة على هذا المستوى الرفيع من الأناقة. وما لبثت برودي أن شعرت بضيق في صدرها، وتساءلت في نفسها متأفّفة: «أين هي جوسلين؟».

عادت برناديت لتكمل الحديث في الموضوع، وقالت: «من الصعوبة بمكان اختيار الزوج المناسب الذي ستمضين معه حياتك.. كثيرون لا يصيبون الاختيار في المرّة الأولى؛ أنا شخصيًا لم أصِب في المرّة الأولى».

لم تتفاجأ برودي بأن برناديت تزوّجت أكثر من مرّة. ألم تشتكي إليها آليغرا بأن برناديت تصرّ دائمًا على الإعادة؟ (وألم تقل ذلك آليغرا أكثر من مرّة؟).

كانت آليغرا تتمدّد فوق السرير الذي صارت سيلفيا تنام عليه وحدها. وكانت تراقب أمّها تجرّب عددًا من الفساتين لكي تختار من بينها واحدًا للسهرة. لم يكن يوجد في البيت مرآة تظهر الصورة كاملة، أي من الرأس إلى الحذاء، ولذلك كانت الاستعانة بنصيحة ناصح ضروريّة. وآليغرا، ومنذ كانت صغيرة، تتأمّل المشهد بعيني فنانة، وسيلفيا تأخذ برأيها منذ ذلك الزمن. «هل ستخرجين بهذا الشكل؟!»، كانت آليغرا تسأل أمّها، وسرعان ما كانت الأم تجيب: «لا، لا طبعًا». وتعود إلى غرفتها لتختار ثوبًا مختلفًا.

كان الوقت قد تأخّر قليلًا، ولكن لا بأس ببعض التأخير فالسهرة بوجود دانيال وصديقته لن تكون مريحة بالنسبة إلى سيلفيا، فلماذا العجلة!؟ كانت سيلفيا تتمنّى لو تستطيع شرب كأس من النبيذ أو أكثر قبل الانطلاق، ولكنّها ستقود السيارة. أما آليغرا فاحتست كأسًا باردًا من النبيذ الأبيض ولم تكن قد بدأت في ارتداء ملابسها بعد. إذ يكفي أن ترتدي آليغرا مطلق ثوب بسرعة لتبدو بارعة الجمال، فلا تملّ عينا أمّها أبدًا من النظر إليها.

كان الطقس حارًّا فأغلقت سيلفيا الستائر المعدن طمعًا في الظلّ، ولكن آليغرا آثرت فتحها لكي تتمكّن من الرؤية بشكل واضح. ومع فتح الستائر دخلت أشعّة الشمس من بين شرائحها على شكل شرائط من نور وصل بعضها إلى الصورة العائلية المعلّقة على الحائط، فأضاءها جزئيًا برز وجها آليغرا ودانيال مضاءَين، فيما اختبأت وجوه سيلفيا والصبيّين في الظل. قد لا يخلو هذا من الدلائل بحسب بعض الكتب، وقد يكون نذير شؤم بالنسبة إلى سيلفيا والصبيّين!

قالت آليغرا: «لن يكون في السهرة أشخاص في مثل عمري». اعتبرت سيلفيا أنّ ما تفوّهت به ابنتها سؤال، مع أن آليغرا لم تطرحه كسؤال. إنها تستخدم هذه الطريقة في كلّ مرّة تعلم فيها الإجابة مسبقًا.

ردت سيلفيا: «هناك برودي».

نظرت آليغرا إلى أمّها تلك النظرة التي تعرفها سيلفيا جيّدًا منذ أن كانت ابنتها في العاشرة. ولم تنطق بكلمة أبدًا نظرًا لأن برودي فقدت أمّها منذ فترة وجيزة، ومن اللياقة التعامل معها بلطف. ولكنّها لا تتحمّل إصرار برودي على التحدّث بالفرنسية. فها هي لا تتكلّم الاسبانية إلى أناس لا يفهمونها. عندما نستطيع التفاهم بلغتنا الأم، لماذا نتكلم بلغة أخرى؟

سألت آليغرا: «على كلّ حال، أي سبب يبرّر الرقص في مثل هذه المناسبات؟ أنا لا أتكلّم بلسان النساء المثليّات هنا، وإنما بلساننا جميعًا. الاستمتاع بأجواء الرقص تتضمّن مفاجآت وتوقّعات حول شريكك في الرقص. ومن سيطلب منك مشاركته؟ وهل ستوافقين؟ ومن سيلبّي طلبك للرقص لو سألته؟ ومن ستجبَرين على قبول دعوته لكِ منعًا للإحراج؟ الرقص ممتع في ما يحمل في خباياه من احتمال الفرح أو في المصيبة. ولو تركت كل ذلك جانبًا، فسيبقى أمامك حفلة حيث تعزف فرقة موسيقية لا لسبب سوى من أجل أن يرقص الأزواج مع زوجاتهم. ولا يبقى من الرقص سوى فعل الرقص وحده».

سألتها سيلفيا: «ألا تحبّين الرقص؟».

«بلى، كنوع من الرياضة القويّة فحسب، ومن غير كل ما قد يثير المخاوف والترقّب حولها! فهكذا لا أحبّها حقًّا».

كان غريغ قد اقترح أن ترافقه جوسلين في السيارة إلى ساكرامنتو، لأنه لا يزال حديث العهد في المنطقة، فيما تعرف جوسلين معالمها جيّدًا، وخصوصًا بسبب ذهابها إلى مدينة غالينا في مناسبات عدة. وفيما كانت تعدّ نفسها للسهرة، فاض قلب جوسلين حنانًا نحو غريغ. فعلى الرغم من أن معرفته بسيلفيا ما زالت حديثة، وأنّ راتبه الشهري بات أقلّ

ممّا كان سابقًا، ها هو يشتري بطاقة غالية الثمن لحضور الحفلة، ويرتدي بزّة رسمية رماديّة اللّون وسط هذا الجوّ الحارّ، ولا يعبأ بقضاء السهرة مع مجموعة من النساء المسنّات، أو المتزوّجات، أو المثليّات، وكل هذا بفضل صفاء سريرته ونقاء قلبه.. يا له من إنسان طيّب!

أنهت جوسلين زينتها ولم يبقَ عليها سوى نزع وبر الكلاب عن ثيابها، ولكن لا فائدة من نزعه الآن، فسوف تفعل ذلك قبل خروجها بلحظات. كانت جوسلين جاهزة للخروج تحديدًا في الوقت الصحيح والملائم للانطلاق.

ولكن غريغ لم يأتِ في الوقت المحدّد. انتظرته جوسلين لمدّة عشرين دقيقة وخلال هذا الانتظار كان حنانها نحوه قد بدأ بالفتور. تتميّز جوسلين بالتزامها بالمواعيد، وتعتبر ذلك من أصول اللياقة الاجتماعية. وتقول إنّ وصولك متأخرًا عن الموعد، يشير إلى أنك تعتبر أن وقتك أثمن من وقت الشخص الذي ينتظرك.

غير أن الانتظار أعطى جوسلين الفرصة للتفكير بهدوء حول ما ستحمله تلك السهرة. لم تكن قد رأت دانيال إلا نادرًا منذ أن ترك البيت. وفيما كانت تنظر حولها لاحظت جهاز الموسيقى مع نظام مكبّرات الصوت الذي ساعدها دانيال في اختياره؛ وآلة تجفيف الثياب التي ساعد دانيال في توصيل الكهرباء إليها وتشغيلها. وتذكّرت كل تلك المرّات على امتداد السنين عندما كان يأتي مع سيلفيا وبيدهما فيلم فيديو لكي تشاهده جوسلين معهما. وتلك المرّات الأخرى حين كانا يأتيان بوجبة عشاء من المطعم الصيني لكي يتناول الثلاثة العشاء معًا، وخصوصًا بعد عودة جوسلين من معرض الكلاب حين تكون مرهقة، ولا رغبة لديها بالأكل سوى إذا أجبرت على ذلك. وذات مرّة عندما كانت مصابة بإنفلونزا قويّة، جاء دانيال ونظّف لها الحمّام لاعتقاده بأن المرآة الملوثة بمعجون الأسنان قد تضايقها وتعيق شفاءها.

ليس من السهل عليها أن تكره دانيال، ولذلك سمحت لنفسها بالتوقّف عن كراهيته على الأقلّ في غيابه. ومع أنّها لم تبح بذلك أمام أحد، فإن الصعوبة المتوقّعة في تلك السهرة لن تكون أقلّ ثقلًا عليها مما ستكون على سيلفيا. لا ترغب جوسلين أبدًا بمشاهدة صديقة دانيال الجديدة، ولا ترغب أيضًا بالنظر عن قرب إلى الأسباب التي أدّت إلى كلّ ذلك. وها هي تغتاظ من غريغ لأنه وبتأخيره يتسبّب بتأخير موعد التخلّص من ثقل ذلك الترقّب.

وصل غريغ أخيرًا، ولكنه لم يعتذر ولم يقدّم أسبابًا لتأخّره كأنه لا يعلم في الواقع أنّه تأخّر. أما «صحارى» ففرحت لمشاهدته وحملت كرة مطاطية بين أسنانها وراحت تركض بين المقاعد، وتقفز على الأريكة الكبيرة غافلةً عن الخيبة التي ستصيبها بعد دقائق. ولقاء «صحارى» الحارّ شغل غريغ عن لقاء جوسلين البارد نوعًا. «ثوبك جميل!»، قال لها. نجح مديحه اللطيف في إثناء جوسلين عن التفوّه بعتاب قاسٍ ولكنه لم ينجح حقًّا في تلطيف مزاجها.

«لنذهب!»، قالت. ولكن ليس من دون حذر من أن تصله كلماتها بنبرة الأمر، أو بنبرة الشكوى.

ثمّ أضافت جملةً بصيغة الطلب، في حال أن نبرة صوتها خرجت عن السيطرة على الرغم من الانتباه؛ ولكنّ أسلوبها في الطلب قد يبدو أيضًا كأنه فعل أمر لمن لم يكن متعوّدًا بدرجة كافية على طريقة جوسلين. «سيترتّب عليك الرقص مع سيلفيا هذه الليلة». وكانت تعني بذلك التالي: «من المستحسن أن يرى دانيال أنك ترقص مع سيلفيا الليلة». ثمّ توقّفت وألقت عليه نظرة شاملة كما لم تنظر إليه من قبل. إنّه وسيم ولو بدرجة غير ملفتة، ويفي بالمطلوب.

إلا إذا كان فاشلًا في الرقص. وسألته: «وهل تستطيع الرقص؟».

«نعم»، أجابها. ولكن مثل هذا الجواب قد لا يعني شيئًا بالنسبة إلى جوسلين، فكم من الأشخاص يتوهّمون بأنهم يتقنون الرقص، فيما لا يفعلون.

«ولكنّك لا تبدو كمن يتقن الرقص». قالت جوسلين مرغمةً لأن الأمر مهمّ، وعليها أن تتأكّد.

«كيف أبدو إذًا؟».

من يعلم؟ ربّما مثل مغنّ في الأرياف الأميركية، أو مثل أستاذ جامعة، أو مثل سمكري، أو مثل جاسوس. ليس لديه في الواقع مظهرًا مميّزًا.

قالت له: «تبدو مثل قارئ لأدب الخيال العلمي». ولكن يبدو أنّه لم يستسِغ جوابها، مع أنّه يقرّ بحبّه لتلك الكتب.

أجاب غريغ بنبرةٍ لا تخفي الاستياء: «أنا أخ لثلاث شابّات يكبرنني سنًّا. وباستطاعتي أن أرقص».

وحول فنّ الرقص الريفي، قال أحد معلمي الرقص:

> *يختفي جمال هذا النشاط الريفي ويفسد (في الاحتفالات الشعبية الأنيقة) بسبب بعض الأخطاء التي قد يرتكبها الراقصون... فربّ ثنائي واحد، أو اثنان، وبنتيجة الإهمال أو النقص في التدريب، يجرّ المجموعة الراقصة كلّها إلى الفوضى.*
>
> *كيللوم توملينسون خبير في الرّقص*

قال دين لبرناديت: «ذهبت خلال عطلة نهاية الأسبوع الماضي بصحبة برودي لحضور الألعاب الاسكوتلندية في معرض إقليم يولو Yolo County. وأحسّت برودي فجأةً بشوق جامح إلى منطقة هايلاند الجبلية».

ردت برناديت: «لم أشاهد الألعاب، بل ذهبت مرارًا ومرارًا إلى المعارض. كنت أرقص في كل معارض الريف عندما كنت صغيرة. ولكن المعارض كانت متواضعة في تلك الأيام».

وانتظرت برناديت لترى ما إذا كانا يرغبان في سماع المزيد. لكن لم يطلب أيّ منهما منها المتابعة، كما لم يحاولا تغيير الحديث. كان دين ينظر إليها مبتسمًا، أما برودي فكانت منشغلة بتحريك قطع الثلج وعود الكرفس التي في كأسها. ولم تتلقَّ برناديت إجابة واضحة على ما قالته.

فكّرت برناديت أن الاثنين لا يزالان بعمر الشباب، وإن كان هناك من حكايات مسلّية تُروى، فمن الطبيعي أن تكون حكاياتها. فقالت: «كنت في طفولتي أرقص مع فرقة تدعى The Five Little Peppers (قرون الحرّ الخمسة الصغيرة). كانت أمّي على اعتقاد راسخ بأن الرقص النقري[1] Tap Dancing سيفتح أمامي الطريق إلى هوليوود. وكانت تطمح لي بمستقبل لامع ولكنها لم تواكب تطوّر العصر الحديث، لأنه حتى في تلك الأيام، أي بين نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، كان الرقص النقري مجرّد لعبة يقوم بها الأطفال».

«حسنًا، كيف كانت علاقتك بأمّك، هل كانت قويّة؟»، سألتها برودي وبدا وجهها شاحبًا عندما سمعت لفظة 'أمّي'، فشعرت برناديت بالعطف عليها.

«كنت أميل أكثر إلى والدي، وأتحمّل بصعوبة مزاج أمي المتصلّب».

«كنّا نعيش في مدينة تورنس Torrance القريبة من هوليوود، ولكنها لم تكن قريبة كما هي اليوم نظرًا لسهولة وسرعة المواصلات هذه الأيام. كنت أتعلّم رقص الباليه والرقص النقري مع معلمّة تدعى الآنسة أوليف،

(1) رقص يعتمد النقر بقوّة بالأقدام وتشتهر به إيرلندا.

مكتبة
t.me/t_pdf

وكنت أفضل راقصة في الصف. لم يكن ذلك ليعني الكثير حقًّا، ولكنّه فتح أمام مخيّلة أمي أبواب الحلم. كان والدي يمارس مهنته كطبيب أسنان في عيادته المتصلة بالمنزل. وحدث مرّةً أنّه عالج أسنان أحد الأشخاص الذي يعرف أحد الأشخاص، وهذا الأخير يعرف أحد الأشخاص في عالم السينما. عندما علمت أمّي بالأمر راحت تحثّه وتلحّ عليه، وتتملّق له لكي يدبّر لنا مقابلة مع أحد هؤلاء في تلك السلسلة الطويلة من الأشخاص المجهولين.

ثمّ طلبت أمّي من الآنسة أوليف أن تصمّم لي رقصة خاصّة، لقاء أجر إضافي. والرقصة التي حملت عنوان «الفتاة الدانماركية الصغيرة» تتطلّب مني أن أتعلّم الرقص والنقر بقدميّ فيما أنتعل الحذاء الدانماركي الخشب الضخم. وعندما حان الموعد ذهبنا بالسيارة لمقابلة ذلك الرجل الذي ما إن حطّت عيناه عليّ حتى أعلن: «ليست جميلة بما يكفي». وانتهت القصة هنا، ولم يتسنّ لي حتى أداء تلك الرقصة. غير أنّ أبي كان واضحًا بأنّ ما حدث كان محرجًا ومهينًا له، وأنه لن يسمح بتكرار هذا الموقف قطّ.

لم أعبأ شخصيًّا بما حدث، ولا بما قاله ذلك الرجل البغيض في الاستديو، وبقيت ثقتي بنفسي عالية، أما أمّي فقرّرت لشدّة استيائها أننا لن نشاهد أيًّا من الأفلام السينمائية التي ينتجها. وهكذا لم أتمكّن من مشاهدة فيلم *Easter Parade* إلّا بعد أن عُرض على التلفزيون، على الرغم مما سمعته من الناس بأن الممثلة جودي غارلند والممثل فريد آستر كانا رائعين معًا.

ثمّ تحدّثت الآنسة أوليف إلى أمّي حول فرقة «Five Little Peppers»، وعن مكان شاغر لراقصة جديدة في الفرقة. فقدّمت عرضًا تجريبيًّا بالحذاء الخشب الفظيع، لأنّ والدتي أصرّت على أن أقدّم تلك الرقصة الخاصّة التي دفعت كلفتها مبلغًا إضافيًّا، فلعلّها تكون استثمارًا مجديًا

في نهاية المطاف. ومع أني لم أتمكّن من الرقص جيّدًا بسبب ذلك الحذاء، فقد حظيت بالقبول لتطابق طول قامتي مع الطول المطلوب.

تعتمد الفرقة شكل السلّم أو الدرج؛ فتقف أطول الفتيات الخمس في المؤخرة، وتقف أقصرهنّ في المقدّمة وتقف الثلاث الباقيات بحسب تدرّج طولهنّ في الوسط. وقع الاختيار عليّ لأكون «الدرجة الأولى في السلّم» أيّ في المؤخرة، وكنت في الحادية عشرة. وكانت الفتاة الأقلّ طولًا في الخامسة فحسب.

تجذب «الدرجة الخامسة» أي الفتاة الأقصر قامةً انتباه الجمهور لكونها صغيرة؛ وتكون هي المدلّلة. وتجذب الدرجة الأولى كثيرًا من الانتباه إذا كانت جميلة. ومن ناحيتي، وبغضّ النظر عن رأي بعض الأشخاص، كنت على مستوى مقبول من الجمال.

مركزي كفتاة «الدرجة الأولى» ساعدني لأكون أكثر لطفًا وتسامحًا، وساعدني كلّ ذلك الانتباه الموجّه نحوي على أن أكون إنسانًا أفضل. ولكن لم يستمرّ ذلك طويلًا. لم يزدد طول قامتي، فيما ازداد طول قامة الفتاة في «الدرجة الرابعة»، فكان علينا في الصيف التالي أن نتبادل الدرجات. عندئذٍ تأكّد لي أن الفتيات في الدرجات ما بين الأولى والخامسة لا يستقطبن أي نوع من الانتباه وخصوصًا الأطول قامةً بينهنّ. كنت الألطف بين الفتيات عندما كنت «الدرجة الأولى»، وسرعان ما أصبحت «الدرجة الأولى» الجديدة هي الألطف. أليس ذلك غريبًا؟

كانت مديرتنا امرأة ظالمة، وكنّا ندعوها «مدام دوبوا»؛ ونطلق عليها أسماء أخرى عندما لا تكون قريبة منّا. وكانت مدام دوبوا المديرة المسؤولة عنّا مباشرة. فكانت تعلّمنا كيف نتزيّن، وكيف نوضّب حقيبتنا، وترشدنا إلى الكتب التي نستطيع قراءتها، وإلى أنواع الطعام التي نستطيع تناولها، وإلى أنواع الأصدقاء الملائمين لنا. وهكذا لم

يبقَ لنا حقًّا ما نختاره بأنفسنا. وكانت مدام دوبوا توزّع علينا ملاحظات مكتوبة بعد انتهائنا من تأدية العرض، مع أنّها لم تكن راقصة في أي مرحلة من حياتها. الملاحظة التي كنت أتلقاها باستمرار تكلّمت على أهميّة التدريب: «لن تكوني راقصة جيّدة أبدًا إلّا إذا انكببتِ على التدريب». وهكذا لم أكن في حياتي راقصة جيّدة ولم أصبح كذلك قطّ.

كانت مدام دوبوا تستعين في حجز العروض برجل ثقيل الظلّ يدعى لويد هكسلي. عمل لويد خلال الحرب برتبة رقيب في الجيش وكانت مهمته تأمين المؤن. وانتقل بعد الحرب لينفّذ مطلق الأعمال التي تختار مدام دوبوا أن توكلها إليه.

رقصت مع الفرقة لمدّة ثماني سنوات. دخلت خلالها فتيات إلى الفرقة وخرجت فتيات، ولكني وخلال سنتين كنت على علاقة صداقة متميّزة مع فتاة تدعى ماتي مورفي. كانت ماتي تزداد طولًا إلى أن أصبحت في مثل طولي، فبات يتحتّم على إحدانا المغادرة. لم تكن المرحلة سهلة فشعرت بضرورة القيام بخطوة إيجابية. كانت ماتي أفضل منّي في الرقص وكنت أجمل منها، وعرفت أن الاختيار سيكون لصالحي، فطلبت من أمي أن تسمح لي بالانفصال عن الفرقة لكي لا تُجبَر ماتي على ذلك؛ وكذلك لكي أرتاح من اهتمام لويد هكسلي المتزايد بي بعد أن أصبحت أكبر سنًّا.

كنت مقتنعة بضرورة الانفصال عن الفرقة، ولكن أمّي رفضت من منطلق خوفها الواهم «ماذا سيحدث لمستقبلي في عالم السينما لو تركت الفرقة؟». وإذا بي أفاجأ جدًّا بقرار لويد وماتي بالزواج.

بعد أن تركت ماتي الفرقة، أصبحت أنا «الدرجة الثالثة». قد يظنّ السامع أنّي التقيت من خلال انتقالي مع تلك الفرقة بعدد هائل من الناس. وقد يظنّ أن حياتي في تلك المرحلة كانت ممتعة. ولكن لا

يمكنكما أن تتصوّرا نوع الجمهور الذي يحضر معارض الأرياف؛ كنت أرى الوجوه ذاتها في معظم المعارض وأسمع الأحاديث عينها. كنت أحلم بتنوّع أكبر في حياتي فتوجّهت إذ ذاك إلى الكتب.

نفد صبر أمّي من طول الانتظار، وراحت يائسة تدفعني للرقص في كل مكان. في التجمّعات العائلية، وفي حفلات الكوكتيل، وحتى إنّها أجبرتني على الرقص أمام المرضى في عيادة أبي بحجّة «أننا لا نعلم من يكون هذا المريض، ومن سيكون في المستقبل». هل تتصوّرا أن احدًا يذهب إلى الطبيب ليخلع ضرسه فيجد نفسه فجأةً أمام مشهد راقص بالقبعة الطويلة والعصا؟ وأخيرًا نجح والدي في وضع نهاية لذلك، مع أنّ الفكرة لاقت قبولًا لدى عدد غير قليل من المرضى الذين رحّبوا بمشاهدة أيّ شيء يشغلهم عن واقع الألم الذي قد يصيبهم خلال عملية العلاج أو الخلع.

كانت سيلفيا تقف في حجرة الملابس وتنظر إلى الجهة حيث كانت قمصان دانيال وستراته وسراويله. لقد باتت فارغة الآن ولا بأس في أن تفكّر بتوزيع ثيابها بصورة تسمح لها بالاستمتاع بمزيد من السعة.

قالت آليغرا، وكانت لا تزال في غرفة النوم ممدّدة على السرير: «كنت أفكّر بشارلوت، في كتاب *كبرياء وهوى*، وصديقة ليزي التي تتزوّج بالرجل المملّ السيد كولنز. كنت أفكّر بالسبب الذي قد يدفعها إلى الزواج به».

أجابت سيلفيا: «نعم، إنه وضع شارلوت لوكاس المضطرب».

الأثر الوحيد الذي بقي من دانيال في تلك الخزانة هو تلك الأكداس من الورق التي تجمّعت عبر السنين تقارير ضريبية مشتركة لكليهما؛ أوراق الكفالة لقطع كهربائية اختاراها معًا؛ نتائج الفحص البيئي للسيارة؛ كمبيالات القروض التي تمّ تسديدها. وهناك على الرّف الأعلى كدسة

من الرسائل المتبادلة بينهما في صيف عام 1970، عندما ذهب دانيال برفقة صديقة من أيام الدراسة في رحلة بالسيارة إلى الشاطئ الشرقي للبلاد. قريبًا سوف تنزل سيلفيا تلك الرسائل وتعيد قراءتها. خلال اثنتين وثلاثين سنة من الحياة الزوجية لم يفترق دانيال وسيلفيا إلا نادرًا. لا تتذكّر ماذا كانا يكتبان لبعضهما في تلك المرحلة المبكرة من الفراق، فقد تحتوي هذه الرسائل على أمور مساعدة لمعالجة الوضع الحالي، وربّما تجد دليلًا يساعدها على فهم الذي حدث بينهما اليوم وأسبابه؛ أو قد تجد فيها شيئًا يساعدها على كيفيّة العيش بمفردها.

شيء يساعدها على كيفيّة العيش بمفردها فيما تتوقّع عودته. حتى الليلة، ملا زالت سيلفيا تتصرّف وكأن دانيال ذهب في رحلة أخرى، وسيعود بعد انتهاء الرحلة إلى البيت. لم تقصد ادّعاء ذلك، بل كانت تعيش الحالة بشكل طبيعي. أما الليلة، وعندما سترى دانيال إلى جانب باميلا كانت آليغرا تعرف باميلا، ولكن سيلفيا لا تعرفها فستشعر بأنّه رحل حقًّا.

ثمّ لبست قناع الهدوء وعادت تسير في الغرفة وتتحدّث إلى آليغرا: «أحبّ شارلوت كثيرًا. وأنا، على عكس جوسلين، أعجب بها. تتمسّك جوسلين بشروطها العالية ولا تساوم. وتحتقر في المقابل الأشخاص الذين يسلّمون بالأمر الواقع. تذكّري أن جوسلين ليست متزوجة الآن، ولم تتزوّج من قبل. ليس أمام شارلوت عدد من الخيارات؛ ولذلك تمسّكت بالخيار الأول الذي مثل أمامها. وأجد ذلك مؤثّرًا».

«مثير!»، قالت آليغرا. وقصدت بكلامها ثوب سيلفيا المفتوح جدًّا فوق الصدر والمحاك بخيطان رفيعة من الصوف الناعم التي تلفّ جسدها بحميمية.

قالت سيلفيا: «الطقس حارّ الليلة، ولن أرتاح في مثل هذا الثوب».

قالت ذلك، لأنها في الواقع لا تريد ارتداء ثوب مثير يحمل دانيال على الاعتقاد بأنها قصدت لفت انتباهه. خلعت الفستان وعادت إلى حجرة الملابس.

«سألت آليغرا: «هل تتمتّع ليزي بحظوظ أكبر من حظوظ شارلوت؟ لقد تخطّت ليزي سنّ العشرين ولم يتقدّم أحد في طلب الزواج منها بعد. وهي لا تملك المال وتعيش في مجتمع ضيّق ومنغلق. ولكنّها لا ترضى بالزواج من كولينز، فلماذا ترضى به شارلوت؟».

«ليزي جميلة. وهنا يكمن كلّ الفرق بينهما»، أجابت سيلفيا، فيما أدخلت جسدها في فستان بسيط من قماش الكتّان. وسألت ابنتها: «ماذا تظنين؟ هل يليق بالسهرة؟».

«لو اخترتِ الحذاء المناسب له، والحلى المناسبة، ستكون طلّتك أنيقة جدًّا بهذا الفستان. ولكنّه يحتاج إلى الكوي».

«لا يمكنني استخدام المكواة في هذا الطقس الحارّ». وخلعت سيلفيا الفستان، ثمّ تابعت تعليقها على موضوع شارلوت قائلةً: «يؤسفني أنّ أوستن لم تبتكر شخصية رجل رفيع الأخلاق يستطيع أن يرى ميزات شارلوت الحسنة. أرى أنّ هذه الأمور كانت ستختلف جدًّا، لو كانت القصة من تأليف الأخوات برونتي»[1].

قالت آليغرا: «عندئذٍ ستهتمّ شارلوت بشارلوت! الأخوات برونتي هنّ الأقرب إلى قلبي. ولكنّه ذوقي الخاصّ. أحبّ أجواء العواصف في القصص. كنت أفكّر باحتمال أن تكون شارلوت مثلية جنسيًّا. هل تذكرين عندما قالت إنّها ليست رومنطيقية مثل ليزي؟ ربّما كانت تعني ذلك بكلامها. وربّما هذا سبب عدم تريّثها في انتظار الرجل المناسب».

---

(1) Elizabeth, Emily & Charlotte Bronte إليزابيت وإميلي وشارلوت برونتي. وهن ثلاث أخوات روائيات كتبن روايات اشتهرت كثيراً.

ثم استدارت آليغرا على ظهرها وقلبت كأسها فوق شفتيها لتشربه حتى آخر نقطة، فبدا أنفها من خلال انحناءات البلّور مختلفًا، ولكن ذلك كان أبعد من أن يغيّر شيئًا في جمالها الرائع.

«هل تقصدين القول إن أوستن أرادت أن تكون شارلوت فتاة مثْليّة الجنس، أم إنها كذلك من غير علم أوستن؟»، سألت سيلفيا، وشعرت بأنّها شخصيًا تفضّل الاحتمال الثاني. فمن المثير بمكان أن تفترض أن شخصية في القصّة تعيش حياة سرّية بالخفية عن المؤلّفة؛ وأن تتخيّلها تهرب من وراء ظهر هذه الأخيرة لتعيش الحبّ بطريقتها الخاصّة. ثمّ تظهر ثانية في اللحظة المناسبة لكي تؤدي ببراءة مصطنعة أسطر الحوار المعدّة لها. لو كانت سيلفيا شخصية في كتاب، لسعت لكي تكون مثل هذه الشخصية.

ولكنّها لن تكون كذلك.

تأخر غريغ وجوسلين حتى وصلا إلى الطريق السريع المؤدّي إلى ساكرامنتو. فقد تقيّد غريغ طويلًا ببطء سرعة الحافلة الثقيلة التي تسير أمامه. حاول مرارًا أن يتجاوزها من دون جدوى، ولعله كان سينجح في ذلك لو ضاعف سرعته. لو كانت جوسلين في مكانه لفعلت ذلك من غير تردّد. ولكنّها كانت تداري صبرها خصوصًا وأن درجة التبريد في سيارة غريغ ليست مناسبة لحرارة طقس الوادي، وكانت تشعر وكأن زينة وجهها بدأت تسيل وتتسرّب إلى قبّة فستانها العالية.

كان الغبار يغطّي المنضدة الأمامية في السيارة، وعدد كبير من أكواب الكرتون الفارغة والعلب المتبقية من الوجبات السريعة ما زالت على الأرض حيث وضعت جوسلين قدميها. لم تعرض جوسلين على غريغ فكرة الذهاب بسيارتها لأنها لم تنظّفها منذ خمسة أيام. كيف كانت ستطلب منه الركوب وهو بكامل أناقته في سيارتها، وخطوط عريضة

يابسة من لعاب الكلاب وآثار لهاثها اللزجة باديةً على نافذة مقعد الراكب الأمامية، ووبرها منتشر في كل مكان. ولكن لا يبدو أن غريغ يهتمّ لراحة من يرافقه في السيارة كما تفعل هي.

«يقولون إن الهواء في ساكرامنتو أشدّ تلوّثًا ممّا هو في كل مناطق البلاد»؛ قال غريغ بعد أن نجح أخيرًا في تجاوز الحافلة وسط غيمة كبيرة من الدخان المنبعث منها، ووصل إلى الطريق السريع.

من النظر إلى شاشة قياس السرعة، لاحظت جوسلين أن غريغ كان يقود السيارة، ضمن حدود السرعة المسموح بها فحسب، ولا أحد سوى دانيال ممّن تعرفهم يفعل ذلك.

سألها غريغ: «هل قرأتِ تلك الكتب التي قدّمتها لك؟ كتب لوغوم؟».

«كلّا»، أجابت جوسلين مع «قرصةٍ» خفيفة من عذاب الضمير. ولكن شعورها الطفيف بالذنب لم يساعد في تلطيف مزاجها. كم يصبح إهداء الكتب ضاغطًا ومسيئًا للخصوصية عندما تتبعه الأسئلة على وتيرة «هل أعجبك الكتاب؟» وما شابه. تعوّدت جوسلين إهداء الكتب، وسبق وأهدت العديد والعديد منها، ولكنها لم تسأل مرّةً أحدًا عن رأيه حولها.

لا شيء يضطرّها إلى الاعتذار عن عدم قراءة كتابين لم تطلبهما منه قطعًا. وهي ليست بحاجة لقراءة مثل هذه الكتب لكي تبني رأيها بشأن الخيال العلمي. ألا يكفي أنها شاهدت فيلم «حرب النجوم». متى سيقتنع غريغ ويكفّ عن طرح الأسئلة عليها بشأن الكتابين اللعينين؟

ولكن، ووفاءً للحقّ، ذكّرت جوسلين نفسها بأن غريغ لم يطرح عليها هذا السؤال من قبل. ولكنّها كانت تتنبّه في مناسبات عدة إلى عدم كلامه عن تلك الكتب قطّ. ولذلك فإنها لم تكن بحاجة لمن يذكّرها. ولكن، ومع أنّها لا تعاني حتمًا من عذاب الضمير بشأن هذا الأمر، تشعر بأن شيئًا يدفعها إلى شرح موقفها، وإنّما ستتفادى بالطبع الظهور بمظهر

الدفاع عن النفس. التفتت جوسلين إلى غريغ لكي تتكلّم، فوجدته ينظر إليها. لم تكن تتوقّع ذلك. لم تتوقّع النظر إلى داخل عينيه مباشرةً ورؤية... ما لا تعلم. شعرت بضغط مفاجئ في صدرها؛ وبحرارة تنتشر في وجهها وعنقها. لم تشعر بمثل هذا الضغط ولا بمثل هذه الحرارة منذ زمن طويل.

ولم تكن ترغب بمثل هذا الشعور الآن. عمَّ كانا يتحدّثان؟ تساءلت جوسلين في داخلها على عجل. وقالت: «أحبّ الكتب التي تتحدّث عن أشخاص حقيقيّين».

قال غريغ: «لا أرى الفرق، كيف تكون شخصية إليزابيت بينيت في كتاب *كبرياء وهوى* حقيقية، ولا تكون شخصيّات العلم الخيالي حقيقيّة؟». وعاد ليركز نظره على الطريق.

أجابت جوسلين: «هناك أشخاص في كتب العلم الخيالي ولكن القصّة لا تعالج أمور الناس. الأشخاص الحقيقيّون شديدو التعقيد».

«هناك أنواع عديدة من أدب الخيال العلمي. عندما تقرئين بعضها سأهتمّ بما ستقولينه».

وفي غضون تلك الثواني التي استغرقتها جملة غريغ الأخيرة، كانت جوسلين قد استعادت هدوءها.

لقد تكلم غريغ بنبرة حياديّة، ولكنّ ذلك لا يغيّر في فحوى كلامه غير اللائق. لو لم يكن يتصرّف بهذه الأسلوب، لحدّثته عن المخرج الذي تسلكه أحيانًا لتأخذ الكلاب إلى مكان فسيح يسمح لها بالركض. وأيضًا عن المكان الذي تلجأ إليه الطيور بأعداد كبيرة ويصلح لرياضة السير في الطبيعة الوعرة عندما يكون الطقس معتدلًا. ولحدّثته كيف أن كل هذه الحقول البنّيّة اللون واليابسة الآن، تختفي تحت المياه في فصل الشتاء وتتحوّل إلى مستنقع مترامي الأطراف لا يسمح سوى لرؤوس الأشجار

بالظهور فوق سطحه. ربّما كانت ستقول له إن سكان المنطقة الأصليين وحدهم يستطيعون محبّة وادي كاليفورنيا في فصل الصيف، بعشبه اليابس، وأشجاره الدائمة الخضرة التي تروح تبهت خضرتها وتتحوّل إلى الرمادي. ربّما كانت ستتفوّه بكلام شاعري، ويعلم الله أنها لا تتقنه. ولكن لا خطر منه الآن على الأقلّ.

وإذا بشاحنة محمّلة بالبندورة تتجاوز سيارة غريغ من الجهة اليمنى، وكان باستطاعة جوسلين أن تشمّ رائحة البندورة عندما مرّت الشاحنة على مسافة قريبة جدًّا بمحاذاة السيارة. ولكن عددًا من حبّات البندورة ما لبثت أن وقعت وتدحرجت على الاسفلت عندما انحرفت الشاحنة لتعود إلى وسط الطريق. هل يُعقل أنّ غريغ يقود سيارته على الخطّ السريع بسرعة تقلّ عن سرعة شاحنة البندورة؟

أدار غريغ زرّ الراديو فانبعثت منه موسيقى فرقة لا تعرفها جوسلين بل كانت أكبر سنًّا من أن تعرفها أو أن تحبّها. على كل حال، لم يسألها غريغ إذا كانت تميل إلى سماع تلك الموسيقى، أو توافق على حجم ارتفاع الصوت. لم يسألها شيئًا من هذا القبيل أبدًا. وقبل أن تتنبّه لما يحدث، اتخذ غريغ المخرج المؤدي إلى شارع جيفرسون متّجهًا إلى وسط المدينة. «المرور عبر شارع 1 - 5 أسرع»، قالت جوسلين ولكن بعد فوات الأوان.

قال غريغ: «أحبّ المرور فوق الجسر[1]؛ أحبّ رؤية النهر».

يمكنه بالطبع رؤية النهر من الجسر، فكّرت جوسلين، ولكن أيّ مشهد للنهر يمكن رؤيته من الجسر؟ وفكرت أنها لو قالت له ذلك قد يقول: «أحبّ الانتظار في زحمة السير الخانقة بين آلاف الناس الزاحفة لحضور مباريات البايسبول». أو يقول أيضًا:» أحبّ أن أقود السيارة

(1) جسر يقع فوق نهر ساكرامنتو ويدعى «تاور بريدج». (المترجمة).

وأنتظر أمام إشارات السير في الشوارع الداخلية لأطول وقت ممكن. أو أنّه يحبّ أن يتأخّر على المواعيد إلى أقصى حدّ ممكن». لكن ألم تكن الغاية من الذهاب معًا في الأصل هو أن تدلّه جوسلين على المكان وتقدّم إرشاداتها له بشأن الطريق، وأن يطيع إرشاداتها؟

لم تحبّ شيئًا ممّا يفعله غريغ هذا المساء. وهي ليست والحمد لله من النساء الساذجات اللواتي يقعن فجأةً في حبّ الشخص الذي كرهنه في البداية.

اهتزّت السيارة فوق الجسر، وارتجف صوت غريغ حتى بدا وكأنه صوت إحدى شخصيات أفلام الصور المتحرّكة، وهو يسأل: «تُرى من سيكون المؤلّف الذي سيتناول طعام العشاء إلى طاولتنا. أتمنّى ألا يكون من مؤلفي ذلك النوع من الكتب... تعرفين ماذا أقصد».

ظهرت قبّة مبنى الكابيتول من بعيد تشمخ في غسق ذلك المساء. توقّف غريغ أمام الإشارة الحمراء فيما كان بوسعه لو أسرع قليلًا أن يمرّ على الإشارة الصفراء. وقالت جوسلين: «لا أتوقّع أننا سنصل قبل انتهاء السهرة».

تحوّلت الإشارة إلى الأخضر، وتباطأ غريغ في تغيير السرعة للانطلاق مجدّدًا، فصدر عن السيارة طقطقة مزعجة. ثمّ اجتازت السيارة مكان النافورة التي جفّ ماؤها وبدت حزينة، وتابع السير حول مركز شارع كاي التجاري حيث صدرت عنها حشرجات غريبة ومتتابعة إلى أن توقّفت.

لو حدث أن كان على الراقصين البدء خارج الوقت الصحيح، فاحتمال أن يتمكّنا من تصحيح الوضع خلال الرقصة ضئيل جدًّا. وفي المقابل، لو انتظرا ولم يبتدئا في الرقص حتى يصل اللحن إلى مفصل مهمّ، فمن الممكن إذ ذاك أن يصحّحا الوضع، وأن يحصدا الشهرة والتصفيق.

كيللوم توملينسون، خبير في الرقص.

فرغت فجأة سيارة غريغ من الوقود، ولم يستطع إلّا بصعوبة قصوى تحريكها لكي يركنها في محاذاة الرصيف. في تلك اللحظة تذكّرت جوسلين أنّها كانت قد تركت بطاقة مساعدة السائقين في الحالات الطارئةAAA[1] في حقيبتها اليومية ولم تنقلها إلى حقيبة السهرة الصغيرة التي تحملها الآن. حتى إنّها تركت هاتفها الخليوي في البيت، ولولا ذلك لتمكّنت من الاتصال بسيلفيا منذ نصف ساعة على الأقل لإعلامها بأنهما سيصلان متأخرين. مسكينة سيلفيا، ستكون في حيرة حول مكانهما وسبب تأخيرهما. وستتساءل بالطبع لماذا تركتها جوسلين لتواجه وحيدة مشهد دانيال مع صديقته. لو عرفت سيلفيا أنها ستجد نفسها في مثل هذا الموقف، لما تركت بيتها وذهبت إلى تلك السهرة قطّ.

«هل هناك محطّة وقود قريبة؟»، سأل غريغ، وهو لا يملك بطاقة AAA في الأصل.

قالت جوسلين: «على بعد أميال».

«يا إلهي، إني آسف»، قال وهو يفكّ حزام الأمان، ثمّ تابع: «هل تنتظرينني هنا لكي أجد هاتفًا؟».

قالت جوسلين: «سوف أكمل الطريق سيرًا على الأقدام، فيما تبحث أنت عن وقود للسيارة». ولم تفكّر في احتمال ألّا يكون قرارها صائبًا. وحتى لو كان كذلك، فهي لن تكترث. كانت فخورة بمستوى هدوئها. لقد انتظرت، وأهينت، وضاق صدرها. كلّ ذلك ولم تخرج عن التصرّف بتهذيب، ولم تفقد برودة أعصابها. من لا يكون فخورًا بمثل هذا الإنجاز؟

(1) American Automotive Assistance. (المترجمة).

سأل غريغ: «كم يبعد المكان من هنا؟».

«مسافة عشرة أو اثني عشر منعطفًا[1]».

ومرّ شخص متشرّد من أمامهما وكان يرتدي قميصًا قطنيَّةً ترمز إلى سباق المشي على الأقدام Bay to Breakers[2]. إنها القميص التقليدي مع صورة السمكة على شكل حذاء على الصدر، تمامًا مثل قميصها، سوى أن قميصه ملطّخة بأشكال من البقع والأوساخ. وكان يربط ذراعه بمنديل ملوّن وكأنه خارج من مأتم عزاء في حديقة بايزلي[3]. نظر الرجل إليهما باهتمام ثمّ نطق بعبارة لم تتمكّن جوسلين من فهمها تحديدًا، ولكنّها سمعت شيئًا يشبه «الخبز الحقيقي[4]».

قال غريغ: «الطقس حار وغير ملائم للمشي كلّ هذه المسافة الطويلة. سأجد هاتفًا وأطلب تاكسي. إنّي حقًّا آسف! أخذت السيارة في الأسبوع الماضي إلى الميكانيكي خصيصًا من أجل إصلاح إشارة الوقود؛ ولكن يبدو أنّه لم يصلّحها».

«لا يهمّني المشي، أريد أن أكون إلى جانب سيلفيا. هذا ما يهمّني حقًّ»..

«الخبز الحقيقي»، صرخ ذلك الشخص من الرصيف المقابل، وبقوّة هذه المرّة.

---

(1) يشير عدد المنعطفات إلى عدد الأحياء السكنية. (المترجمة).

(2) .سباق المشي على الأقدام يحدث سنويًا في سان فرانسيسكو منذ 1912، ويشتهر بأن المتسابقين غالبًا ما يرتدون ملابس غريبة. (المترجمة).

(3) Paisley Park حديقة في الولايات المتحدة يجتمع فيها الناس للتعبير على حزنهم على موت شخص مشهور في عالم الفن أو الرياضة إلخ.(المترجمة).

(4) عبارة معروفة في التراث الديني المسيحي ويراد بها معنى الغذاء الروحي. (المترجمة).

وأضافت جوسلين: «لن أنتظر هنا!».

قال غريغ: «سأذهب معك».

ما هي مسافة عشرة أو اثني عشر منعطفًا بالنسبة إلى رجل ينتعل حذاء مريحًا. انطلق الاثنان وراحا يقطعان الشارع تلو الآخر ولم تكن تلك المنطقة الأفضل في المدينة؛ فكان عليهما أحيانًا السير فوق أوراق الإعلانات المرميّة، أو بين علب المشروبات الغازية الفارغة، أو وسط بقعة من القيء المنفّر. مسحت جوسلين وجهها ومسحت معه سائل الرموش فتلوّثت المنطقة المحيطة بعينيها باللون الأسود. علمت أن شكلها بات غير لائق كليًّا خصوصًا بعدما أحسّت بشعرها يلتصق بوجهها بسبب العرق المتسرّب فوق صدغيها، وبتنورتها تلتصق بساقيها.

ما زال شكل غريغ مقبولًا.. كان قد ترك سترته في السيارة، ولا تربكه كل تلك التفاصيل التي تتغيّر وتتبدّل بفعل تقلّب الظروف، وهذا تحديدًا ما أغاظ جوسلين أكثر من كلّ الأمور الأخرى. غير أنّه أثار أيضًا، وبشكل من الأشكال، إعجابها به.

سألته: «ما رأيك بسيلفيا؟».

«تبدو لطيفة جدًّا، لماذا؟».

«إنها أكثر من لطيفة، إنها ذكيّة ومرحة وكريمة الأخلاق».

«إنها تحبّ دانيال»، قال ذلك، وكأنه فهم قصدها من السؤال؛ ولا شكّ أنّه مصيب.

«لا فائدة في هذا الحبّ»، أجابت.

قال: «انظري يا جوسلين، ليس من حقّك أن تقرّري من تحبّ سيلفيا أو لا تحبّ. يجب أن تتوقّفي عن التدخّل في حياتها؛ دعيها تبحث عن سعادتها بنفسها».

شعرت جوسلين بما يشبه الصدمة، فأجابته على الفور: «هل تدعو ما أفعله تدخّلًا؟». وكان صوتها محمّلًا بالشك والاستنكار الشديد في آن، إضافةً إلى كلّ الغضب المجنون الذي خزّنته نتيجة اضطرارها للسير على الأقدام في مثل هذا الحرّ مسافة خمسة عشر، أو ستة عشر، أو سبعة عشر منعطفًا، وكل ذلك لأن شخصًا نسي أن يملأ خزّان سيارته بالوقود؛ ولأنّها حاولت كل ما في وسعها لتبقى هادئة ومهذّبة لتجد بعد كل ذلك أن هذا الشخص يتوجّه إليها باللوم والإهانة. فقالت: «أنا أريد السعادة لأصدقائي!؟ أتمنى ألّا أتوقّف عن التدخّل أبدًا وخصوصًا عندما يتعلّق الأمر بسيلفيا، وسوف لا أعتذر لأحد قطّ على مثل هذا الأمر».

سألت آليغرا: «هل يزعجك ألّا أذهب معك الليلة؟».

زفرت سيلفيا زفرة عميقة حتى فرغت رئتاها من الهواء. بالطبع سأنزعج. قالتها صامته. إنّها سيلفيا التي لا تتغيّر. وتابعت في صمتها: كيف يمكنك أن تتعاملي معي بمثل هذه الأنانية؟ كيف تفكّرين لحظةً أن تدعيني أذهب لمواجهة والدك بمفردي؟ هل تجهلين، أو تتجاهلين كيف سيكون حالي الليلة؟ (ولماذا اشتريت لك تلك البطاقة بمئة وعشرين دولارًا؟) أرجوك، أرجوك أن تأتي.

رنّ جرس الهاتف قبل أن تتمكّن سيلفيا من أن تجيب على سؤال آليغرا بكلمة. وتوقّعت أن تكون المتّصلة جوسلين التي تريد أن تسأل عن سبب تأخّرهما. ولكن آليغرا نظرت إلى رقم المتّصل، ولم تحرّك السماعة من مكانها. ثمّ استدارت واستلقت على جانبها لكي لا ترى سيلفيا وجهها.

لم تكن سيلفيا قد غيّرت الرسالة المسجّلة بصوت دانيال التي تقول: «*أنتم على اتصال بمنزل عائلة هانتر*» وذلك من منطلق أنّه من الأفضل أن يسمع المتّصل الذي لا يعرفونه صوت رجل. لم تفكّر كيف سينزل

عليها وقع صوت دانيال، ولكنّها لم تتوقّع أنها ستسمعه طالما أنّ الرسالة لا تنطلق سوى عندما تكون هي وآليغرا خارج البيت. وتتابع الرسالة:» *لسنا في البيت، الرجاء ترك رسالة...*».

عندما سمعت اسم «آليغرا؟» عرفت سيلفيا أنّ المتّصلة هي كورين، وصوتها يوحي بأنها حزينة وربّما ثملة. وتابع الصوت: «علينا أن نتكلّم يا آليغرا؛ متى ستكلمينني؟ التقيت صديقنا باكو اليوم وقال لي إني اقترفت خطأين فادحين بحقّك. كان يجب أن أسمع هذا الأمر منك مباشرة. يحقّ لي، وعلى الرغم من كلّ شيء، أن تتاح لي فرصة الدفاع عن نفسي».

توقّعت سيلفيا أن رسالة كورين ستكون حتمًا طويلة، خصوصًا وأن شريط التسجيل بات فارغًا تقريبًا بعد أن قامت بمحو كل ما كان عليه من رسائل سابقة منذ أيّام معدودة. ولكنّها شعرت بعدم لياقة أن تبقى في مكانها لتسمع كل ما ستقوله كورين؛ خصوصًا وأن آليغرا التي غالبًا ما تتكلّم بانفتاح عن الخطوط العريضة في حياتها الجنسية، تؤثر في المقابل إبقاء تفاصيلها في الظلّ.

ربّما تحدّثت آليغرا إلى دانيال حول الأمر. كم تتمنّى سيلفيا لو تسأل دانيال إذا كان على علم بما فعلته كورين. تحتاج سيلفيا إلى مساعدة دانيال لكي تعرف كيف تتعامل مع آليغرا. وتحتاج إلى مساعدة آليغرا لتعرف كيف تتعامل مع دانيال. ولكنها لا تلقَى المساعدة من أيّ منهما.

التقطت سيلفيا كأس آليغرا الفارغة وأخذتها إلى المطبخ. ثمّ وقفت أمام حوض الجلي بانتظار أن تنتهي كورين من رسالتها، ولم تكن سوى بلباسها الداخلي فحسب. كانت تسمع من بعيد صوت كورين منسابًا مثل ساقية مياه، يعلو تارةً وينخفض تارةً أخرى، ولكنّها لا تسمع الكلمات. ثمّ غسلت الكوب الذي بيدها، وجفّفته تمامًا بالطريقة التي تنصح بها جوسلين.

كان استياؤها من آليغرا يتضاعف. لأنه، ومهما كان السبب، ومهما

كانت الأخطاء التي اقترفتها كورين، فإن آليغرا هي التي اتّخذت قرار الرحيل. من غير المقبول أن يهجر الانسان بهذه الطريقة شخصًا أحبّه. ومن غير المقبول أن تجلس آليغرا وتستمع إلى كورين تسكب قلبها الثمل على شريط التسجيل، وكأنها لا تسمع شيئًا قطّ. ألا يجدر بالمحبّين البحث عن السبل المتاحة للبقاء معًا؟

وفكّرت بوجه آليغرا الحزين وبعينيها الحمراوين. وفكّرت بمدى الصعوبة التي تواجهها ابنتها نتيجة الأرق؛ وكيف تستيقظ هي في منتصف الليل أحيانًا، أو عند الساعة الثانية، أو الثالثة، على صوت منبعث من غرفة آليغرا لتكتشف أنها تشاهد فيلمًا مسجّلًا على قرص DVD؛ حتى إنّ هذه الأخيرة تحدّثت مرّةً عن رغبتها في الحصول على فيلم «سيّد الخواتم The Lord of the Rings» مسجّلًا بأسلوب القرصنة، مع أنّها غالبًا ما عبّرت في السابق عن رفضها المطلق لقرصنة الأفلام. ومع أنّها كانت قد انتقدت المخرج بشدّة بعد مشاهدة الفيلم عينه في صالة السينما لأنّه، كما قالت، حوّل شخصية جملي Gimly إلى شخصية هزلية بأسلوب سطحي ورخيص.

وفكّرت سيلفيا كيف يحلم الأهل بحياة مثالية تكاد تكون مستحيلة لأولادهم قصّة سعيدة في بدايتها ووسطها وخاتمتها، وخالية كلّيًا من العقد. أي أبناء وبنات سذّج يمكن تصورّهم نتيجة هذه الحياة؟ ولكن لا خوف على آليغرا من مثل ذلك، فقد عاشت مراحل معقّدة بدرجة كافية، وحان الوقت الآن لكي تكون سعيدة.

كيف تجرؤين؟ قالت سيلفيا بصوت خافت، وكانت تتكلّم في المطبخ إلى آليغرا فيما ما زالت هذه الأخيرة في غرفة النوم. كيف تجرؤين على أذيّة ابنتي إلى هذه الدرجة؟ التقطي سماعة الهاتف حالًا يا آنستي، وامنحي كورين فرصة الاعتذار. دعيها تصلح تلك الأخطاء التي ارتكبتها.

دعي ابنتي آليغرا تفرح الآن. دعيها تفرح الآن.

توقّفت الفرقة الموسيقية عن العزف في استراحة قصيرة. وفي هذه الأثناء اقترب كاتب يدعى «مو بيللينغتون» من الطاولة ليجلس مع برناديت ودين وبرودي. كان الكاتب بيللنغتون كثيف الشعر وذا عنق قصير، ولكنّه يتمتّع بأسنان حسنة. من عادة برناديت أن تلاحظ أسنان الناس. كلّنا نلاحظ أسنان الآخرين ولكن لا نتنبّه عادةً إلى أنّنا نلاحظها. كان والد برناديت يهتمّ بصحّة أسنان ابنته ويعالجها بنفسه، ولذلك، ومع أنّها تخطّت العقد السادس منذ سنوات، ما زالت أسنانها في حال جيّدة.

وبحسب ما تقوله البطاقات التعريفية والترويجيّة التي وضعت على الطاولة، فإن معظم ما يكتبه بيللينغتون يقع في إطار سلسلة من الروايات البوليسية التي تدور في بلدة تدعى «محطّ الخيّال». والمفتّش في هذه القصص مزارع يعمل في زراعة الشمندر، يكتشف في كلّ مرّة يقوم فيها بحراثة أرضه بقايا عظام بشرية تبدو وكأنّها دفنت بظروف غامضة؛ فيطرح علامات الشكّ والاستفهام. وعلى الطاولة أيضًا بطاقات طُبعت عليها صورة غلاف الرواية الأخيرة التي نشرها الكاتب وعنوانها «*آخر حصاد*». لم يكن العنوان بالنسبة إلى برناديت جديدًا ولا الغلاف فقد رُسم الحرفان الأخيران من الكلمتين اللتين تؤلّفان العنوان بشكل خنجرين يقطران دمًا فوق تراب الحقل. ومع أنها لم ترَ شيئًا جديدًا بالفعل في إخراج الغلاف، لم تتجاهل أنّ الإنجاز الفني معبّر وناجح.

«أقدّر أنّكم المجموعة التي خصّصت لي»، قال الكاتب فيما نظر إلى المقاعد الخالية بخيبة أمل ظاهرة. ثمّ انطلقت ضحكات عالية من طاولة غير بعيدة، وطقطقة بالشوكة على كأس النبيذ من طاولة أخرى لتعلن شرب نخب أحدهم، أو نخب المناسبة. وكان واضحًا بالفعل أن الناس الجالسين إلى الطاولات الأخرى كانوا أكثر عددًا وأكثر حيويّة.

قالت برناديت لكي تطمئنه: «ننتظر رفاقًا لنا، وسيصلون قريبًا. لا أعلم لماذا تأخروا. مع أن جوسلين أكثر الناس الذين عرفتهم في حياتي التزامًا بالمواعيد. سيلفيا ليست كذلك في معظم الأحيان؛ أمّا آليغرا، فلا تسأل!».

لم يجب السيّد بيللينغتون، ولم يبدِ اطمئنانه، ولا استمتاعه بما سمع. إنه شاب في مقتبل العمر، وصغر سنّه لا يعطيه التجربة الحياتية الضرورية لكتابة الروايات. لا ريب أنّه لم يرسم شخصية ذلك المفتّش المزارع في كتبه بالعمق المطلوب.

سار الكاتب حول الطاولة وجلس إلى جانب دين مع أن اختياره لهذا المقعد جعله يدير ظهره إلى معظم ما يدور في الغرفة. تعجّبت برناديت لأمره؛ ألا يسعى الكاتب عادة إلى مراقبة كل ما يجري حوله من الأمور؟ فيما لو اختار المقعد الشاغر إلى جانبها، لجلس مديرًا ظهره إلى عمود ضخم، ووجهه إلى الفرقة الموسيقية وإلى المنبر وإلى باحة الرقص. كان بوسع برناديت أن ترى من مكانها ثلاث طاولات بشكل كامل. ولكنّ برناديت نفسها في الواقع لم تعد مرئيّة؛ وخصوصًا بالنسبة إلى الشبّان. هذه حالها التي تعوّدت عليها منذ أصبحت في العقد الخامس. ولكنّ كلامها في المقابل بات مسموعًا أكثر.

ولما لم يعلّق أحد على ما قالته، أضافت: «تذكّرني هذه المناسبة بزوجي الأوّل، كان جون سياسيًّا، وكان يوجّه لي بعض التعليمات في الحفلات الخيرية. كأن يقول مثلًا: مشّطي شعرك يا عزيزتي، واغسلي وجهك؛ وإن حاول أحدهم التحدّث إليك ابدئي بقول عبارات مثل:

أوّلًا: «يا لها من حفلة ممتعة!».

ثانيًا: «ألا ترى معي أن الطعام لذيذ جدًّا؟».

ثالثًا: «كم هي جميلة هذه الأزهار!».

رابعًا: «ألا ترى معي أن زوجي هو الأشدّ ملاءمة لهذا المنصب؟ لنلتزم جميعًا بالصمت الآن وننصت لما سيقوله! ومن جهتي أبتسم كالبلهاء عندما يتكلّم».

وعلى الرّغم من غياب الموسيقى الموقّت، كان ضجيج القاعة واتساع الطاولة كافيين ليكون تبادل الحديث عبرها صعبًا. ولاحظت برناديت أن السيد بيللينغتون كان أبعد ما يكون عن المحاولة. ولكنه تكلّم إلى دين قائلًا: «إن كانت لديك أسئلة بشأن كتبي، يمكنك طرحها. أنا هنا لأجيب عليها. يمكنك أن تطرح أي سؤال حول مضمون الكتاب مثلًا، أو حول أسلوبي في الكتابة والتحضير، ومن أين أستقي أفكاري. قد تطرح كلمة 'آخِر' في العنوان تساؤلًا لدى القارئ مثلًا، حول ما إذا كانت تعني 'الأخير'، أو الأكثر حداثةً. إنها في الواقع لعبة كلامية. يمكنك أن تسألني أي شيء».

كان يتحدّث بعجرفة وبقصد الإيحاء بأنّه شخصية مهمّة. أما الدقائق القليلة منذ حضوره، فكانت كافية بالنسبة إلى برناديت لتقليص اهتمامها به. وصل الطبق الأوّل في قائمة العشاء، وهو عبارة عن صحن من حساء الفطر اللذيذ المنكّه ربّما بقليل من نبيذ الكرز الحلو.

«حساء لذيذ، جيّد جدًّا!»، قال السيد بيللينغتون موجّهًا كلامه إلى برناديت، التي ما لبثت أن تساءلت عن معنى ذلك، وهل يظنّ أنّها هي التي أعدّت الحساء!؟

فسألته: «هل تحبّ جين أوستن؟».

هناك إجابة واحدة محتملة على هذا السؤال. تعتقد برناديت بأنه لا بدّ لأي رجل يمارس مهنة الكتابة أن يعطي الإجابة الصحيحة. وتكلّمت بصوت مرتفع لتتفادى احتمال ألّا يسمعها، وأعادت طرح السؤال بشكل آخر لعلّه لم يسمع: «ما رأيك بجين أوستن، سيّد بيللينغتون؟».

«أحسدها على ما لديها من سبل تسويقية، خصوصًا الأفلام». ثم أضاف: «يمكنك أن تخاطبيني باسمي الأول 'مو'».

«أي كتاب من كتبها هو الأحبّ إليك؟»، سألته برودي متظاهرةً بالابتسام لتخفي عدم رضاها؛ تلك الطريقة في الابتسام التي تخفي شفتيها.

«أحببت الفيلم الذي مثّلته إليزابيت تايلور».

لاحظت برناديت ارتجاف كأس الفودكا مع عصير البندورة بين أصابع برودي التي تابعت بسخرية خبيثة: «هل تقول إن أكثر ما تحبّه من بين كتب جين أوستن هو *National Velvet*[1] (المخمل الوطني)؟».

فكّرت برناديت أن تتدخّل لتضع حدًّا لتصرّف برودي. ولكنّها انتظرت قليلًا ريثما تستمتع بمشهد برودي المحاربة. فمنذ بضع دقائق فحسب، كان الحزن على وفاة والدتها وحده سيّد الموقف على وجهها الذي كان أشبه بالوجوه النسائية المعذّبة التي رسمها بيكاسو بشغف. كانت برودي قد تحوّلت للتوّ إلى امرأة مخيفة وخطرة. قد نرى بيكاسو يعتذر الآن، ويهرب من أمامها بحجّة أنه ملتزم بموعدٍ سابق ضروري.

سعل دين سعالًا إنقاذيًّا مقصودًا، ولفظ أمام الكاتب كلمة «Persuation» مذكّرًا إيّاه بأحد عناوين أوستن، لعلّه يحسّن موقفه.

عندئذٍ فضّل مو التراجع، فقال: «في الواقع، لم أقرأ أيّ كتاب لأوستن. إنّي أفضّل القصص البوليسية، وقصص الجرائم والمحاكمات».

كان اعترافه مخيّبًا للأمل ولكنّه غير حقير. فقد خسر من ناحية، وسجّل موقفًا شجاعًا من ناحية أخرى. إنما ليته توقّف عند هذا الحدّ

---

(1) Enid bagnold قصة من تأليف الكاتبة تحوّلت إلى فيلم سينما لأوّل مرّة عام 1944. (المترجمة).

قبل أن يستطرد قائلًا: «لا أرغب في قراءة ما تكتبه النساء. وأتطلّع دائمًا إلى الحبكة الجيّدة والقويّة».

شربت برودي كل ما في كأسها دفعةً واحدة ووضعت الكأس من يدها فأحدث اصطدامها بالطاولة ضجّةً مسموعة. وقالت: «تجيد أوستن الحبكة أكثر مما يحلم به معظم الرجال التافهين». ثم توجّهت إلى برناديت وقالت: «كنت تتكلّمين عن زوجك الأول...».

«يمكنني أن أبدأ الآن الكلام عن زوجي الثاني، أو حتى على الزوج الذي جاء بعده»، عرضت برناديت.

شكى معلّم الرقص ويلسون من بعض الأشكال والخطوات في الرقص، مثل أن يتقدّم الراقص نحو منتصف باحة الرقص ويعود بخط مستقيم إلى نقطة البداية، أو أن يذهب إلى آخرها ويعود أدراجه بالطريقة عينها، ويقول إن مثل هذه الخطوات تتحرّك وفق زوايا واضحة وهي غير ممتعة للنظر. *«الخطوط المستقيمة مفيدة ولكنّها غير أنيقة؛ وعندما تطبّق على حركة جسم الانسان، فإنها تترك انطباعًا غير جمالي البتّة»*.

قالت لها برودي: «ابدئي بقصّة السياسي، وبعد ذلك نستمع إلى قصص الذين أتوا بعده. لدينا ملء الوقت هذه الليلة».

تعشق برناديت أن يُطلب منها أن تروي قصّة. ولذلك استعدّت لتخبر قصّة طويلة تلبيةً لطلب برودي «الذي لا يردّ». وبدأت بالقول: «اسمه جون أندرتي وعاش طفولته في منطقة آثرتون. يترك جون لدى من يلتقيه لأوّل مرّة انطباعًا ممتازًا بفضل جاذبيته الفورية. وبعد أن تكوني الأكثر تألّقًا بنظره، ينشغل عنكِ فجأة بمطلق شخصٍ آخر يجذب انتباهه».

نظرت في الوجوه ثم تابعت: «تعرّفت إليه في منطقة كلير لايك Clear Lake عندما كنا نؤدّي عرضًا راقصًا بمناسبة عيد الاستقلال. وكان ذلك العيد الأخير لي مع فرقة قرون الحرّ الصغيرة، التي تغيّر اسمها منذ

كبرنا ليصبح 'قرون الحرّ الحمر'. كنت في ذلك الوقت الأقصر قامةً بين الراقصات الخمس، أو الدرجة الخامسة، مع أنّي كنت في التاسعة عشرة.

كانت عائلتي قد خطّطت لقضاء عطلة ثلاثة أسابيع في جزر هاواي، فانتظرت بحماسة حلول الموعد. ولكن أبي وجد نفسه غير قادر على إغلاق عيادته طيلة تلك المدّة، فتحوّلت وجهة رحلتنا فجأةً من المحيط إلى بحيرة كلير لايك، ومن استئجار شقة في هاواي إلى استئجار بيت متحرّك. أما نشاط فرقة الرقص فتضاعف في تلك الآونة وتوالت العروض، ولبسنا أثوابًا منقطة اختارتها لنا مدام دوبوا من وحي هوسها في تلك السنة بموضة الفلامنغو.

أختار والدي الذهاب معنا إلى منطقة البحيرة طمعًا بممارسة هوايته المحبّبة وهي صيد الأسماك. وكانت مياه البحيرة ملوّثة بالزئبق نتيجة قربها من المناجم القديمة، ولكننا لم نهتمّ لهذا الأمر في تلك الأيام. أما اليوم فيقولون، وبعد سنوات من أعمال التنظيف التي قاموا بها، إنه يجب على الانسان ألّا يأكل أكثر من سمكة واحدة في الشهر من تلك البحيرة. لم أكن أحبّ أكل الأسماك، وأتذمّر أمام كل طبق منها، إلّا أن أمي كانت تصرّ على تقديمها لنا، وتقول إنها طعام الدماغ، فقد كان ذلك الاعتقاد سائدًا في تلك الأيام. أما اليوم فنقرأ التحذيرات الغذائية التي تلصق على علب التونا. ولا بأس، بحسب ما يُقال الآن، بأكل البيض لاحتوائه على المواد الدهنية الحسنة وغير الحسنة معًا.

قمت مرّة بقضم طرف ميزان الحرارة بأسناني لأرى ما إذا كنت أستطيع فعل ذلك. واكتشفت أنها عملية جدّ سهلة. بصقت الزئبق من فمي على الفور ولكن أمي أصرّت على إعطائي الدواء المضادّ له. وعادت بعدئذٍ لتقنعني بتناول السمك مجدّدًا.

كنت أمارس السباحة دائمًا، وكان ذلك ربّما النشاط الأفضل بالنسبة

إليّ. إلا أني تعلّمت التزلّج على المياه ذات يوم، وفيما كنت أتزلّج في البحيرة، مرّ جون في محاذاتي بقاربه وتسبّب في اختلال توازني فوقعت. وإذا به يعود إليّ ليعتذر ويحملني بقاربه إلى الشاطئ بعد أن صرخ إلى والدي لينذره بالأمر. وراح يقول بعد ذلك بأنه قذفني إلى اليابسة كأني سمكة. 'إنك أصغر شيء استخرجته من الماء في حياتي، كان يجب أن أقذف بك ثانية إلى الماء'، كان يقول لي.

كان سياسيًا بارعًا، على الأقلّ في عمليّة تسويق نفسه في الانتخابات. كان يحفظ أسماء الناس، وكذلك أسماء أزواجهم وأولادهم، إضافة إلى أنه ألّف قصّة شخصيّة مناسبة لكي يردّدها في كل مناسبة على مسامع الناخبين».

نظرت برناديت إلى مو وهزّت رأسها بتهذيب، وقالت: «يجهل الناس في كثير من الأحيان أهميّة هذا الأمر في الانتخابات. يحبّ الناخبون سماع قصة جيّدة حول حياة المرشّح. قصّة بسيطة».

كان جون تقليديًا في قصته. ويمكن القول إنها من النمط العادي جدًا والمعروف إنه من عائلة فقيرة جدًّا، قضى شبابه في محاربة الصعوبات وفي التغلّب بشجاعة على خيبات الأمل لم يهمل مرّةً ترديد هذه الحكاية في خطاباته بأساليب مباشرة أو غير مباشرة؛ ثمّ يتطرّق إلى قسمه أمام الله بألا يسمح لنفسه بأن يجوع ثانيةً. يا لها من شجاعة!

ولم ينسَ أيضًا الإشارة ولو بشكل مبطّن، وهنا تكمن الحيلة الذكيّة، إلى أنّه تعرّض أيضًا للخيانة، ولكنّ شهامته تمنعه من الغوص في الاتهامات والتفاصيل، وتمنعه من الكراهية والحقد.

وهكذا لا تتمكّن سوى أن تعجَب به لكرم أخلاقه وشجاعته. ولكنّه في الحقيقة كان أشدّ الناس غضبًا وحقدًا. كانت لديه قائمة بكلّ الإهانات التي تلقّاها في حياته. أعني قائمة فعلية، وبعضها عمره عشرون سنة. كان

لدى جون رفيق في المدرسة يدعى بن واينبرغ. وكان والد جون موظّفًا عند والد بن. وكان لدى بن كل ما حلم به جون؛ الذكاء، والأصدقاء، واللياقة البدنية، وثروة عائلية ضخمة. كان جون يتعب ويشقى لكي يفوز بجزء يسير مما كان يُعطى إلى جون بسهولة. وهكذا، وبحسب قول جون، كان هو مثل أوليفر تويست[1]، فيما كان بن مثل اللورد فاونتليروي الصغير.

عندما كان جون في السادسة عشرة، أطلق عليه بن اسم «المتسلّق الصغير»، وهنا، وبعد مرور عشرين سنة، كانت تلك الحادثة لا تزال قائمة ومدوّنة لديه على القائمة وكانت الثالثة بحسب ترتيبها. أما الأولى والثانية فكانت تحت اسم والدته.

«لا تحتاج لأن تتسلّق عندما تولد في القمّة»، قال جون يومًا وكنّا قد تزوّجنا، وكانت الحقيقة قد بدأت تنجلي أمامي. كنت أصدّق كل ما يقوله جون، إلى أن اطلعت على تلك القائمة. ولم أكن في تلك الأيام خبيرة في فهم الشخصيات.

غير أنّي فهمت شيئًا واحدًا أو اثنين نتيجة تجربتي مع جون، وهو إن من يتمتّع بالمصداقية الحقّة لا يحتاج ليقنعك بمصداقيته. وإن أصحاب المصداقية لا يلاحظون وجودها في شخصهم. عندما تقع على من يركّز في المعركة الانتخابية على الأخلاق والنزاهة والاستقامة، وجب عليك طرح الأسئلة حول ما يخبئه ذلك الشخص تحت تلك العناوين.

ولكن وكما يقولون: «ترى الأمور على حقيقتها بعد فوات الأوان».

وأكّدت برودي بالفرنسية ما معناه: «كل الناس يصبحون حكماء بعد انتهاء الحدث».

---

(1) بطل القصّة التي تحمل اسمه من تأليف تشارلز ديكنز. نشرت لأول مرّة في أجزاء ما بين 1837 – 1839. (المترجمة).

«نعم يا عزيزتي!»، أجابت برناديت.

بعد زواج لويد وماتي، قالت مدام دوبوا إنه لا يمكننا مواعدة الشباب بعد الآن خوفًا على سمعة الفرقة، ولأننا آنسات محترمات. غير أني خالفت أوامرها وكنت أخرج مع جون خفية عنها. حتى انتهى بي الأمر ذات يوم إلى خلع حذاء الرقص نهائيًا، والهروب مع جون إلى لاس فيغاس من أجل الزواج به في كاتدرائية ويكركو ذي هيذرWee Kirko the Heather. تعرّفت هناك إلى امرأة طيّبة جدًّا تدعى سينتيا توظّفت في الكاتدرائية بعد أن تركت وظيفتها في شركة وول ورث للأقمشة، وكانت تتحسّر على ما كانت تحظى به مجّانًا من بقايا الأقمشة في تلك الشركة؛ أليس مضحكًا أن أتذكر مثل هذه التفاصيل؟ وكان لدى الكاتدرائية مجموعة من أثواب الزفاف الجاهزة التي يمكن استعارتها، ولكن لم أعثر على ثوب يناسبني بينها نظرًا لنحافتي الشديدة آنذاك.

عندئذ أسرعت سنتيا وصغّرت مقاس أحد الأثواب حتى أصبح ملائمًا لمقاسي، وصفّفت شعري ووضعت الزينة على وجهي، وفيما كنا ننتظر دورنا أشعلت لي سيجارة. لم أعرف طعم الدخان في حياتي سوى تلك المرّة، فقد تجاوبت معها من منطلق أن المناسبة ربّما تستدعي ذلك. ولفتت سينتيا نظري إلى أني سأصبح بعد قليل السيدة نيتّي أندرتّي. لم أكن قد فكّرت في ذلك من قبل، فقد تعوّدت أن أسمع الكلّ يدعوني «نيتّي». ولكني، ومنذ ذلك اليوم، قرّرت استخدام اسمي الحقيقي 'برناديت'.

وفيما كانت سينتيا تصفّف شعري، أخبرتني قصّة غريبة أصيبت عائلتها باللّعنة لأن جدّها كان قد دهس هرّة نقيّة البياض بسيارته. قال جدّها إن قتل الهرّة كان حادثًا لم يستطع منع حدوثه، غير أن الحقيقة قد تكون مختلفة. وذلك لأن كل من مات بعد ذلك من أفراد العائلة رأى هرّة بيضاء قبل مماته. كان عمّها في السادسة والعشرين عندما شاهد

هرّة بيضاء من نافذة غرفة نومه. مرّت الهرّة بسرعة عبر الحديقة الخلفية، وسرقت فردة من جواربه المعلّقة على حبل الغسيل، وهربت. عندما ذهب في تلك الليلة ليسهر في أحد الملاهي، حدث إشكال مسلّح في الملهى فجأةً، وقُتل برصاص مسدّس أحد الناس الذي ظنّ أنه شخص آخر. ولم تتمكّن العائلة بعد ذلك من العثور على فردة الجوارب تلك.

كانت سينتيا لا تزال في منتصف الحكاية؛ وكانت قد أخبرتني أن أمها التي لا تصدّق مثل هذه الأمور اشترت لنفسها هرّة بياضها صافٍ. كنت قد لاحظت عبر تعابير وجه سينتيا أن أمرًا غريبًا حدث بعد ذلك، ولكني لم أتمكّن من متابعة بقيّة الحكاية، إذ سمعت صوتًا ينادي اسمي واسم جون للمثول أمام القاضي من أجل إكمال مراسم الزواج. لم أكن سعيدة عندما تلفّظت بقسَم الزواج، لأن اهتمامي كان معلّقًا بتلك القصة التي لم أتمكّن من الاستماع إلى نهايتها.

في السنة التي سبقت معرفتي بجون، رجتني ماتي أن أذهب لزيارتها. كانت قد تزوّجت، وتعيش مع زوجها لويد المتديّن حديثًا والذي انتمى إلى مجموعة دينيّة في ريف كولورادو. استأثر الغضب بأمي عندما علمت بتحوّل لويد إلى التديّن؛ فقد كان بوسعي، بحسب ما قالت، ومن غير جهد يذكر، أن أنعم أنا بالزواج منه، خصوصًا وأنّه حاول استمالتي قبل أن يلتفت إلى ماتي. ولكنها بالفعل ساذجة ورجعية لأنها لم تكن تعي أن هؤلاء الذين يتديّنون إلى حدّ التطرّف لا يستحقّون الاحترام. تحمّست والدتي وشدّت حقائبي وأرسلتني لكي أقضي، بحسب اعتقادها، أربعة أسابيع في دراسة الكتاب المقدّس.

على رأس المجموعة كان القسّ المدعو «واتسون» والذي شعرت منذ رأيته بأنه مصاب بجنون العظمة. ولكن لويد كان يعتبره عطوفًا وراعيًا لحاجات المجموعة. تذكّرت حينها أن لويد تعوّد على أن يقال له ماذا يفعل.

لا أعتقد بأن القس واتسون كان قد حصل على أي تربية دينية متقدّمة. كان يستوحي من توجّهات حركة The Latter Rain[1]، ولكنّه لا يتوانى عن إجراء أيّ تغيير، أو عن إضافة أيّ أفكار تناسبه. كان يبشّر بأن الشرك الذي تنصبه الاعتقادات الغامضة مثل علم الأبراج وعلم الأعداد هي علوم سرقها الشيطان من الله، وتقع عليه هو مسؤولية تصحيح مسارها وإعادتها إلى غاياتها المقدّسة. وكان لديه رأي أيضًا حول المخلوقات الغريبة عن كوكب الأرض، ولكنّي نسيت فحواه على نحو واضح. هل هي مخلوقات قادمة لتسيطر علينا، أو أنها كانت معنا وغادرتنا؛ أو ربما شيء من الاثنين!

وفي أثناء زيارتي، كان أفراد المجموعة كلّهم يقرأون، بناء على تعليمات واتسون، كتابًا عنوانه *Atomic Power with God, through Fasting and Prayer*, (القوة الذرية مع الله عبر الصلاة والصوم) الذي يقول بأنّك لو تعلّمت كيف تسيطر على قابليتك في تناول الطعام، ستتمكّن من حيازة قوّى خارقة للطبيعة، وسوف تتحرّر من الجاذبية الأرضية، وستصبح خالدًا أو غير قابل للموت. وهكذا نصحنا القس واتسون بالصيام، والامتناع عن ممارسة الجنس. كانت مسألة الصيام غير جديدة لأن كل ما كانوا يقدّمونه من طعام اقتصر على طبق البطاطا الرخيص المعدّ بالطريقة الإيرلندية. أما الامتناع عن الجنس فلم يغيّر في حياتي شيئًا، ولكنّه أزعج ماتي. لا أحد في المجموعة كان يتلقّى معاشًا شهريًّا من أي مصدر كان. فالمسؤولية في تأمين ما يحتاجون إليه تقع على الله وحده. وعندما أردت الاتصال بأهلي لكي يأتوا لنجدتي، ولأعود معهم إلى بيتنا، اكتشفت أن خطوط التلفون كانت كلّها متوقّفة.

---

(1) حركة دينيّة ظهرت في الولايات المتحدة وكندا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بهدف اكتشاف أعماق جديدة في الإيمان المسيحي وبشّرت بتكثيف الصوم والصلاة وصولًا إلى هذه الغاية. (المترجمة).

ومنذ لحظة سماعه بأن الخلود غير مستحيل، أصبح الخلود هاجس لويد الأكبر. وفي كل يوم لم يشعر فيه بأنّه يطير إلى السماء، كان يقع في لجّة عميقة من خيبة الأمل. ولم تكن الخيبة لتصيب لويد وحده، بل تصيب القس واتسون أيضًا. غير أن خيبة أمل القس كانت أصعب على لويد من خيبة أمله هو شخصيًا.

حاول الجميع وحتى ماتي دفعي إلى الدخول في المجموعة، ولم أعتب على ماتي بسبب ذلك لأنها كانت تحتاج لمن يقف إلى جانبها ويمدّ لها يد النجدة. وذات يوم، طلب مني لويد أن أشاركه في البحث عن بعض الأجوبة على لوح ويجا[1](Ouija Board). وكان يائسًا جدًا لأنه لم يتمكّن من الطيران ولم تتكلّم إليه الأرواح بعد، مع أنها لم تتأخّر قطّ في بعث رسائلها إلى بقيّة أفراد المجموعة. تأثرت لتعاسته وسئمت من كل ما كان يجري حولي بشكل عام. كان أبي ماسونيًا، وكنت أحمل في إحدى السنوات لقب 'ملكة بنات أيّوب'، وكنّا نذهب إلى الكنيسة وكنت أشترك في أداء الأناشيد الدينية، ولكني لم أخسر عقلي بسبب ذلك.

ومن أجل كل ذلك، دفعت بالمؤشر على لوح ويجا لكي يقول عبارة: «أترك واتسون». قفز لويد بسرعة ما إن قرأ العبارة، وانقلبت كرسيّه أرضًا، وراح يعدو حتى وصل إلى مكان وجود واتسون، وقال له إن الشيطان تسلّل بيننا، فجاء واتسون في الحال لكي يطرده. ومن أجل طرد الشيطان كان علينا القيام بكثير من الأفعال، فشعرت بالمتعة وخفّ لديّ الشعور بالضجر. ولكن ما لبثت عينا القس واتسون أن وقعت عليّ وصوّبت نظرات الشكّ في اتجاهي.

كانت المجموعة تضمّ أربع نساء فحسب، ولكنّ الأقوال المسيئة

(1) لوح مزوّد بأحرف وأعداد يستخدم للتسلية وتوقّع كشف المجهول. (المترجمة).

بشأن حواء تضاعفت. قال القس واتسون إن ما فعلته حواء تجاوز أنها تكلّمت إلى الحيّة؛ فقد ذهبت إلى أبعد من الكلام، وإلى إقامة علاقة جنسية معها. ولذلك فإن المؤمنين الحقيقيين هم من أولاد آدم وحواء؛ أما غير المؤمنين، ونظر إليّ، فهم أولاد حواء والحيّة. وبما أن خطيئة آدم الكبرى نتجت عن إصغائه إلى كلام حواء، فقد أمر واتسون بمنع النساء من الكلام. كل شرّ العالم بدأ، بحسب واتسون، بسبب الاصغاء إلى صوت المرأة.

خافت ماتي مخالفة أوامر القس واتسون. وهكذا فرض عليّ أنا ضيفتها لأربعة أسابيع التزام الصمت التامّ. ولم يكن بإمكاني الكلام سوى عندما أكون بمفردي، وهذا بالطبع يلغي الهدف من الكلام قطعًا. توقّف الحظر عن الكلام بعد أن عاد القسّ واتسون من مؤتمر حضره في مدينة بوسطن. فقد عاد وفي جعبته خطّة جديدة تساعد في عمليّة التخلّي والتعالي عن المحيط الأرضي والمادي. وتعتمد الخطّة على استخدام أدوية تسبّب الهلوسة واختلال الوعي. وهكذا تطعّمت طرائق القس الدينية بمادّة LSD (ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك) المخدّرة.

عاش لويد تحت تأثير المخدّر في حالة من الهلوسة طيلة أيّام. واطمأن أخيرًا إلى قدرته على الرؤيا. وأحسّ بأنه قادر على الطيران ولكنّه رفض أن يطير؛ وطفق يقول: «ما الفائدة من ذلك؟». لقد احتفظت بالمتعة لنفسي، وشعرت بسعادة عارمة. كل شيء حولي كان يرقص: أواني المطبخ، السور، الماعز. كنت أنظر إلى كل شيء من موقعٍ عالٍ في الفضاء، وكأنّ الحياة على الأرض كلّها تحوّلت أمامي إلى عَرض مسرحي كبير يقدّمه بُزبي بيركلي Busby Berkley[1]».

كان فصل الشتاء وكنّا في تلك المزرعة في عزلة تامّة عن العالم

(1) منتج سينمائي ومسرحي أميركي ومصمّم رقصات يعتمد الأشكال الهندسية.

الخارجي، ومئات من الغربان كانت تجتمع يوميًا فوق الأشجار بالقرب من المطبخ، حتى تخال الأغصان وكأنها أنبتت غربانًا عوضًا عن الورق. وعندما خرجت مرّة رأيتها تطير وترسم في الهواء كلمات سودًا، وتنعب وكأنها تكلّمني وتقول لي: »ارحلي عن هذا المكان، ارحلي، ارحلي!».

نظرت برناديت إلى مو وقالت: «أحبّ الغربان، وأرجو منك أن تدخل كثيرًا منها إلى كتبك. إنها بلا شكّ تحوم فوق حقول الشمندر، وخصوصًا عندما يتمّ استخراج الجثث من تحت التراب. يمكنك استخدام الغراب كمفتاح لكشف الجرائم. عندما أذهب إلى مزيّن الشعر لأقصّ شعري في مركز الجامعة التجاري، أرى مجموعة منها تعشّش في زوايا موقف السيارات هناك».

«إني أفعل ذلك بطريقة أو بأخرى، ولكني أستخدم العقعق». قال مو، وتابع: «طائر العقعق يمثّل وادي كاليفورنيا بالنسبة إليّ. قال أحد القرّاء إن العقعق يمثل الحافز المحرّك في كتبي. أستخدم هذا الطائر كنذير في المقدّمة، وكمحرّك لتطوّر الحوادث. يمكنني أن أفسّر كيف أفعل ذلك». ولكنّ برودي قاطعته بحزم قائلة: «لكنّنا لسنا في صدد الكلام على العقعق». ثم طلبت من برناديت إكمال حكايتها.

«حسنًا»، تابعت برناديت، «وشعرت بأنّه كان عليَّ القيام بما طلبته الغربان مني؛ ولذلك انطلقت في الحال ومن غير أن أغيّر ثيابي، ومشيت إلى خارج المزرعة التي تبعد أميالًا وأميالًا عن أقرب طريق للسيارات. وقبل أن أقطع نصف تلك المسافة، انهمر المطر بغزارة شديدة وكاد يحجب عنّي الرؤية.

غطّى الوحل الكثيف قدميّ وعلق بحذائي، فشعرت بثقلهما، وتصوّرت أني أنتعل حذاءً فوق حذائي. كان بعض الوحل يتساقط عن حذائي تارةً، وتارة أخرى يعود المزيد منه إلى الالتصاق به من جديد؛

ولكني لم أتوقّف عن السير الحثيث. شعرت بأن الطريق تطول وكأني كنت سأستمر في السير إلى الأبد. لم أذهب بالطبع في خطّ مستقيم كما يفعل الغراب أحيانًا في طيرانه.

وصلت أخيرًا إلى الطريق الرئيسي فهدأ روعي، وأشرت بإبهامي إلى سيارة مارّة فتوقّفت وصعدت إليها. كان السائق رجلًا في مثل سنّ والدي ويدعى تيبالد باركر. أذهله مظهري وما لبث أن تحدّث إليّ موبّخًا ومحذّرًا من خطورة صعود الفتيات في سيارة مجهولة بتلك الطريقة، وأعطاني منديله لكي أمسح وجهي.

أخبرته كل شيء؛ ليس بشأن ماتي ولويد والقسّ واتسون فحسب، بل كل ما خطر في بالي؛ أخبرته عن فرقة «قرون الحرّ»، وعن عيادة والدي، وكنت مبتهجة بحرية الكلام من غير رقيب، وشعرت بارتياح شديد.

أخذني إلى فندق حيث أستطيع الاستحمام والنوم، واشترى لي وجبة لا تحتوي على البطاطا، وساعدني لكي أتصل تلفونيًا بوالديّ ليرسلا لي نقودًا لأعود في الباص إلى البيت. شعرت آنذاك، ولأوّل مرّة منذ ذهابي لزيارة ماتي بوجود الله في حياتي.

كنت أتلقّى رسالة معايدة بعيد الميلاد من السيد باركر سنويًا طيلة عشرين سنة، حتى مماته. وكل تلك الرسائل تتحدّث عن أشخاص لا أعرفهم يتخرّجون من الجامعة، ويتزوّجون، ويلدون أطفالًا، ويذهبون في رحلات بحرية. أتذكّر أن أحد أحفاده حصل على منحة ليكمل علومه ويتدرّب على لعبة البايسبول في جامعة لوس أنجلوس - كاليفورنيا.

فيما كنت أتعرّف إلى شخصية جون الحقيقية وحياته عبر قائمة الضغائن التي كان يحتفظ بها، كان هو أيضًا يتعرّف إليّ. كلامي على تلك المعتقدات الغريبة، وعلى المخدّرات وعلى الغربان، جعل جون يغضب ويأمرني بعدم التلفّظ بهذا أمام الناس لأنّه مسيء جدًّا لحملته

الانتخابية. وكنت ألتزم الصمت على مضض. فرح جون كثيرًا عندما حملت بطفلي الأول لكون الحمل عنصرًا داعمًا لكسب أصوات الناخبين. كنت أبتسم وأبتسم، وأبتسم، وإنّما أتمنّى له الخسارة في سرّي لكي يتسنّى لي الكلام بحرية من جديد.

وفي ذات يوم، كان يستعدّ للذهاب إلى حلقة من النقاش الانتخابي بين المرشحين الخمسة بحضور وسائل الإعلام. صوّبت وضع ربطة عنقه، فسألني: «كيف أبدو؟». وأجبت بأنه يبدو في غاية الأناقة والوسامة. غير أن أمرًا حدث ولم يكن قطّ في الحسبان، وهو أن قطعة من ملابسي الداخلية كانت قد علقت بسترته. كانت ضخمة لأني كنت حاملًا، ولكنّها نظيفة على الأقلّ!

لم أعلم كيف وصلت تلك القطعة إلى سترته، وفكّرت في احتمال أنها «تمغنطت أو تكهربت» نتيجة وجودها في النشافة. ولكنّه اتّهمني بأني وضعتها عمدًا على سترته عندما احتضنته لأقبّله؛ وكأنّي كنت أرغب حقًّا بأن يرى الناخبون، والصحافيّون، وكل الناس ملابسي الداخلية. وإذا باسمي يدوّن ثانية على قائمته مع الشرح الذي يقول: «برناديت تقضي على مستقبلي!». وكنت قد أصبحت آنذاك في المرتبة الأولى من حيث عدد الأسطر التي احتلّها على تلك القائمة.

وكأنه كان يحتاجني للقضاء على مستقبله. لقد تبيّن بعد فترةٍ وجيزة أن ماضي جون لم يكن مشرّفًا. فهناك أمور كثيرة حوله تتناقض مع الصورة النقيّة التي كانت تسطع في خطاباته. ديون متراكمة نتيجة ألعاب الميسر، وعدة توقيفات في مراكز البوليس، ومخالفات للقوانين، وتعدّيات على حقوق الناس.

هرب جون مع أختي الصغرى وكان لا يزال متزوّجًا منّي. وكان على والدي أن يبحث عنهما في كل مكان لكي يعيد أختي إلى البيت.

وبسبب اهتمام الإعلام بفضائح السياسيين، احتلّت أخبارنا الصحف ولم يبقَ منها ما يمكن إخفاؤه، لا قصص الممارسات الدينية الغريبة، ولا المخدّرات، وطال الأذى سمعة عائلتي أيضًا. وحدث أن قالت لي إحدى الراقصات في فرقة «قرون الحرّ» إن هناك مكانًا شاغرًا، فتوجّهت للتوّ لأطلب من مدام دوبوا أن تعيدني إلى الفرقة، ولكنها رفضت بقوّة لأني أصبحت أمًّا ولأن سمعتي تجذب الألسنة الطويلة. وقالت إن هناك قيمًا أخلاقية يجب المحافظة عليها في الفرقة، وإني قد أكون مصدر فساد وتلوّث للراقصات. وقالت لي أيضًا إن أحدًا لن يتقدّم للزواج بي أو بأختي بعد كل ما حدث. ولكن تبيّن أن ما قالته لم يكن صحيحًا.

إذ تتمكّن لوحة فتية راقية تمثّل حقولًا جميلة،
وساقية رقراقه وأشجارًا مورقة ومروجًا خضرًا
طبيعية من خلق حالة من الشعور بالرضى لدى
الناظر إليها، فأيّ مستوى من السعادة نتوقّع أن
تولّده في نفس المشاهد، لوحة حيّة يتحرّك فيها
عدد كبير من الرجال والنساء بأجسادهم المتناسقة
وأثوابهم الغنية في عرض راقص رفيع الأداء؟

كلّلوم توملينسون خبير في الرقص.

قرّرت سيلفيا مصارحة آليغرا بأنها تحتاج إليها الليلة، وأن ما تطلبه منها ليس صعبًا، وأن عليها أن تفكّر بأمّها ولو مرّة واحدة وتذهب معها إلى تلك السهرة.

ثمّ التقت بآليغرا في الممرّ وكانت هذه الأخيرة ترتدي ثوب أمّها «المثير». «ما رأيك؟»، سألت الابنة.

اجتاحت سيلفيا موجة منعشة من الاطمئنان؛ من جهة، لأن آليغرا سترافقها، ومن جهة أخرى لأنها قرّرت الذهاب إلى السهرة من غير أن

تضطرّ هي، سيلفيا، إلى إقناعها. خصوصًا وأن محاولة إثناء آليغرا عن قراراتها نادرًا ما تأتي بالنتيجة المرجوَّة. «مثير»، أجابت سيلفيا.

لاحظت سيلفيا أن مزاج ابنتها قد تحسّن فهي تمشي بخفّة منتصبة الظهر وقد حملت ثوب سيلفيا الأزرق الليلي المطرَّز على الكتفين برسم يرمز إلى إشراقة الشمس، وقالت:

«لمَ لا ترتدين هذا؟».

لبست سيلفيا الفستان واختارت لها آليغرا عقدًا وقرطين مناسبين. ثمّ ساعدتها في تسريح شعرها، ووضعت لها لمسة من ظلال العيون وحمرة الشفاه. وأعطتها محرمة ورقية لتنظّف أنفها. ثم تنبّهت إلى تقدّم الساعة، واندفعت قائلة: «هيّا، لنذهب يا ماما، كيف تأخّرنا إلى هذا الحدّ؟».

أمسكت سيلفيا بيد آليغرا وضغطت عليها برفق ثمّ تركتها، وخرجت المرأتان إلى السيارة وانطلقتا تشقّان عباب ليلة طويلة وحارّة.

وصل الطبق الأوّل ويتألّف من سمك السلمون مع اللوبياء الخضراء، وقُدّم معه كأس من النبيذ المحلّى من نوع *Zinfadel*. كان عريف الحفلة أحد مؤلّفي القصص البوليسية الأكثر شهرة، فتكلّم فيما باشر الساهرون بتناول طعامهم. غير أنه طرأت مشكلة تقنيّة على الميكروفون جعلت من الصوت يتقطّع حينًا ويشوبه الأزيز حينًا آخر. لم يستغرق إصلاحه طويلًا، وكانت كلمة الكاتب المعروف عرّيف الحفلة جذّابة ومختصرة.

بعد أن انتهى الكاتب من كلمته، التفت مو إلى دين قائلًا: «إن هذا الكاتب المعروف لا يراعي الأصول القانونية في أعماله». وتابع: «كثيرون لا يأبهون لذلك، ولكنّي شخصيًا أتمسّك بالدقّة في هذه الأمور». ثم راح يستعرض مع دين الأخطاء التي ترد في آخر ما نشره ذلك الكاتب بالتفصيل. «كثيرون لا يفهمون الخطوات التدريجية اللازمة في مرحلة الملاحقة والكشف عن الجريمة»، قال ذلك، وعرض استعداده للاستفاضة بالشرح.

انحنت برناديت في اتجاه برودي وهمست: «ربّما لم أفصح عن بعض التفاصيل في القصّة، لم أعلم أن مو يتمسّك بالدقّة. ظننته يهتمّ بالحبكة المثيرة فحسب، ولذلك أضفت إلى القصة التي سردتها تلك الأمور المرتبطة بالرياضة، وبثياب النوم، وأختي المثيرة، وبعض الشؤون الذكورية».

«وبالمخدرات، والطيور التي تتكلّم إليكِ»، أضافت برودي.

«لا لم أخترع قصة الغربان»، قالت برناديت.

لم تشعر برودي بأنها تحتاج في الحال إلى معرفة أيّ الجوانب في القصّة كانت صحيحة وأيّها من صنع خيال برناديت؛ وربّما تسألها لاحقًا. ولكنّ برناديت ليست والدتها، ولعلّ برودي لن تسعى إلى استقصاء ذلك أبدًا.

قالت برناديت: «أزواجي كلّهم غير سيئين؛ بل كنت أنا المشكلة، فقد كنت أشعر بأن الزواج يقيّدني. ولكني أحبّ أن أعيش مرحلة التحضير للزواج؛ ومرحلة المغازلة والمواعدة التي غالبًا ما تبدأ بقصّة مثيرة. ولكن الإثارة تنتهي مع بداية الحياة الزوجية. عندئذ تدخل الحياة في روتين التكرار. الخلافات ذاتها، والأصدقاء ذاتهم، والنشاطات ذاتها في عطلة نهاية الأسبوع. وعادةً ما يصيبني الملل من كل ذلك التكرار.

ثمّ إني أجد صعوبة بأن أعيش كل جوانب شخصيتي في إطار الزواج، بغضّ النظر عمّن يكون زوجي. أحبَّ جون بعض الجوانب في شخصيتي مثلًا، وأحبّ غيره جوانب أخرى. ولكن لم يحبّ أحدٌ من أزواجي شخصيتي كاملةً. حاولت في كل زواج أن أتناسى أجزاء منّي ولكنّي كنت أعود وأشتاق إليها وأسعى إلى استردادها. وفي الواقع، لم أختبر الحبّ الحقيقي قبل ولادة طفلي الأول».

عادت الأوركسترا إلى العزف وامتلأت الحلبة بالراقصين. لاحظت

برودي السيدة ذات البشرة السوداء ترقص بعد أن خلعت عنها شال الفرو الذي كانت تتدثّر به، وخلعت حذاءها أيضًا. كان شريكها في الرقص رجل أبيض بدين وأصلع. رأت برودي أن من شأن هذا الثنائي أن يلفت إليه الانتباه أكثر من بقية الراقصين لأنه من النافر وغير اللائق برأيها، أن يرتدي الراقص أو الراقصة ثيابًا رسمية ويرقص بمثل هذا التراخي. ربّما يحتاج الأمر إلى براعة راقص محترف لكي يحوّل انتباه المراقب عن مثل هذا الأمر.

أثار المشهد فضول برودي لمعرفة ما إذا كانا متزوجين. هل هي زوجته الأولى؟ هل احتاجت إلى حذف أجزاء من شخصيتها لكي تؤمّن له مكانًا؟ وإذا كان الأمر كذلك فإنها تبدو في حال لا بأس بها من دون تلك الأجزاء.

تضاعف عدد الراقصين والراقصات في الحلبة فقدّرت برودي أن نصف عدد هؤلاء الرجال هم من الأثرياء الذين تزوّجوا ثانية. ولعلّها اعتمدت في حساباتها على تفاوت مظاهر الجاذبية والشباب بين الزوجين. ولكنّها، وبالنيابة عن سيلفيا، ترفض مثل هذه الزيجات في المبدأ. وها قد اقترنت، هي نفسها، برجل أشدّ وسامة ممّا تستحقّ، ولعلّها بالفعل الطريقة المثلى في الزواج.

لاحظ دين أن زوجته تراقب حلبة الرقص، فسألها: «هل ترقصين معي يا حبيبتي؟». وبدا واضحًا للتوّ بالنسبة إليها أنه يريد الهروب من الشرح الذي تبرّع بطرحه الكاتب مو حول أصول الملاحقة البوليسية والقبض على المجرم.

لم ترقص برودي منذ وفاة والدتها على موسيقى سموكي بيل روبنسون الذي أحبّته والدتها كثيرًا، ولكنّها فكّرت أنها قد تفعل ذلك من أجل دين، ولن ترفض له ذلك الطلب الزهيد. إلّا أنها عادت وتردّدت في القبول عندما شعرت بأنها لا تستطيع. وقالت: «ربّما لاحقًا، بعد قليل».

«وأنتِ برناديت، هل ترقصين معي؟».

نزعت برناديت الأقراط من أذنيها ووضعتها إلى جانب صحنها وقالت: «قد تثقل الأقراط حركتي»، وتبعت دين إلى الحلبة.

أحسّت برودي بأن ظلًّا خيّم فوق رأسها من الوراء فجأةً، فإذا بجوسلين تصل أخيرًا وتنحني نحوها وتقبّل خدّها. «أنتم هنا؟»، قالت، ومزيج من رائحة العرق وعطر غسول اليدين السائل يفوح منها- يبدو أنها مرّت إلى الحمام قبل دخولها إلى الصالة. كان شعرها رطبًا وموزّعًا في خصلات غير منتظمة حول رأسها. أما زينتها فبعض آثارها ما زالت باقية هنا وهناك فوق وجهها. ألقت جوسلين بثقلها على الكرسي بقرب برودي، وانحنت فخلعت فردة حذائها، ومسّدت باطن قدمها.

قالت برودي: «تأخرتِ على الطبق الأوّل وعلى كلمة الافتتاح»، وتابعت: «كنت قلقة بشأنك». ولكنّها لم تكن كذلك بالفعل، لأنها كانت تصغي إلى حكاية برناديت. لولا وجود برناديت لساور القلق برودي بلا ريب. يمكن أن تتصرّف جوسلين بفظاظة مقصودة أحيانًا، ولكن ليس من غير اكتراث بالآخرين. وهي لم تتعوّد أبدًا عدم الالتزام بالمواعيد؛ كما ولم تتعوّد أن تبدو بمثل هذا المنظر الأشعث. يا لغرابة أن تبدو برناديت اليوم بمظهر أفضل من مظهر جوسلين!

قالت برودي: «لا أثر لسيلفيا بعد، ولا أثر لدانيال أيضًا. ما معنى هذا برأيك؟».

«سأحاول الاتصال بها»، قالت جوسلين، وانتعلت حذاءها من جديد استعدادًا للذهاب إلى أقرب هاتف. وأضافت: «أستغرب غياب دانيال أيضًا، خصوصًا وأنّ آليغرا أكّدت لي بأنه سيحضر».

قالت برودي: «أخاف أن يحدث مشهدٌ غير مرضٍ للجميع!».

«لا، لن تسمح سيلفيا بحدوث ذلك».

«ربّما أنتِ تسمحين!».

ابتعدت جوسلين وكان غريغ قد جلس إلى جانب مو، وعلى مسافة مقاعد من مقعدها. لعبت الأوركسترا لحن «حبّك يرفعني إلى أعلى». فقال غريغ موجّهًا طلبه إلى برودي: «هلّا تأخذين جوسلين معك إلى البيت بعد انتهاء السهرة؟ لقد فرغت سيارتي من الوقود».

ردت برودي على الفور: «طبعًا، وبإمكان دين أن يأخذك لشراء الوقود في أيّ وقت تريد».

عادت جوسلين إلى الطاولة، وأعلنت: «هما على بعد عشر دقائق لا غير، صارا هنا تقريبًا».

انصرف غريغ إلى تناول الطعام، بعد أن أدار مقعده ليصبح وجهًا لوجه مع الكاتب، وقال له: «أحبّ القصص البوليسية، حتى تلك التي لا تخرج عن النمط المعروف. أحبّ ذلك النمط».

«لا تسير القصص التي أكتبها وفق النمط المعروف. حتى إن الجريمة في إحداها لم تحدث سوى في النهاية».

«من منّا لا يحبّ القصص الغامضة؟». قالت برودي متوجّهة إلى جوسلين، وسألت: «كيف تعرّفت إلى برناديت؟».

«كانت زوجة عرّابي».

«ماذا كانت تعمل؟».

«من حيث المهنة؟ اسأليها».

قالت برودي: «قد يستغرق ذلك وقتًا طويلًا».

«لا أعلم إن كان باستطاعتي الإجابة بسرعة أنا أيضًا. لم تكمل دراستها، ولذلك كانت تلتقط وظيفة من هنا وأخرى من هناك. عملت كمساعدة معلّمة في المدرسة، وكأخصائية تقليم أظافر، وأتذكّر قولها

إنها عملت في إحدى الكرنفالات مرّةً حيث كانت تساعد الناس على رمي الحلقات الطائرة حول أكداس من الصحون. وبقيت ترتدي زيّ أميرة الثلج ′سنو وايت′ في مركز ألعاب ديزني لفترة طويلة. كما كانت تعمل أحيانًا في رعاية الحيوانات الأليفة. ولكن أهمّ أعمالها كان الزواج. قصّتها مع الزواج تذكّر بقصص أوستن، باستثناء أن أزواجها كانوا كثرًا. لا أريد أن أبدو مفسدة. تلاحظين كم أن برناديت مرحة ولطيفة. كانت تظنّ في كل مرّة تختار زوجًا جديدًا أنه هو الذي ستمضي معه بقية عمرها. وكنت أقلق أحيانًا بشأن أطفالها، ولكن قلقي لم يكن مبرّرًا سوى من حيث المبدأ لا غير، لأنهم سعيدون وناجحون في حياتهم.

«كانت المفضّلة عندي من بين كل زوجات بن. عاشت معه في بيت كبير وقديم في منطقة بيفرلي هيلز، وكانت هناك حديقة جميلة وشرفة تلتفّ حول محيط البيت كلّه؛ وبركة تعيش فيها أسماك ذهبية ويقطعها جسر خشب. كان المكان رائعًا».

«هل اسمه بن واينبرغ؟!».

«هل سمعت باسمه من قبل؟ كان معروفًا في هوليوود، وساهم في إعداد معظم أفلام فرد أستير».

هتفت برودي: «فيلم *Easter parade*، يا إلهي، كم أبدعت برناديت في تلك الحكاية!».

وعندما استدارت لتنظر إلى حلبة الرقص، وكان الليل قد أسدل ستاره خارج القبّة الزجاج العالية وأضيئت الأنوار فوق الشرفات المستديرة فبدت كأنّها كوكبة من النجوم المتألقة في سماء الكون الواسع، رأت برودي الأوركسترا صغيرة وبعيدة، ورأت دين طويلًا ووسيمًا. كان يرقص وكأنه يقفز وإنّما بطريقة لطيفة.

أما برناديت فبدت مستديرة ومرنة؛ كانت تحرّك كتفيها برشاقة،

وتتأرجح بخفّة، وتميل بوركيها يمينًا ويسارًا. وترقص بخطوات ناعمة حينًا، وبطريقة الرقص النقري الذي تتقنه حينًا آخر. كانت تتحرّك كراقصة محترفة في الرقص اللاتيني، وإنما ضمن إطار المحافظة على صورتها كسيّدة راقية. اضطربت مشاعر برودي لكون دين يرقص معها في ذلك المكان؛ وتوقّعت أن تكون يده وراء ظهرها في تلك اللحظة.

بعد أن ركنت سيلفيا السيارة في الموقف المجاور لمبنى المكتبة، انتظرت مع آليغرا أمام باب المصعد الذي سيقلّهما إلى مستوى الشارع. شعرت بالاسترخاء والراحة بعد أن اتّصلت بها جوسلين وأخبرتها بعدم حضور دانيال. وكانت قد سامحت آليغرا على اقتراحها بأن لا تأتي إلى السهرة (وتشعر الآن بالذنب لتشجيع هذه الأخيرة على المجيء.) وحتى إنها سامحت آليغرا على الجريمة الكبرى التي اقترفتها عندما جعلت آليغرا تشعر بالتعاسة.

قالت سيلفيا: «عند الطابق الثاني بحسب ما أعتقد». وتابعت: «هل تعلمين أن ما من شيء لا يستحق المغفرة بوجود المحبّة؟».

لم تجب آليغرا لانشغالها بقراءة إعلان علّق على جدار المصعد حول دواء جديد وثوروي لمنع الحمل.

كانت جوسلين تتكلّم إلى برودي، إلّا أنها تعمّدت أن ترفع صوتها قليلًا ليسمعها غريغ والكاتب، عندما قالت: «ألا ترين معي أن من كان ماهرًا في الرقص لا يعلن عادةً أمام الناس بأنه راقص ماهر؟».

«حتى الانسان البدائي يتّقن الرقص»، قال غريغ، وقام من مكانه ومشى نحو جوسلين ومدّ إليها يده. كانت جوسلين تشعر بألم حادّ في قدميها يمتدّ صعودًا إلى الركبتين، ولكنها لن تعترف بذلك الضعف أمام غريغ. إن كانت لديه هو القدرة على الرقص، فهي أيضًا قادرة. وسوف ترقص حتى الرّمق الأخير. وهكذا تجاهلت يده، وانتصبت من غير مساعدة.

لم تنظر إليه، ولم ينظر إليها، ولكن برودي كانت تنظر إلى كليهما يبتعدان: ظهران غاضبان، وسواعد غاضبة، وخطوات متزامنة تمامًا مع أنها غاضبة.

كان مزاج برودي قد أصبح متقلّبًا منذ وفاة والدتها. ها هي، وعلى الرغم من أنها استمتعت بحكايا برناديت، وبالسخرية من الكاتب مو، ينتابها الآن فجأة شعور بأنها منبوذة بعد أن غادر كلّ من دين وبرناديت، وجوسلين وغريغ، الطاولة. ومع أنهم لم يغادروا الحفل، بل كانوا في حلبة الرقص، فهي تشعر بأنها باتت وحيدة. تشعر بأنها دائمًا متروكة ووحيدة.

قالت لمو: «أشعر بأن الحبل الذي يربطني بهذه الأرض قد انقطع».

لا يمكنها أن تتفوّه بمثل هذا الكلام إلى دين، لأنه سيشعر بالأسى لو عرف بأنه ليس بالنسبة إليها الرابط الذي يربطها بالحياة وبالأرض. يمكنها في المقابل قول ذلك إلى مو لأنها أكثرت في تناول الكحول أوّلًا، ولأنها لن ترى هذا الكاتب ثانية في حياتها، ولن تقرأ كتبه الغبيّة.

قال مو: «إذًا، لقد حان الوقت لننطلق،» وانحنى فوق الطاولة حتى لامست باقة أزهار الزينيا في وسط الطاولة ذقنه. وكان قد اقترب برأسه نحو برودي مسافةً كافية ليلاحظ أنها تبكي. انتصب متعجّبًا وحزينًا وقال: «لا تفعلي هذا! هيا، تعالي معي ولنرقص عوضًا عن البكاء. طبعًا، إن كنت متأكّدة أن دين لن يعترض على ذلك».

كانت الأوركسترا تلعب لحن «Come Together» لفرقة البيتلز، والتي كانت وبمحض المصادفة أيضًا، الأغنية المفضّلة لدى والدتها من بين مئات الأغاني المعروفة لهذه الفرقة.

كادت تجيبه، على طريقة والدتها: «ولنقل إنّنا رقصنا، حتى ولو لم نفعل».

«ولكنّه اقتراح جميل من فم مو. إنه يبدو، ولو بأسلوبه البسيط، رأي سديد، أو خطّة حكيمة. «*النرقص عوضًا عن البكاء*». فكّرت أنه بإمكانها البقاء حيث هي بمفردها، هذا إن لم تأخذ وجود مو في حسابها، وهو لا يحسب، أو أن تذهب وتنضمّ إلى الراقصين. مسحت عينيها بالفوطة، ثمّ طوتها ووضعتها على الطاولة، وقالت: «موافقة!».

ولكنّها رفضت دعوة الرجل الذي تحبّه إلى الرقص؟ لا بأس فسوف يدعوها مجدّدًا، وفي انتظار ذلك، هناك الأزهار والأضواء، والدوائر البلّورية البرّاقة، ووجوه الثعالب البرونزية، ورجال أثرياء، وآخرون لطفاء، ورجال غائبون وآخرون من الذين يحبّون الحبكة المشوّقة. لمَ لا ترقص مع كل هؤلاء على وقع الأنغام الجميلة؟

قالت لنا برناديت:

في خاتمة كتاب *كبرياء وهوى*، تكون ثلاث من فتيات عائلة بنّيت، وهنّ جين وإليزابيت وليديا قد تزوّجن، ولكن ماري وكيتي تبقيان عازبتين.

غير أن ابن أخ أوستن، يقول لاحقًا إن الكاتبة قالت لأفراد عائلتها إن الاثنتين تزوجتا لاحقًا (خارج القصة). فقد تزوّجت كيتي برجل دين كان يعيش بقرب قصر دارسي. أما ماري فتزوّجت بموظّف يعمل في مكتب عمّها فيليب، وساعد ذلك على إمكان بقائها قريبة من منزل عائلتها، ووسط ذلك النوع من المجتمع الذي لا يمكنها التعرّف إلى ذاتها خارجه. والزواجان كانا بحسب أوستن موفّقين.

قالت برناديت: «أحبّ دائمًا أن أعي نهاية القصّة».

يوليو/ تموز

مادة ترويجية

قصّة بوليسية جديدة للمفتّش ترّنس هوبكنز

تأليف مو بيللينغتون

نتاج جديد بقلم مو!

مكتبة
t.me/t_pdf

في كتابه الأول، ***الملفّات الميتة***، تدفع قضيّة معقّدة بالمفتّش ترّنس هوبكنز إلى مغادرة المدينة والتفرّغ كليًّا إلى **الأمور التي تتفاقم غموضًا** في الريف.

وفي كتاب بيللينغتون *الحصاد الأخير* الذي استحوذ على اهتمام القراء، يأمل ترّنس أن تكون الجثة التي شاهدها هي الأخيرة.

ولكن سياسيًّا من بلدة صغيرة وعنده طموحات واسعة مع جماعة دينية غامضة ومنغلقة حفّزا ولادة الموسم الجديد مع قصة:

جريمة قتل الغربان

بقلم مو بيللينغتون

«قد تكون أفضل ما كتب بيللنغتون».

- صحيفة ستاندارد بيرير الأسبوعية -

يلبّي الكاتب الدعوة للمقابلات، والقراءة الجماعية، ومنتديات الكتاب.

الموضوع: بشأن «أمّنا»

التاريخ: 5\ 8\ 02 الساعة 8:09 ق.ظ.

من: Airheart@well.com

إلى: Catwoman 53@ aol.com; Biancasillman@earthlink.net

مرحبًا، فريق هاريس النسائي اتصلت بي السيدة غروسمان صباحًا وقالت إنها شاهدت أمّنا هذا الصباح تنظّف مزاريب السطح متناسية وركها الجديد. قلت لها إننا كلّفنا طوني بأعمال تنظيف البيت وتوابعه، فأجابت بأنه عاد إلى الجامعة باكرًا لينضمّ إلى نشاط كرة القدم. ولذلك فإن واحدة منّا يجب أن تذهب لتجد من يحلّ محلّه.

(وماذا عن الصغير غريغ؟ اتصل بي مساء أمس وكلّمني بصوت متهدّج، وكأنه أراد القول إن لديه مشكلة من غير أن يوضح شيئًا).

أميليا

الموضوع: بشأن «أمّنا»

تاريخ: 5\8\02 11:15 ق.ظ.

من: Catwoman 53@aol.com

إلى: biancasillman@earthlink.net; Airheart@well.com

أريد أن تعلم كل منّا بأن هذا ما تريده أمّنا تمامًا. إنها تعلم بأن السيدة غروسمان ستتصل بنا، وأن واحدة منّا ستذهب إليها في الحال لكي لا نبدو أمام الناس وكأننا غير مكترثات بسلامتها. من المؤكّد أن إحدانا يجب أن تذهب إليها، ولكن يا لها من عجوز ماكرة. كان بإمكانها أن تطلب منا تنظيف السطح. أرى أن علينا أن نحبسها في مأوى العجزة إلى أن تعدنا بأن لا تصعد إلى السطح ثانية.

أما بالنسبة إلى غريغ، ألا ترَين معي بأنه واقع في الحبّ من جديد؟ حان الوقت لذلك، فقد مضى زمن على انفصاله عن ساندرا.

أحبكنّ جميعًا، كات

الموضوع: بشأن أمّنا

التاريخ: 5\8\02 12:27 ب. ظ.

من: Airheart@well.com

إلى: Catwoman53@aol.com; biancasillman@earthlink.net

اللّوم يقع علينا بشأن حياة غريغ العاطفية، لأننا نشكّل بالنسبة إلى غريغ مستوى لا تتمكّن معظم صديقاته من بلوغه.

إميليا

الموضوع: أمّنا وغريغ

التاريخ: 5\8\02 1:02 ب. ظ.

من: biancasillman@earthlink.net

إلى: Catwoman53@aol.com; Airheart@well.com

بما أن وتيرة العمل بطيئة هنا في الوقت الحاضر، يمكنني الذهاب والاهتمام بشأن أمي.

أنا على يقين بأن غريغ يحبّ امرأة في منتدى الكتاب الذي يشارك فيه. ولكني غير متأكدة بأنها تحبّه أيضًا. اتصل بي أيضًا مساء أمس في ساعة متأخرة وكان يبدو منهكًا. أخشى أن تكون ساندرا قد جعلته أكثر هشاشة وأقل تحمّلًا من السابق. (إن كان شعار الكشافة يقول: «اتركي المخيّم بحال أفضل مما وجدته، فإن ساندرا ليست بالتأكيد إحداهن)) كنت دائمًا مقتنعة بأنها تقرّبت منه بهدف الإفادة من قدراته في المعلوماتية.

سلامي وحبّي إلى الأزواج والأولاد، بيانكا

الموضوع: أمّنا وغريغ

التاريخ: 8/ 5/ 02 1:27:22 ب. ظ.

من: Catwoman53@aol.com

إلى: Airheart@well.com; biancasillman@earthlink.net

ساندرا فتاة معقّدة. هل تذكرين حفلة عيد الميلاد في منزلك، أميليا؟ حاولنا إقناعه بالابتعاد عن الفتيات اللاتي يفضّلن العيش على حساب الآخرين كالنباتات الفطرية؛ وقلنا له: ضع يديك

حيث يمكنك رؤيتها. ولكنه ما إن يرى وجهًا جميلًا حتى ينسى نصائح شقيقاته.

XXXXXX

كات

الموضوع: أمّنا وغريغ

التاريخ: 8\5\02 5:30 ب.ظ.

من: Airheart@well.com

إلى: Catwoman53@aol.com; Biancasillman@earthlink.net

إذا كان غريغ عاشقًا من جديد، فعلى إحدانا أن تذهب إليه وتهتم بهذا الأمر أيضًا.

إميليا

الفصل السادس

وفيه قرأنا كتاب *إقناع* *Persuasion*

واجتمعنا في بيت سيلفيا ثانيةً

لا يتوقّف الزائرون في قسم التاريخ في مكتبة كاليفورنيا العامّة عن البحث يوميًّا وطيلة ساعات النهار عن أصول عائلاتهم. تعمل سيلفيا في المكتبة العامّة منذ عام 1989، وتساعد آلاف الناس على استخدام تقنيّة شرائط الميكروفيش وإدخالها إلى الآلة، وعلى قراءتها وتصحيح وضع الصورة عند الحاجة، وتعلّمهم كيفيّة لفّ الشريط بسرعة إلى الأمام أو إلى الوراء. كانت تفتح أرشيفات عقود الزواج والوفيّات، وتغوص في البحث عن الأجداد، وأجداد الأجداد. أما اليوم بالذات، فلم يؤدِّ البحث الأوّل في الصباح إلى نتيجة مفيدة. أراد الزائر تقصّي تاريخ جدّه المدعو توم بيركي، الذي عاش في سان فرانسيسكو، من غير أن تكون لديه معرفة دقيقة بالتواريخ. اسم عادي جدًّا في مدينة شاسعة، ومعرفة غير دقيقة بالتواريخ، كلّها عناصر غير مساعدة أدّت إلى غضب الحفيد الذي شبّه سيلفيا بطائفة المورمون[1] من حيث عدم حداثة التقنيات التي

---

(1) Mormons طائفة من المسيحيين لها كنيسة ومعتقدات خاصّة وتستمر في أساليب العيش القديمة وتؤمن وتمارس تعدّد الزوجات حتى اربع. انتقلت إلى أميركا في عام 1820. (المترجمة).

تستخدمها، وعدم إصرارها على النجاح في مهمّتها.

حثّت تلك الحادثة الصباحية سيلفيا على التأمّل. هل كان لدى الناس دائمًا مثل هذا المستوى من الاهتمام بعلم الأنساب؟ كيف كان حالهم في الستينات عندما كان تحضير وجمع هذه الأرشيفات لا يزال في بدايته؟ ماذا يعني كل هذا الاندفاع الشخصي نحو تقصّي الماضي؟ ما هي الأمور التي يسعى الناس حقًّا إلى معرفتها في بحثهم؟ أيّ تأثير حقيقي يمارسه الأسلاف على أحفادهم اليوم؟

وخطر في بالها أنها لا تختلف عن هؤلاء أبدًا عندما تذكّرت تلك السعادة الخاصّة التي تشعر بها في كلّ مرّةٍ يسألها أحدهم عن الصندوق رقم 310 الذي يتضمّن مجموعة من الأرشيفات الاسبانية والمكسيكية. لقد ترجمت هي نفسها من الاسبانية إلى الإنكليزية ومن مدّة غير بعيدة وثيقة عقد قران المدعو إيمانويل رودريغز من منطقة كوادالاخارا ومن أبوين متوفيين، على المدعوّة ماريا فالفانورا إي لا لوز، والدها جندي، وتسكن في سينالوا. يعود تاريخ الوثيقة إلى العشرين من شهر أكتوبر عام 1781. كانت تلك المعلومات جافّة ولم تتكلّم على كثير من الأمور المهمّة؛ هل أحبّ العروسان بعضهما حبًّا شديدًا؟ هل كانا صديقين، أم إنهما كانا يجلسان إلى المائدة ويتناولان الطعام بصمت صقيعي؟ هل مارسا الجنس بامتعاض، أم تزوّجا بحماسة وبملء إرادتهما؟ هل رزقا بأطفال؟ هل ترك أحدهما البيت الزوجي من غير إنذار؟ وإذا كان الأمر كذلك، من منهما ترك الآخر، ومن الذي بقي وحيدًا؟

وتضمّن الصندوق أيضًا دعوة لحضور حفل راقص كبير في منزل الحاكم على شرف أنطونيو لوبيز من مدينة سانتا آنّا؛ ونسخة عن معاهدة الاستسلام التي وقّعها أندريه بيكو أمام جون س. فريمونت في كاهوينغا

(Cahuenga)[1]؛ ورسالة إلى فرا جوزيه ماريا دي زالفديا تتحدّث عن قوانين الزواج بين الهنود الحمر (سكّان البلاد الأصليين). أما تاريخ الرسالة الأخيرة فكان يعود إلى عام 1811. في هذا العام بالذات، وفي مكان آخر من العالم، كانت أوستن قد نجحت أخيرًا في نشر روايتها *العقل والعاطفة* حيث تتناول أيضًا موضوع الزواج عينه.

«نحن كنّا في هذه البلاد أوّلًا»، كان والد سيلفيا يردّد على مسامعها، على الرغم من أن جدّيْها لأمها كانا مهاجرَيْن. ولكن، وبغض النظر عن حداثة وجود عائلة أمها في الولايات المتحدة، فما أبعده عن الحقيقة أن تكون عائلة أبيها من أوائل سكان هذه البلاد. وربّما يمكن القول إنهم كانوا هنا قبل بعض الآخرين.

قصيدة إلى كاليفورنيا!

أرض الرومانسية، والسحر، والعبادة، والجمال، والأغنيات.

إنّها كلمات للشاعرة آينا كولبيرث محفورة على الحائط بقرب الدرج الصاعد إلى الطابق الثاني. ولكن اللوحة المفضّلة لدى سيلفيا فهي تلك المعلّقة في الطابق الأعلى من المكتبة وقد كتب عليها بخطّ عريض: *التزم الهدوء، البحث جارٍ.*

لم تتعرّف سيلفيا إلى هذه المكتبة في طفولتها، ولكنّها ترعرعت في مكان غير بعيد عنها في شارع «كيو»، وفي بيت خشب رماديّ اللّون. وحول البيت حديقة واسعة، زُرع الجزء الأمامي منها بأشجار الليمون، والخلفي بشتول البندورة والفلفل الحارّ. قضت والدة سيلفيا معظم أوقاتها في تلك الحديقة وكانت تتقن الاعتناء بها. أما القديسة تيريزا المفضّلة لديها، فكانت قد وعدت محبّيها بأنها ستمطر الأرض بالورود

(1) وُقِّعت في هذه المنطقة المعاهدة التي انتهت بموجبها الحرب الأميركية - المكسيكية في نهاية القرن التاسع عشر. (المترجمة).

بعد مماتها؛ ولذلك حرصت أم سيلفيا على زراعة الورد على أنواعه في كل مكان من حديقتها استجابة للقديسة، فكانت هناك شجيرات الورد، وأجمة الورد، والورد المتسلّق على التعريشة. وكانت تغسلها من حشرة المنّة، وتغذّيها بالأسمدة الطبيعية، وتلفّها لتحميها من برد الشتاء. وكانت سيلفيا تسألها: «كيف تعرفين ما يلزمها؟».

وتجيبها الأم: «يكفي أن تنظري إليها بانتباه لتقول لك هي نفسها ما يلزمها».

كان والد سيلفيا كاتبًا في صحيفة *لا رازا* الناطقة بالإسبانية. وكان يستقبل في كل مساء على شرفة البيت الأمامية مجموعة من أصدقائه، فيتحدّثون في السياسة وفي فنون الزراعة وشؤون الهجرة، ويعزفون على آلة الغيتار. وكانت مهمّة سيلفيا في كل صباح أن تنظّف الشرفة من بقايا السجائر والقناني الفارغة والصحون القذرة.

أما مهمّتها الثانية فكانت أن تسرع بعد انتهاء الدوام المدرسي إلى منزل جدّتها لكي تترجم لها فوريًّا الحلقة التي تعرض في تلك الساعة من المسلسل التلفزيوني الطويل اليومي *يونغ د. مالوني*. حوادث كثيرة كانت تجري في تلك البلدة الصغيرة المسمّاة «دينيسون»! جريمة قتل؛ عقوبة بالسجن؛ الإدمان على الكحول؛ الوقوع ضحية الخوف واليأس؛ الخيانة الزوجية؛ العمى الهستيري؛ الإصابة بالجلطة أو بالسرطان؛ حوادث سير تتسبّب بالشلل؛ تزوير وصيّة. وما إن تنتهي الحلقة الأولى حتى تبدأ الثانية.

وبعد ذلك، تنكبّ جدّة سيلفيا على تحليل ما ورد في الحلقتين، فتتحدّث عن الشخصيات وعن المواضيع المطروحة، وعن الإشارات الرمزية، وعن الدروس الأخلاقية المفيدة. ويستغرق التحليل معظم فترة بعد الظهر. النساء الخائنات يصبن بالعمى. والممرّضات اللواتي أحببن

الأطباء من غير أن يبادلهن هؤلاء الحبّ، افتتحن عيادات للعناية بالأطفال وقمن بأعمال خيرية. كانت الحياة مجرّد سلسلة من الحوادث الصحية الطارئة، ومن المحاكمات القضائية، ومن قصص الحبّ المؤلمة، ومن خيانة الأقارب لأقاربهم.

كان والد سيلفيا يقرأ لها أحيانًا بعض الأساطير الأوروبية التي تتكلّم بمعظمها على قصص الجنيّات قبل أن تنام. وكان يغيّر لون شعر بطلة القصّة من الأشقر إلى الأسود (وكأن سيلفيا كانت ستصدّق ذلك، أو أن ابنة دياغو سانشيز قد تتماهى مع شخصية فتاة سمراء تدعى Snow White (بياض الثلج)؛ وكان لا يتأخر عن التلميح إلى مشكلة الطبقية في المجتمع عندما تسنح الفرصة. حطّاب هنا يتزوج أميرة هناك؛ وملكة تعجّل في حلول أجلها وتسير إلى قبرها في حذاء ملطّخ بدماء المساكين والأبرياء.

وفي أيام الأحد، كانت الأم تقرأ لسيلفيا قصص القدّيسين. فتقرأ قصة القديس دوركاس، وقصص غيره من القدّيسين الذي تخلّوا عن ثرواتهم، وكرّسوا حياتهم لمساعدة المحتاجين. وكانت تسرع في تقليب الصفحات التي تتحدّث عن قصص الشهداء: القديسة آغاتا التي عُذّبت وقُطع نهداها من جسدها، والقديسة لوسي التي فقئت عيناها، والقديسة بربتيوا التي شدّت بسكين جلّادها إلى عنقها بيدها. لم تشتبه سيلفيا بوجود تلك القصص، ولم تطّلع عليها إلا لاحقًا.

ولكن لا أساطير الجنيّات ولا قصص القدّيسين تركت في نفس سيلفيا أثرًا طويل الأمد، مثلما تركت حوادث مسلسل «يونغ د. مالوني». أما سيلفيا فلاحظت تراجعًا في صحة جدّتها منذ انتهاء عرض هذا المسلسل على التلفزيون.

معظم ما نعرفه عن حياة سيلفيا وصلنا عن طريق جوسلين. تعرّفت جوسلين إلى سيلفيا في مخيّم كشفي للفتيات وكان عمر كلّ منهنّ

أحد عشر عامًا. الصغيرة جوسلين مورغان، والصغيرة سيلفيا سانشيز. «كنّا نحن الاثنتان في كوخ شيبيوا»، قالت جوسلين. «وكانت سيلفيا تبدو أكثر نضجًا منّي. كانت تعرف أمورًا لا يمكنك أن تتصوّر أن فتاة صغيرة تعرفها. أمور في التاريخ والطبّ. وكان بإمكانها أن تحدّثك حول تفاصيل لا تعرفها بشأن الوقوع في الغيبوبة.

ولكنّها غالبًا ما ظنّت بأن المرشدات كنّ يرسمن في غيابنا خططًا من أجل الإيقاع بنا. كانت تتصوّر دائمًا أدهى الخطط وأدقّها في كل ما يفعلن. وفي أحد الأيّام، اصطُحبنا نحن الفتيات الأربع من فريق شيبيوا إلى مكان معيّن في البرّية وطُلب منا العودة بمفردنا إلى المخيّم. وكان ذلك لأجل أن ننجز ما يجعلنا نستحقّ شارة إضافية بحسب قول المرشدات. أما سيلفيا فلم تصدّق قولهنّ وساورها الشكّ حول كل ذلك، وراحت تدور على كل واحدة منّا لتسألها: «هل تشكّين بأن أحدًا يريد إبعادك عن المخيّم، أو التخلّص من وجودك لسبب ما؟». أي فتاة صغيرة تفكّر بهذه الطريقة؟

لا أحد من أفراد عائلة سيلفيا لاحظ أن والدها كان قد توقّف عن قبض معاشه الشهري، وأنه كان يدعم الصحيفة من ماله الخاص حتى فرغ المال كلّه، وانتقلت العائلة لتسكن في منطقة أخرى حيث عرض عمّ سيلفيا على والدها وظيفة في مطعمه. وهكذا، وعوضًا عن البيت الكبير من الطراز الفيكتوري حيث كانوا يعيشون، سكنت العائلة في شقّةً صغيرة. وعوضًا عن المدرسة الصغيرة الخاصّة، انتقلت سيلفيا وأخواها إلى مدرسة رسمية ضخمة. أما شقيقة سيلفيا الكبرى فكانت قد تزوّجت وبقيت في سكرامنتو حيث رزقت أطفالًا. وطالما اشتكى أهل سيلفيا من أنّه لا يُتاح لهم أن يستمتعوا بمشاهدتهم كفايةً.

فكانت العائلة تذهب إلى سكرامنتو أحيانًا في أيّام الآحاد برفقة الجدّين. أما والد سيلفيا فيضطرّ في معظم الأحيان للبقاء في المطعم؛

غير أنه لم يتعوّد خدمة الزبائن، الأمر الذي دفع هؤلاء إلى القول بأنه غير لطيف وعدائي. كان عليه دائمًا أن يتذكّر وجوب عدم المشاركة في أحاديثهم، وألّا يتكلّم في موضوع النقابة مع الحمّالين والطهاة. وكانت تلك الأمور الصغيرة تجتمع لكي تشعره بالذلّ والمهانة. وعندما استيقظ مرّةً مع شروق الشمس في يوم عيد ميلاد زوجته لكي يعزف لها لحن سيرينادا[1] كما تعوّد أن يفعل منذ زواجهما، رأت سيلفيا أن البيت الذي في جوارهم أضيء فجأةً وعلى غير عادته في تلك الساعة، وكان ذلك تعبيرًا على عدم الرضا وعن الفضول.

كان لدى أحد الطهاة في المطعم ابنة في المدرسة الرسمية، رتّب والد سيلفيا لقاءً بينها وبين ابنته لكي يكون لدى هذه الأخيرة رفيقة في المدرسة الجديدة ولا تشعر بالوحدة. اسم الفتاة كونستانس وتصغر سيلفيا بعام واحد. كانت تضع أحمر شفاه أبيض اللون، وترفع شعرها وتلفّه حول رأسها. وكانت قد خاطت اسم حبيبها بالإبرة على باطن يدها اليسرى. لم تتحمّل سيلفيا النظر إلى ذلك، ولكن كوستانس أكّدت بأنه لا يؤلمها، لأن الخياطة على مستوى طبقة الجلد السطحية. وكان إذ ذاك على سيلفيا أن تنبّهها إلى أخطار الالتهاب، وأخطار قطع يدها، وإلى أن الأمر يدعو إلى الاشمئزاز. فبات واضحًا بالطبع بأن لا أمل في أن تصبح الفتاتان في يوم من الأيام صديقتين.

ولكن كان هناك جوسلين، وثمّ دانيال.

«هل هو كاثوليكي؟»، سألتها أمّها بعد أن أوصلها بالسيارة لأول مرّة إلى البيت.

«لن أتزوّجه!»، أجابت سيلفيا للتوّ؛ لأن دانيال ليس كاثوليكيًا، ولم ترغب في أن تقول ذلك.

---

(1) لحن إسباني رومنطيقي يعزفه المحبّ لحبيبته على آلة الغيتار.

وبعد أوّل صدام زوجي عقب زواجهما بمدّة غير طويلة، قادت سيلفيا سيارتها إلى منزل عائلتها، ووقفت أمام الباب والدموع تغرق وجهها وحقيبة ثيابها في يدها. لم يسمح لها والدها بالدخول، بل قال: «تعودين حالًا إلى بيتك الزوجي، فأنت تعيشين هناك الآن، وعليك فضّ المشكلات وإيجاد الحلول بنفسك».

في المقابل، يؤمن غير الكاثوليك بفكرة الطلاق. وعندما تتغلّب عليهم مشاعر عدم الرضى لسبب أو لآخر، لا يتأخرون في هجر البيت الزوجي، ولا يحاول الأهل إيقافهم عن المضي في ذلك. ولهذا السبب تقول أمّ سيلفيا: «يستحسن الابتعاد منذ البداية عن الزواج بشخص غير كاثوليكي».

وأوَليس هذا ما فعله دانيال تحديدًا بعد أكثر من ثلاثين سنة من الزواج؟ مع الأسف، لم تعش والدة سيلفيا لترى ما حدث، فقد كانت تفرح جدًّا عندما يتبيّن أخيرًا أنها كانت على صواب.

والحقّ يقال، ربّما ليس أكثر مما كان يفرح أيٌّ كان عندما تتحقّق صحّة نظرّيته.

خرجت سيّدة تميل إلى البدانة من غرفة الأرشيف الخاصّة واقتربت من المكتب، وكانت ترتدي سروالًا من نوع الجينز وسترة قطنية خضراء اللون. أما القلم الذي كان بيدها فوضعته وراء أذنها حتى أضحت تلك المسافة الضيقة بين رأسها وأذنها مشغولة فوق العادة لأنها كانت ترتدي أيضًا نظارة طبّية. توجهّت السيدة إلى سيلفيا بالقول: «هناك عدد ناقص من جريدة سان فرانسيسكو الصادرة عام 1890. ينتقل الشريط مباشرةً من العدد الصادر في التاسع من مايو إلى ذلك الصادر في الحادي عشر منه. حاولت البحث بطرائق أخرى ولكن يبدو أن لا وجود للعدد الصادر في العاشر من مايو 1890».

ومثل ماغي، استغربت سيلفيا الأمر. ولكن لا فائدة من طرح السؤال على المكتبات الأخرى لأن مصدر الميكروفيش مركزي ومشترك بين جميعها. واقترحت سيلفيا أن تذهب ماغي إلى الطابق السفلي لعلّها تجد ذلك العدد الناقص بين أعداد جريدة سان فرانسيسكو الورقية الفعلية.

يستمتع المتخصّصون في شؤون المكتبات بوجه عام بتنفيذ المهمّات الخاصّة. ويستهوي المتخصّص في قسم المراجع الغوص في الاستقصاء والبحث. وعندما يختار هؤلاء كتابًا للمطالعة المسلّية، يختارون قصّة بوليسية جيّدة. ويميلون إلى تربية القطط أيضًا من غير أن تكون أسباب ذلك معروفة بالفعل.

جاء رجل أسود يلبس كنزة رمادية ذات قبّة عالية، وسأل عن مقابلة شفوية موضوعها السياسة العامّة في مكتب نائب حاكم ولاية كاليفورنيا بين عامي 1969 و1972.

ثمّ نادى رجل متقدّم في السن يعتمر قلنسوة مخملية سيلفيا لكي تقترب منه ليريها كيف كان يكتب الأسماء على شجرة عائلته بعناية تامّة وبخطّ جميل جدًّا.

عادت ماغي لتخبر سيلفيا بأنها لم تجد العدد المذكور، واقترحت الاتصال بمكتبة بانكروفت في بيركلي، ولكن السيدة التي طلبت الاطّلاع على هذا العدد قالت إنها لن تنتظر، فقد انتهى الوقت الذي حجزته لركن سيارتها في الشارع. وأضافت أنها قد تعود في الأسبوع المقبل.

ثمّ طلب رجل ذو بشرة متلبّدة المساعدة في طباعة نسخة من الميكروفيش. وكان دور سيلفيا لتقوم بذلك.

القاعة الرئيسية في المكتبة فسيحة، وتحيط بها جدران منحنية ونوافذ واسعة تتيح لمن يجلس إلى مطلق طاولة فيها رؤية السطوح القرميدية الجميلة، ورؤية قمّة قبّة الكابيتول في واشنطن.

أما الغرفة المخصّصة في المكتبة لقراءة النصوص النادرة، فهي ممتعة أيضًا بترتيباتها الخاصة وبجدرانها المغطاة بخزائن زجاج تعجّ بالكتب النادرة. وراء باب هذه الغرفة المقفل، يجلس القارئ بعيدًا عن كل مصادر الضجيج الخارجي، وليس سوى لأمين المكتبة وحده الحقّ في فتح الباب لكي يدخل الزائر إلى الغرفة أو ليخرج منها.

أما الغرفة المخصّصة لقراءة الوثائق التاريخية على الميكروفيش فلا وجود للنوافذ فيها، بل تقتصر مصادر الضوء على الشاشات الصغيرة، وعلى القناديل الكهربائية الخاصّة فوق مناضد القراءة. ولا بدّ في هذه الغرفة من سماع الأزيز المستمرّ الصادر عن آلات قراءة أفلام الميكروفيش، والمترافق دومًا مع الصورة التي لا بدّ أن تكون منحرفة، أو مظلمة من جانب أو آخر، إذ من الصعوبة بمكان أن ترى أمامك صورة واضحة من كل جوانبها مرّة واحدة؛ ولا غرابة في أن تشعر في نهاية المطاف بالصداع. ولا يحبّ الدخول إلى هذه الغرفة سوى من يعشق البحث والتمحيص. كانت سيلفيا منشغلة بإدخال الميكروفيش إلى إحدى تلك الآلات عندما جاءت ماغي لتقول لها: «زوجك اتّصل ويريد التكلّم إليك ويقول إن الأمر مستعجل».

كان يوم آليغرا ممتعًا ومنتجًا؛ فقد انتهت قبل الظهر من وضع اللمسات الأخيرة على عدد من الطلبات وأرسلتها في البريد. وكانت قد اتّخذت القرار بشأن الهديّة التي ستقدّمها إلى سيلفيا في عيد ميلادها ولكنّها ما زالت تفكّر بكيفية صنعها. ثمّ قرّرت الذهاب إلى نادي التسلّق في الجوار المسمّى «روكنازيوم» لمتابعة نشاطها واستمتاعها بأجواء ذلك النهار. خلال التسلّق لا يمكنك التفكير بشيء سوى بالتسلّق، ولكنّ آليغرا كانت تقول دائمًا بأنه «عدم تفكير» مثمر. شدّت آليغرا الرباط حول جسدها وكانت تنتظر وصول صديقها «بول» الذي يساعدها بتثبيت الحبل الذي ستعتمد عليه في نزولها عن الحائط. يصل مستوى

آليغرا في هذه الرياضة إلى حدود 5.6 أو 5.7، أما مستوى بول فأعلى بقليل. يشكّل الرجال غالبية روّاد النادي، أما العنصر النسائي فيقتصر على عدد قليل من النساء اللواتي يتمتّعن ببنية جسديّة قويّة ورياضيّة مثل آليغرا. أما رائحة الطبشور والعرق التي تعبق في المكان فليست غريبة حقًّا عن ذوق آليغرا.

في النادي تسعة جدران مكتملة الحجم ومجهزة بشقوق ونتوءات، ومقابض تحيط بها لطخات من الدهان بألوان صارخة تذكّرك بلوحات الرسام جاكسون بولّوك التجريدية. وعلى كلّ حائط تتنوّع مسارات التسلّق، فهناك المسار الأزرق، والأحمر، والأصفر. وغالبًا ما يُجبر المتسلّق على التخلّي عن الاستعانة بمقبض قريب من غير لون مساره، لكي يجتهد ويصل إلى آخر من لون مساره، وغالبًا ما يكون المقبض بعيدًا وصغير الحجم. اتصل بول في المساء ليخبر آليغرا بأنّه تمّ إجراء تغيير على المسارات بعد أن حان الوقت بالفعل لتغييرها.

عندما بدأت آليغرا بممارسة التسلّق، كانت تقف عند نقطة واحدة برهة طويلة متأمّلة في كيفية القيام بالحركة التالية. غير أنّها كانت تشعر بذراعيها وأصابعها تشتعلان من شدّة الضغط، إلى أن لاحظت بأن المتسلّقين ذوي الخبرة كانوا يتحرّكون بسرعة فائقة. فاكتشفت إذ ذاك أن الوقوف في مكان واحد يرهق المتسلّق أكثر من الحركة، وأن المبالغة في التفكير مميت. وتوقّعت آليغرا أنّ في ذلك أمثولة يجب أن تتعلّمها. ومع أنها كانت تتعلّم بسرعة، فإنّها لم تكن تهوى كثيرًا تلقّي الدروس.

لم تتعوّد المجيء إلى النادي خلال النهار. وتساءلت أين ذلك الهدوء الثقيل المربك الذي يسيطر عادةً على المكان في المساء أثناء وجود المتسلّقين ذوي المستويات المرتفعة؟ أصوات الأولاد تملأ الأرجاء، فهنا من يصرخ، وهناك من يغنّي أو يرشق غيره بالطبشور. كنت تسمع الضحكات والصياح، وكل ما قد يصل إلى الآذان من ضجيج حفلة عيد

ميلاد طفل في العاشرة، ترجّع أصداءه صخور النادي الاصطناعية ذات الألوان. كان الأولاد وبفضل جريان السكر في عروقهم اليانعة ينشطون في كل اتجاه، فتراهم معلّقين بالحبال على الجدران كالعناكب. وقد امتلأ الهواء بغبار الطبشور، وراحت آليغرا تعطس مرّة واثنتين وثلاثًا. وفكّرت: ألا يولّد كل هذا إرباكًا وإنما من نوع آخر؟

تحبّ آليغرا دورها كعمّة. لأخيها دياغو ابنتان يسعدها قضاء بعض الأوقات معهما من حين إلى آخر. ولكن هذا هو مقدار الوقت الذي تريده مع الأطفال، أو تحتاج إلى تمضيته معهم وليس أكثر. ليس من السهل أن تتعايش مع موروث جيني يجعلك مثليَّ الجنس من غير أن يزيل منك الحاجة إلى التوالد. تمرّ الأيام من غير أن تتيقّظ آليغرا بالفعل إلى مرور الأعوام. ثمّ سمعت صوت طفل ينادي بفارغ الصبر متوجّهًا إلى أحد الناس الذي لم يأتِ بعد: «هيّا تعال!».

توجّهت آليغرا إلى الحائط المنفرد لتستعدّ وتليّن مفاصلها ريثما يصل بول. وكان هذا الحائط قليل الارتفاع أي لا يزيد ارتفاعه على سبع أقدام ويمكن تسلّقه من غير حبال. وأمامه على الأرض وضع مفرش وقائي سميك. وضعت آليغرا قدمها على نتوء أزرق، وتسلّقت لتضع قدمها على نتوء أزرق آخر كان فوق مستوى رأسها، وشدّت بنفسها إلى الأعلى متنقلةً من نتوء أزرق إلى نتوء أزرق آخر، وعندما اقتربت من أعلى الحائط رأت دهانًا برتقاليًا جذّابًا أبعد من النتوء الأزرق التالي وكان عليها أن تقفز ولكنّ وهج البرتقالي اختلط بالنقطة الزرقاء. تذكّرت آليغرا أن الأمور تسير بطريقة أفضل إن لم تفكّر مليًّا بها. فلتقفز إذًا!

وإلى يمينها كانت الفتاة صاحبة العيد تنحدر بسرعة بمساعدة مدرّبها الذي أرخى الحبل ليسهل انحدارها. «انحدار كالشريط، يا لك من فتاة صاروخية!»، صرخ أحدهم من بعيد.

وعند جدار آخر كان هناك شخص يعطي التعليمات إلى متسلّق، فيقول: «انظر، البنفسجي إلى يسارك. يمكنك الوصول إليه. لا تقلق. سألتقطك».

سألتقطك.

ولكن لا أحد التقط آليغرا، ولم تكن آليغرا يومًا بحاجة إلى من يلتقطها.

اتصلت سيلفيا بجوسلين من السيارة، وقالت: «سقطت آليغرا في نادي التسلّق،» فيما حاولت صرف تفكيرها عمَّ قد يحدث لمن يسقط عن حائط التسلّق، ابتداءً بالغيبوبة وانتهاء بالكرسي المتحرّك، وتابعت: «نُقلت إلى مستشفى Sutter ستر). إني في طريقي إلى هناك. لا أعلم شيئًا. لا أعلم عن أي ارتفاع سقطت، ولا أعلم إن كانت واعية. لا أعلم ما إذا كسرت ظفرها، أو عنقها». وغصّت قبل أن تنهي جملتها، وأجهشت في البكاء.

«سأتصل بك فور وصولي. إنها بخير لا تخافي. لا يسمحون لأحد بالتسلّق في مثل هذه النوادي من غير رباط. لا أعتقد أن هناك احتمالًا لوقوع إصابة جدّية».

تتوقّع جوسلين دائمًا أن الأمور ستكون على ما يرام. وإن لم تكن كذلك عندما تدركها، فإنها لا تغادر قبل أن تصبح على ما يرام. لا تفكّر جوسلين بتلك الأمور التي لا يمكن معالجتها سوى عندما تكون مرغمة على ذلك. ولكن سيلفيا في المقابل، لا تفكّر غالبًا إلا بهذه الأمور تحديدًا. سيلفيا أمّ لثلاثة أولاد وجدّة لحفيدتين، وهنا يكمن الفارق بينها وبين جوسلين. لو كانت آليغرا بخير، بحسب سيلفيا، لما نُقلت إلى المستشفى.

لا تتوقّع أن يحالفك الحظّ باستمرار، فلا بدّ أن تصادفك بعض الأمور

السيئة أحيانًا. سيلفيا ودانيال كانا في سيارته على مسافة منعطفَين فحسب من بيت دانيال يوم توفي أخوه. كانا في السنة الثانوية الأخيرة وجلسا بعد أن أوقفا السيارة يتبادلان القبل ويتكلّمان. ولكن القبل والكلام، كليهما، باتا مضجرَين بالنسبة إليهما في تلك المرحلة، وبات الحديث يعيد نفسه في كلّ مرّة؛ تُرى هل من الأفضل أن يلتحقا بالجامعة نفسها؟ أو هل يترتّب عليهما حقًّا الذهاب إلى الجامعة نفسها من أجل البقاء معًا؟ أمّا لو كانت الجامعة نفسها ملائمة لكليهما بالفعل، فهل من الأفضل أن يفتّش أحدهما عن جامعة أخرى لتفادي وجودهما في الجامعة نفسها؟ هل ستتمكّن علاقتهما من الاستمرار على الرغم من تجربة الانفصال لفترة معيّنة؟ هل يجب أن يفرضا عليها الاستمرار بالقوّة؟ من يحبّ الآخر أكثر؟ وفيما كانا يتبادلان القبل، كانت أصوات سيّارات الإسعاف تصل إلى مسامعهما من مكان قريب.

كانت أجهزة الإسعاف تصل إلى الحيّ تباعًا بعد أن صدمت سيارة كان يقودها فتى في السادسة عشرة آندي، أخ دانيال، وأودت بحياته على الفور. ولعل موت آندي الفوري وفّر على دانيال شعورًا بالندم كان سيرافقه مدى حياته؛ فقد كان سيندم أنه لم يودّع أخيه مع أنه لم يكن بعيدًا عن البيت في لحظة حدوث الاصطدام المشؤوم.

طالما فكّرت سيلفيا بأن والدة دانيال تبخل بإظهار عواطفها؛ وأنها سيّدة مهذّبة إنما تترك مسافة مع الآخرين. ولقد تأكّد لها ذلك بعد زواجهما وولادة الأطفال. أين الجدّة التي تشتكي دومًا من عدم مشاهدة الأحفاد كفايةً؟ أين الحزن والبكاء المتوقّعان منها عندما تبيّن أن آليغرا، الفتاة الرائعة، هي في الواقع مثليّة الجنس، مع ما يعنيه ذلك من أنها قد لا تلد أطفالًا قطّ؟

سيلفيا تبخل في إظهار عواطفها أيضًا، ولكن أحدًا لم يكن قد لاحظ ذلك بعد، حتى ولا هي نفسها وسط الحركة الدائمة في عائلتها. كانت سيلفيا

تحبّ والدة دانيال بدرجة مقبولة قليلًا ما تراها، فلماذا تكرهها؟ ولكنّها كانت ستشعر بالإهانة لو قال لها أحد بأنهما تتشابهان. شاهدت سيلفيا والدة دانيال يوم وفاة ابنها آندي تنقبض لتصبح مثل كمشة ورق مجعّدة، فقد ظهر تعبير معيّن على وجهها في تلك اللحظة ولم يغادره حتى الساعة.

تتحدّث جين أوستن في كتاب *إقناع* بإيجاز وقسوة عن عائلة موسغروف التي رزقت لسوء حظّها بولد صعب المراس ولا أمل في استقامة سلوكه، ثمّ فقدته لحسن حظّها قبل بلوغه العشرين. لم يكن ريتشارد موسغروف محبوبًا، وعندما أبحر للعمل على متن باخرة تحت إمرة الكابتن وينتوورث، لم يشعر أحد بالشوق إلى عودته. ولم يصبح وجوده غاليًا بالنسبة إلى عائلته سوى بعد أن مات في البحر وسط ظروف غامضة.

وتتكلّم البطلة المدعوّة «آن إليوت» لاحقًا في الكتاب المذكور، وتذهب إلى حدّ وصف والدي ريتشارد بأنهما فاضلَان، فتقول: «كم سعداء الحظ هم الأطفال الذين يولدون لمثل هذين الوالدين!».

اشتدّ الازدحام على جزء من الطريق السريع، وكانت سيارة سيلفيا تتقدّم ببطء. الأمور السيئة قد تحدث في أي وقت، فكّرت سيلفيا، فيما تنبّهت إلى وجود زجاج مكسور وسيارة محطمّة مركونة عند كتف الطريق. بدا أن الباب الخلفي من جهة السائق قد تعرّض لصدمة قوية عند منتصفه. لا بدّ أنه تمّ إخراج الركاب من تلك السيارة ولكن لا مجال لمعرفة مقدار الأذية التي لحقت بهم. بعد أن تجاوزت سيلفيا ذلك المكان، خفّ الزحام وتمكّنت من استعادة سرعتها.

بعد ربع ساعة من اتصال سيلفيا بها، وصلت جوسلين إلى المستشفى، ولم تلتقِ الممرضة التي استقبلت آليغرا في قسم الطوارئ مباشرة، بل بعد مرور بضع دقائق. وبادرتها الممرضة: «هل أنت قريبتها؟». ثمّ شرحت لها بتهذيب أن قانون المستشفى يقضي بأن لا تدلي بأي تفاصيل عن حالة المريض إلى غير أقاربه.

تؤمن جوسلين بالقوانين، وتؤمن أيضًا بالاستثناء، وليس ذلك لأجلها فحسب، بل لأجل كل من كان في مثل موقفها. ثمّ أجابت على كلام الممرضة بالأسلوب المهذّب نفسه، وشرحت لها كيف أن والدة آليغرا تنتظر اتصالًا منها. ثمّ أكّدت للممرّضة بأنها تستطيع مقابلة آليغرا من غير أن تشعر بالإحراج، وأنها غير متعبة.

وفي وسط ذلك الظرف الدقيق، لم تتردّد الممرّضة عن التعليق على الاسم «آليغرا» قائلةً بأنه اسم دواء لمعالجة أمراض الحساسية. عندما نظرت جوسلين إلى الوراء بعد انقضاء تلك الفترة، وخارج إطار التوتّر والخوف على آليغرا، انتابها الغضب إزاء تلك الملاحظة النابية وغير المنسجمة مع المناسبة. خصوصًا وأن «آليغرا» اسم جميل، ويرد في مؤلّفات الشاعر لونغفيللو (Longfellow).

ثمّ تبرّعت الممرضة أخيرًا بالقول بأن آليغرا خضعت لتصوير شعاعي، وممنوعة الآن من الحركة، وإن الطبيبة تخاف من احتمال وجود كسور أو ارتجاج في الرأس، ولكن الفتاة لم تفقد الوعي. كما تبرّعت بالإفصاح عن اسم الطبيبة التي تدعى د. يب. وأكّدت أخيرًا أنه لا يمكن لجوسلين أن ترى آليغرا؛ ولا يسمح بذلك سوى للأقارب فحسب.

وفيما كانت جوسلين تشرح أخطاء ذلك الحظر، وصل دانيال. مشى دانيال نحوها وكأن كل شيء كان لا يزال على ما يرام، وكأن شهورًا لم تمض منذ أن التقيا لآخر مرّة. وعندما لفّ دانيال ذراعيه حول كتفيها معانقًا، أحست برائحته التي لا تتغيّر.

تشعر المرأة في بعض الأوقات بأنها تحتاج إلى كتف تلقي عليه رأسها، وإلى صدر رجل يحتضنها. ومع أن جوسلين تحبّ وضعها كعزباء، فهي تفكّر بمثل هذه الأمور أحيانًا. وفيما جاور رأسها كتف دانيال، أفضت له همسًا: «أُخذت لها صور شعاعية، ويخاف الطبيب من

إصابة محتملة في الرأس»، ثمّ أضافت: «يرفضون إعطائي أي تفاصيل إضافية، ولكنّي سأتصل حالًا بسيلفيا لأطمئنها».

عندما وصلت سيلفيا أخيرًا، شاهدت آليغرا التي كان قد فُرض عليها عدمَ القيام بأدنى حركة منذ ساعتين تقريبًا والتي كانت تشتعل غيظًا بسبب ذلك. وفيما كان دانيال وسيلفيا وجوسلين يتحرّكون حولها بوجوههم الشاحبة وابتساماتهم المتشنّجة، كانوا يتبادلون النظرات متّفقين على أنّ أليغرا وحدها من دون أخويها تقع ضحية الحوادث المؤذية. وتذكّر الثلاثة عندما وقعت في حديقة الألعاب وهي طفلة وكسرت قدمها؛ وعندما سقطت عن الشجرة وتحرّكت عظام الترقوة في أعلى صدرها؛ وعندما تحطّم كوعها في حادث الدراجة. اتفق الثلاثة على حقيقة لا ريب فيها وهي أن آليغرا تنتمي إلى تلك الفئة من الناس التي تتعرّض دائمًا للحوادث. وهذا ما ضاعف غضب آليغرا التي ما برحت تصرّ على أنّها لم تتضرّر هذه المرّة، وعلى أنها وقعت عن ارتفاع لا يتجاوز أربع أقدام؛ وتردّد: «وقعت على مفرش سميك. لا أصدّق أنهم نقلوني إلى هنا؛ حتى إني لم أفقد وعيي قطّ!».

كانت في الواقع قد فقدت الوعي إثر السقوط ولم تتذكّر سوى الذي قالته. لم تتذكّر شيئًا من حادثة السقوط حتى مجيء سيارة الإسعاف. لا شكّ بأنها وقعت من مسافة أعلى من أربع أقدام. تذكّرت المفرش السميك لأنها رأته قبل التسلّق. ولأنّها لا تتذكّر تفاصيل الحادثة، قرّرت تركيبها بالأسلوب الذي يناسبها. فهل يعدّ هذا كذبًا؟

ها إنهم يلتفّون حول سريرها في المستشفى في مشهد يذكّر بالمشهد الأخير من الفيلم المعروف«The Wizard of Oz» (ساحرة مملكة أوز)، ليتّفقوا على اختراع مشكلة كبيرة من لا شيء. أما في ما يتعلّق برياضة التجذيف والتزلّج على الماء والسقوط بالمظلّة، فهي تشعر «مع بعض

التحفّظ» بأن سجلّها ناصع وخالٍ من الحوادث. من الطبيعي أن لا يرى أهلها ذلك، لأنهم لا يعلمون بممارستها لتلك الرياضات.

دخلت د. يب أخيرًا إلى الغرفة وبيدها الصور الشعاعية. لم يكن بإمكان آليغرا أن ترفع رأسها ولو مقدار بوصة واحدة لتراها، ولكنها لن تتمكّن من فهم أي تفصيل على الصور الشعاعية في جميع الأحوال. وفكّرت أنها قد لا تتمكّن بعد الآن من رؤية ألوان الكواكب في التلسكوب؛ ولا العثور على العصافير بمساعدة المناظير، ولا رؤية الهدبيّات عبر المجهر. قد يكون ذلك مزعجًا ولكنّه ليس حاجة يوميّة.

تكلّمت الطبيبة إلى والديها وكانت تشير إلى بعض الجوانب في قفص آليغرا الصدري وعلى جمجمتها التي كانت معرّضة للإصابة بالأذى نتيجة السقوط. لحسن الحظ أن نغمة صوتها كانت موسيقية، لأنها تكلّمت لوقت طويل قبل أن تتوصّل أخيرًا إلى النتيجة التي كانت آليغرا قد أكّدتها سابقًا، وهي أنها بحالٍ جيّدة ولم تصب بأذى يذكر. ولكن كان على آليغرا البقاء في المستشفى ليلة واحدة بغية المراقبة، وبغية أن تزداد ضيقًا وغضبًا أيضًا. ادّعت الطبيبة أن آليغرا كانت قد أجابت على الأسئلة التي طرحت عليها في سيارة الإسعاف بطريقة غريبة؛ ومن بين تلك الأسئلة مثلًا: «في أي يوم من أيام الأسبوع نحن؟ وفي أي شهر؟». ولكن آليغرا نفت حدوث ذلك.

«فسّروا أجوبتي بطريقة خاطئة». قالت آليغرا مدافعة عن نفسها. ولكنها لا تتذكّر أجوبتها، بل تتذكّر أفراد فريق الإسعاف يحومون حولها كالدبابير ويزعجونها. ربّما استشهدت في تلك اللحظات بكلمات للشاعرة ديكنسون[1]؛ وهل في ذلك جريمة؟

---

(1) Emily Dickinson شاعرة أميركية معروفة عاشت في منتصف القرن التاسع عشر (المترجمة).

وأخيرًا سمحت د. يب بتحريرها من تلك الأربطة التي كانت تقيّد حركتها، وبات بإمكانها التقلّب على جنبيها. ولكنها سرعان ما شعرت بالإحراج عندما لاحظت وجود ضمادة على صدغها وآثار دم على خدّها؛ يبدو أنها أصيبت حقًّا بجرح في رأسها. ولكن متى حدث ذلك؟

استغرقت عملية تحضير الأوراق اللازمة من أجل نقلها إلى إحدى الغرف في القسم الأعلى نحو أربعين دقيقة إضافية. وفي غضون هذا الوقت ازداد انزعاجها مما أصابها من رضوض وتشنّج في العضلات. وكان الصداع في رأسها قد بدأ منذرًا بوتيرة تصاعدية أكيدة؛ فكيف لحبتيّ المسكّن العادي اللتين أعطيتا لها معالجته؟ لا بدّ أنّها ستحتاج لنوع أقوى وحقيقي من المسكّنات. ولكن عسى أن يقتنع الطاقم الطبي بذلك، ولا يعترضونه لمجرّد أنها لم تصب بكسور في العظام.

وإذا بآليغرا تكتشف أن الممرّضة التي كانت تعمل في ذلك القسم من المستشفى، وفي تلك الساعة، هي كالي آبرامسون زميلتها في المدرسة الثانوية. ومع أن كالي لم تكن معها في السنة الدراسية ذاتها، ولا في الحلقات الطلابية عينها، فقد كانت كالي ناشطة ضمن مجموعة التحضير للكتاب المدرسي السنوي، وفي لجنة الحكومة الطلابية، فيما كانت آليغرا في اللجان الفنية ولجنة رياضة الهوكي؛ إلا أنه كان لطيفًا بالنسبة إلى سيلفيا على الأقلّ أن ترى وجهًا أليفًا في مكان غريب.

وفيما ساعدت كالي آليغرا على الانتقال إلى السرير، أخبرتها أن تريفيس براون اعتنق الإسلام بشدّة. لم تفهم آليغرا قصدها من ذلك الوصف الإضافي، كما أنها لا تذكر أنها تبادلت أكثر من بضع كلمات مع تريفيس في حياتها. وأخبرتها أنه تمّ توقيف بريتاني أوسلندر بتهمة سرقة حواسيب من مختبر اللغات في الجامعة، وكان الجميع ما عدا كالي يظنّ دائمًا بأن بريتاني فتاة حسنة الأخلاق؛ وأنّها هي نفسها، تزوّجت من شابّ لا تعرفه آليغرا ورزقت بصبيين. أما ميليندا باندي فتبيّن أنها مثلية الجنس.

«وهل هي مثليّة بشدّة أيضًا؟»، سألت آليغرا. وتذكرت كيف كانت كالي بالغة النحول في فترة معيّنة حتى ظنّ معظم الناس أنها تعاني من مرض فقدان الشهية؛ وكيف حاولت أن تكون بين فتيات فريق التشجيع للفرق الرياضية في المدرسة، ولكنها بدت في ثياب فريق التشجيع المعروفة وكأنها قصبة طويلة تلبس تنورة قصيرة. وتذكّرت أيضًا كيف انهارت كالي مرّة في قاعة الامتحانات الفصلية، فحُملت إلى غرفة الإدارة، وبدت في حالة هستيرية، حتى تبيّن لاحقًا أنها كانت تحتفظ بنوع من الحبوب في الخزانة الخاصّة بها في المدرسة، ولم يُعرف سبب اقتنائها لتلك الحبوب: هل كانت لمساعدتها على خسارة الوزن أم لأجل الانتحار؟ ولكن عدم وضوح الهدف من تلك الحبوب لم يمنع الألسن من التسلّي بالثرثرة حول ما حدث.

ما زالت كالي الآن نحيلة ولكنها ليست شديدة النحول، وهي تعمل وتبتسم كأمّ عطوف، وتخبر آليغرا عن شدّة فرحها بلقائهما مجدّدًا. فرحت آليغرا أيضًا لما تبدو عليه كالي الآن، وشاهدت صور ولديها وأحسّت بحيويّتهما التي لا بدّ أنها نابعة من حياة عائلية مليئة بالعطف والحبّ والنشاط. وتوقّعت أن تكون كالي أمًّا ناجحة بالفعل.

لم يزعج آليغرا أن كالي لا تحتفظ بذكريات من المدرسة تتعلّق بها شخصيًّا؛ أوليس هذا ما يتمناه الطلاب عادة من رفاق المدرسة الثانوية؟

***

عاد دانيال وسيلفيا معًا إلى البيت بهدف إحضار بعض الأغراض الخاصّة لآليغرا مثل فرشاة أسنانها وغير ذلك. وكانت آليغرا قد طلبت منهما شراء نوع من شراب الحليب والموز الذي تحبّه فاشترياه لها. «إنها عاطفية جدًّا!». كانت الطبيبة قد أسرّت إلى سيلفيا بشأن ابنتها، وكان واضحًا أنها اعتبرت الأمر مقلقًا إلى حدّ معيّن.

طمأن ذلك الأمر سيلفيا إلى حدّ كبير. وحتى إن ارتياحها تحوّل إلى سعادة. لم تزل ابنتها آليغرا إذًا على حالها، ولم تُصَب إصابة خطيرة، ولم يطرأ عليها تغيير. شعرت سيلفيا في تلك اللحظة بأنها مستعدّة لاصطحاب ابنتها مباشرة إلى البيت. لم تشعر بأن هناك حقًّا ما يدعو إلى القلق أو الشكوى. ها إن آليغرا قد نجت بأعجوبة مرّة أخرى. إنه يوم حظ سعيد آخر في حياة سيلفيا السعيدة جدًّا.

«كيف حال صديقتك بام؟»، سألت سيلفيا دانيال بأسلوب لطيف. لم تكن سيلفيا قد التقت بصديقته بعد، ولكن آليغرا أخبرتها بأن لدى هذه الأخيرة كل صفات الصلابة والتشبّث بالرأي التي يتّسم بها المحامون المتخصّصون بقوانين الأحوال الشخصية.

أجاب دانيال: «إنها على ما يرام. ولكن ألا ترين معي أن جوسلين بدت وكأنها مكبوتة اليوم؟ نعم، أعلم أنها قلقة. ولكن كلّنا قلقون بشأن آليغرا».

قالت سيلفيا: «لا بأس على جوسلين؛ ما زالت مشغولة بإدارة العالم».

قال دانيال: «أشكر الله على ذلك. فلا أرغب قطعًا بالعيش في عالم لا تديره جوسلين». وكأن ذلك لم يكن ما فعله بالضبط. لقد خرج من العالم الذي تديره جوسلين إلى عالم لا علاقة لها به. هكذا فكّرت سيلفيا ولكنّها كانت شاكرة (ولكن ليس لدانيال)، ومرتاحة إلى درجة تغنيها عن قول ذلك بصوت عالٍ.

مشهد دانيال معها في البيت من جديد جعلها تعيش إحساسًا غريبًا. لقد أحسّت وكأنها نامت واستيقظت، وأنها لا تميّز ما إذا كانت لا تزال في الحلم أو في اليقظة. أي سيلفيا هي حقًّا الآن؟ سيلفيا من غير دانيال أو سيلفيا معه؟ لقد شعرت بطريقة أو بأخرى بأنها تقدّمت في السنّ أعوامًا خلال أشهر غيابه.

كانت قد عادت لتكون ابنة أبويها، ولتتذكّر أمورًا وحوادث في طفولتها لم تكن قد ساورت تفكيرها منذ زمن بعيد، وكأن وجود دانيال في حياتها كان سبب ذلك الانقطاع الطويل. كانت قد عادت لتحلم بالإسبانية من جديد. وعادت لتتذكّر أكثر وأكثر ورود أمّها، وآراء أبيها في السياسة، وتلك المسلسلات التلفزيونية التي أحبّتها جدّتها. أما الطلاق فمسلسل لا مفرّ منه. وأما الأدوار فمكتوبة مسبقًا ولا سبيل إلى تغييرها بحسب ما تريد. كانت تتصوّر مقدار غيظ دانيال لأنه لن يكون البطل المحبوب في قصّة طلاقه.

« قالت لها جوسلين مرّةً: «عليك أن تتذكّري أن الذي ترك البيت لم يكن دانيال الطيّب وحده، بل دانيال السيّئ أيضًا». ثم أضافت بعد قليل: «ألم يكن ثقيل الظلّ ولا يطاق أحيانًا؟ اكتبي قائمة بكل ما لم تحبّي من صفاته».

ولكن عندما حاولت سيلفيا أن تفعل بنصيحة جوسلين، وجدت أنّه نتج عن الأمور التي لم تكن تحبّها في دانيال أمور تحبّها. فإذا حاولت التركيز مثلًا على مسألة معاقبة أحد الأولاد، كان دانيال يرفض أحيانًا الاستماع إلى وعد يعطيه الطفل بعدم العودة إلى ارتكاب ذلك الخطأ من جديد، ويفرض عليها بالتالي معاقبته. وتتذكّر عندما كان يسألها عن الهديّة التي تريدها بمناسبة عيد الميلاد، ثمّ لا يلبث أن يهزّ برأسه قائلًا إن تلك الهديّة التي تريدها ليست في الواقع الشيء الذي تحتاجه. وقد قال لها عندما طلبت ماكينة لصنع الخبز: «سوف تضعينها في الخزانة ولا تستخدمينها أبدًا». وعندما لفتت انتباهه مرّة في أحد المخازن إلى السترة الشتوية التي كانت تريدها، قال: «إنها تشبه كثيرًا المعطف الذي لديك». كان شديد الاعتداد برأيه، ولم تكن تطيق ذلك قطّ.

ولكن سرعان ما تتحوّل ذكرياتها إلى أشكالها الايجابية، فتتنبّه سيلفيا إلى أن تربية الأولاد كانت صائبة بدليل أنّهم ناجحون وسعداء الآن وهي

فخورة بهم جميعًا. وهدايا الأعياد التي كان دانيال يختارها لها كانت مفاجآت جميلة جدًّا في معظم الأحيان.

وذات ليلة ماطرة سبقت بأسابيع الليلة التي دعاها فيها إلى المطعم ليعلن عن نيّته بالطلاق، استيقظت سيلفيا في منتصف الليل ولاحظت عدم وجوده في السرير. وعندما وجدته في غرفة الجلوس، كان يجلس ناظرًا إلى النافذة، متأملًا في مشهد المطر المنهمر بغزارة. وكانت الريح تلطم زجاج النوافذ وتؤرجح الأشجار بعنف. طالما أحبّت سيلفيا مراقبة هبوب العواصف ليلًا، إذ يبسّط ذلك في نظرها الأمور المعقّدة، ويجعل الانسان شاكرًا لمجرّد كونه في الداخل وتحت سقف دافئ يحميه.

غير أن تأثير المشهد لم يكن هو نفسه بالنسبة إلى دانيال، الذي ما لبث أن طرح السؤال عليها: «هل أنت سعيدة؟».

أحسّت سيلفيا بأن السؤال قد يكون مدخلًا لحديث طويل. وكانت قد خرجت من غرفتها من غير رداء دافئ فوق قميصها، وكانت حافية القدمين وتشعر بالبرد والتعب. أجابت: «نعم»، ولكن ليس لأنها كانت تعني ذلك حقًّا، بل لأنها أرادت عدم إطالة الحديث. ولكنّها قد تكون حقًّا سعيدة، فهي لا تتذكّر أن هنالك أمورًا تدفعها لقول العكس. ولم تكن قد طرحت على نفسها مثل هذا السؤال منذ زمن طويل.

«لا يبدو لي ذلك أكيدًا»، قال دانيال.

أحسّت سيلفيا بأن في جملته انتقاد مقصود، خصوصًا وأن دانيال كان قد تذمّر في وقت سابق من صمتها وخفوت حيويتها. متى ستتعلّم رمي كل ما يعكّر صفوها جانبًا؟ كانت المزاريب تفرغ المياه بقوّة فوق أرض الحديقة الخلفية. سمعت سيلفيا صوت مرور سيارة في الشارع القريب وسط المطر، ولكنها قرّرت العودة حالًا إلى سريرها. قالت: «سوف أذهب إلى النوم». فقال: «حسنًا، سأتبعك بعد دقائق».

ولكنّه تأخّر، واستسلمت هي للنوم ولذلك الحلم الذي غالبًا ما يراودها. إنها في مدينة غريبة ولا أحد من حولها يفهم اللغات التي تتكلّم بها. حاولت الاتصال ببيتها ولكن هاتفها الخليوي معطّل. وعندما توجّهت إلى إحدى محطّات الهاتف في الشارع وضعت نوعًا من النقود لم تقبله الآلة؛ وعندما نجحت أخيرًا بوضع القطعة الصحيحة، ردّ عليها صوت رجل غريب يقول إن دانيال غير موجود. «لا، لا أعرف إلى أين ذهب، ولا أعرف متى سيعود».

حاولت في الصباح التحدّث إلى دانيال ولكنّه لم يكن مستعدًا للخوض في الأمر. فقال لها: «لم يكن السؤال مهمًّا. لا أعرف ماذا قصدت بكلامي. لا تفكّري بالأمر».

كان دانيال قد توجّه إلى غرفة آليغرا ليحضر أغراضها. «هل نأخذ لها كتابًا». سأل بصوت مرتفع لكي تسمع سيلفيا. «هل تعرفين أي كتاب تقرأ آليغرا حاليًّا؟».

لم تجب سيلفيا على الفور، فقد دخلت إلى غرفتها لكي تتّصل بولديها دياغو وآندي حيث لاحظت وجود خمس رسائل مسجّلة. وعندما فتحتها، وجدت أربع رسائل فارغة أي مجرّد اتصالات أغلقت السماعة بعدها مباشرةً، وهي على الأرجح من بعض شركات التسويق عبر الهاتف؛ ورسالة خامسة بصوت غريغ تقول: «أريد التكلّم إليك...، هل توافقين أن نخرج لتناول طعام الغداء معًا في أي يوم تختارينه هذا الأسبوع؟ أنتظر اتصالك».

دخل دانيال فسمع الكلمات الأخيرة من الرسالة، وبدت المفاجأة على وجهه. أما سيلفيا فلم تفاجئها رسالة غريغ كثيرًا، لأنها شعرت بأنامل جوسلين وراءها. طالما شعرت سيلفيا بهدف جوسلين منذ البداية. لا توافق على ذلك بالطبع، فهو يصغرها سنًّا. ولكن من يستطيع إثناء جوسلين عن مشاريعها؟

توقّعت ألّا يسألها دانيال عن المتّصل. ولكن من الأفضل أن يفكّر بأن رجلًا آخر يحاول التقرّب منها؛ رجل محترم ومناسب، ويقرأ كتب جين أوستن، فقالت: «إنه غريغ هاريس، زميلي في منتدى جين أوستن الأدبي».

وفكّرت بطلب غريغ الغريب. سامح الله جوسلين!

سأل مجدّدًا: «هل نأخذ كتابًا إلى آليغرا؟».

«إنها تقرأ «*الإقناع*»، كلانا يقرأ هذا الكتاب حاليًا.

اتصل دانيال بولدهما البكر دياغو. إنه محام متخصّص في شؤون الهجرة ويعمل في لوس أنجلوس، وهو يحملُ اسم جدّه والد سيلفيا ويعشق السياسة مثله. غير أن دياغو يشبه والده أيضًا وإلى حدٍّ كبير، خصوصًا بنضوجه المبكر فقد كان جدّيًا وقادرًا على تحمّل المسؤوليات منذ الصغر تمامًا مثل دانيال.

واتصلت سيلفيا بابنهما الثاني آندي الذي يحمل اسم عمّه. شخصية آندي يغلب عليها المرح، وهو يعمل في هندسة الحدائق مع شركة في ماين. طباع آندي المرحة تدفعه إلى الاتصال بأمّه ليعبّر مثلًا عن إعجابه بمشهد طبيعي يقف أمامه، أو بطبق لذيذ يتذوّقه. وكثيرًا ما يرى أمورًا جميلة ويتذوّق مأكولات لذيذة.

اقترح دياغو على والديه أن يأتي ليكون معهما إلى جانب آليغرا، غير أن دانيال أقنعه بعدم المجيء. أما آندي الذي قد يتمكّن من الوصول إلى البيت في غضون ساعة تقريبًا، فلم يقترح المجيء ولم يخطر في باله ذلك قطّ.

أمضى دانيال وسيلفيا ليلتهما في المستشفى يغالبان النعاس في مقعدَيْهما أمام سرير آليغرا. أصرّ دانيال على البقاء، أما سيلفيا فبقيت خوفًا من الأخطاء التي تحدث في المستشفيات أحيانًا من غير المستبعد

جدًّا أن يتلهّى الأطباء أحيانًا بأمورهم الشخصية والعاطفية، فهنالك قصص الغزل والحبّ والنكوث بالعهود أو الوعود، وهناك من دخل إلى المستشفى بسبب حمى بسيطة وخرج منها بأعضاء مبتورة.

كانت تلك الليلة الأولى التي أمضياها معًا منذ أن ترك دانيال البيت.

كانت الساعة تقارب الثانية فجرًا أو ربّما الثالثة. كانت آليغرا نائمة وقد أدارت وجهها في اتجاه والدتها. وكانت تحلم بدليل أن سيلفيا لاحظت أن عينيها تتحرّكان تحت الجفنين، وحركة أنفاسها سريعة ومسموعة. قالت سيلفيا: «دانيال، أنا سعيدة».

ولكن دانيال لم يجب؛ فربّما كان نائمًا أيضًا.

اقترحت سيلفيا أن تذهب مع الأصدقاء لقضاء نهار السبت التالي في نزهة على شاطئ البحر. واقترحت وجبة سوشي في مطعم أوساكا في منطقة بوديغا باي، خصوصًا أن آليغرا تعشق السوشي وأوساكا هو المطعم المتخصّص الأفضل بالنسبة إليها. واقترحت سيلفيا أن تصطحب جوسلين كلبيها صحارى وثمبي ليركضا على الرّمال بحرية مطلقة، لعلمها الأكيد أن جوسلين لا ترفض مثل هذه الفكرة. إذ ليس من السهل أن تجد مكانًا يستطيع فيه كلاب ريدجباك الركض من غير حبل يشدّها إلى الوراء عند الحاجة. إنها تلك الكلاب التي لا تطيع الأوامر بالعودة متى انطلقت، إلا إذا كانت صاحبتها جوسلين بالطبع.

قالت سيلفيا لجوسلين: «رحلة إلى الشاطئ تتيح للجميع الهروب من حرّ وادي كاليفورنيا ليوم كامل. وأظنّ بأني سأدعو غريغ للذهاب معنا، عوضًا عن تلبية دعوته إلى الغداء». النشاطات الجماعية هي الحلّ لتفادي اللقاءات الحميمية غير المرغوب فيها. كان الحديث بين الصديقتين هاتفيًا، غير أن جوسلين انقطعت عن الكلام بضع لحظات. لم تكن سيلفيا قد أخبرتها بشأن دعوة غريغ لها، وربّما كان

صمتها نتيجة المفاجأة فحسب. قالت جوسلين أخيرًا: «حسنًا، أظنّ أن بإمكاننا اصطحاب راكبٍ إضافي في السيارة». ولكن سيارة جوسلين (الشاحنة الصغيرة) والتي ستستخدمها حتمًا من أجل الكلبين، سوف تتّسع لشخصين إضافيّين وليس لواحد فقط.

اعتذر غريغ عن الذهاب بدايةً لأن شقيقته كات جاءت لزيارته. ولكنّه، ولحسن الحظّ، اتصل ثانية وقال إن كات تشتاق حقًّا لرحلة إلى الشاطئ فهل يمكن لكليهما الذهاب؟ وتبيّن أن كات تشبه غريغ إلى حدّ كبير ولكنها أسمن منه، ولا تتمتّع برموشه الطويلة.

كانت حركة المدّ والجزر قد تركت خطوطها الدائرية الجميلة مرسومة على الرمال؛ والريح تسابق الأمواج لكي تداعب وجوهنا بالرذاذ المنعش. أما الأمواج فكانت تتكسّر إلى أجزاء تعكس ألوانًا خضرًا تارةً، وزرقًا أو بنية تارةً أخرى، ثم لا تلبث أن تختلط مجدّدًا وتنسحب بسلام تاركة وراءها أصدافًا ذات أشكال وأحجام متنوّعة، بعضها صغير وجميل، ولكن الالتزام بسلامة البيئة كان يثنينا عن التقاطه للتوّ.

جلست آليغرا تنظر إلى المحيط وخصلات شعرها تطير فوق عينيها فتكشف عن آثار الجرح على صدغها التي لم تكن قد اختفت كليًّا بعد. قالت لسيلفيا: «تبدو أوستن في كتاب *الإقناع* شديدة الاعجاب بالبحارة، تُرى أيّ المهن كانت ستحظى بإعجابها لو عاشت في عصرنا الحالي؟».

أجابت سيلفيا: «ربّما كانت ستعجب برجال الإطفاء، كما هو حال معظم الناس الآن». ولكنهما توقّفتا عن الكلام مع اقتراب جوسلين، ذلك أن طرح مواضيع الكتاب قبل موعد اللقاء قد يلقى تسامحًا وليس تشجيعًا.

بدت الكلاب في قمّة السعادة. التقطت «صحارى» حبلًا من الطحلب البحري وراحت تركض به، غير أنها توقفت فجأة لتنبح على مجموعة من أسود البحر التي لاحظت وجودها تتشمّس فوق أحد الصخور وسط

الزبد؛ نبحت أسود البحر في المقابل، وإنما الأجواء بقيت ودّية على وجه العموم.

وجد ثمبي طائر نورس نافقًا على الشاطئ فقفز وتدحرج فوقه، الأمر الذي حدا بجوسلين إلى جرّه إلى الماء وغسله وفرك وبره بالرمال الرطبة. كانت مياه البحر شديدة البرودة لدرجة أن قدمي جوسلين أصبحتا شديدتي البياض مثل بطن السمكة، واصطكت أسنانها كما لو لم نكن في شهر أغسطس/ آب. بدت جوسلين جميلة ومشرقة وقد عقصت شعرها وراء رأسها بمنديل، وصقلت النسائم الباردة بشرتها. هذا بحسب رأي سيلفيا على الأقلّ.

حاولت سيلفيا ألّا تجلس مع غريغ على انفراد، ولاحظت أن جوسلين تتفادى ذلك أيضًا. وإذا بالثلاثة يجلسون معًا فيما راحت جوسلين تتنشّف بقميصها القطني. قالت سيلفيا: «عندما كنت أقود السيارة إلى المستشفى، فكّرت أني لو وجدت آليغرا سليمة، فسأكون أسعد امرأة في العالم. وكانت سليمة وكنت أسعد امرأة. أما اليوم فاستيقظت لأجد حوض غسل الصحون مسدودًا، ولأكتشف وجود صراصير في المرأب، ولم يكن لديّ الوقت الكافي لمعالجة أيّ من المشكلتين. وها إن الجريدة تطالعنا كما في كلّ يوم بأخبار المآسي والحروب. أشعر اليوم بأني بحاجة لأذكّر نفسي بأني سعيدة. وتعرفون بالطبع، أنه لو كان العكس، أي لو أصيبت آليغرا بمكروه، لصرت تعيسة طيلة أيام حياتي، ولما احتجت أبدًا لأذكّر نفسي بأني تعيسة. تُرى لمَ حضور التعاسة في حياتنا يتفوّق على حضور السعادة؟».

« قالت جوسلين مؤيّدةً: «وجود عضوٍ سيّئ في المجموعة يخرّب المجموعة بأكملها، وخيبة أمل واحدة تخرّب اليوم كلّه. وحادثة خيانة واحدة تمحو أعوامًا طويلة من الوفاء. يحتاج واحدنا إلى عشرة أسابيع لاستعادة رشاقة جسمه، وعشرة أيام لخسارتها».

قالت سيلفيا: «هذا بالضبط ما قصدته. تجربة واحدة تعيسة تعكّر صفو كل شيء».

طالما شعرت سيلفيا بأن جوسلين أقرب إليها من أختها. وطالما تشاجرتا بسبب تأخر سيلفيا عن المواعيد، وبسبب نزعة جوسلين إلى السيطرة، أو بسبب ليونة سيلفيا البالغة، أو عناد جوسلين، ولكنهما لم تتخاصما مرّة خصامًا جدّيًا. مرّت أيّام وسنوات طويلة على صداقتهما، وأخذت سيلفيا دانيال من جوسلين، غير أن هذه الأخيرة، وببساطة، لم تتراجع عن حبّها لكليهما.

جاءت كات وانضمّت إلى المجموعة. أحبّت سيلفيا كات منذ اللحظة الأولى خصوصًا وأن هذه الأخيرة مرحة وتضحك كثيرًا ويذكّرك صوت ضحكها بوقوقة البطّ. قالت كات: «يحبّ غريغ الكلاب كثيرًا، ولم يكن مسموحًا في بيتنا اقتناء الكلاب. ولكن عندما أصبح غريغ في الثالثة، قرّر أن يتصرّف مثل كلب صغير، فكان علينا أن نربّت على رأسه ونقول له إنّه كلب محبّب، ونعطيه المكافآت اللذيذة».

«اختارت أختي آماليا كتابًا جيّدًا من أجل أن تقرأه لنا قبل النوم، وعنوانه 'الكلاب الخضر'. وهو من نوع القصص البوليسية التي تدور أحداثها في تكساس وتتكلّم عن قصة قريب يأتي من إنكلترا وعن لوحة فنيّة ضائعة. وفي القصة عدد كبير من الكلاب. الكتب والكلاب، محوران مهمّان في حياة غريغ».

وكانت آليغرا قد اكتشفت مجموعة من البحيرات الصخرية فنادت لكي يأتي الجميع لرؤيتها. إنها صغيرة، وإنّما يشكّل كلّ منها عالمًا متكاملًا. كان لها جاذبية بيت اللعبة في نظر الفتيات الصغار، ولكن من غير إمكان مدّ اليد إليها وتغيير أي شيء فيها. كانت مليئة بشقائق نعمان البحر المرصوفة بكثافة إلى جانب بعضها البعض؛ وكان هناك

بعض البطلينوس، وقد تتمكّن من رؤية واحد أو اثنين من القنافذ البحرية، وحوينات الصفيلح الصغيرة بحجم ظفر الابهام، وسمكة منوّة أو سمكتين. وكأن المشهد كلّه جاء مقدّمة لوجبة السوشي في مطعم أوساكا.

وعلى غير عادتها، أخطأت جوسلين الطريق في أثناء عودتنا، وتُهنا لمدّة نصف ساعة في ريف منطقة غلين آلين. كانت سيلفيا في المقعد الأمامي تتفحّص الخريطة الخاصّة بالمنطقة من غير جدوى. فقد بدا كل ما في تلك الخريطة فجأة، وفي ساعة الحاجة إليها، وكأنه لا يمت بصلة إلى واقع الطرقات والمسافات. وفي المقعد الخلفي، توجّهت كات إلى غريغ قائلةً: «يا إلهي، هل رأيت تلك اللوحة؟ إنها تشير إلى اتجاه لوس غوليكس. هل تذكر مدرسة لوس غوليكس للفتيات المشاكسات؟ تُرى هل ما زالت تلك المدرسة قائمة؟».

«درج والداي على تهديد أخواتي بإرسالهن إلى مدرسة لوس غوليكس»، أخبرنا غريغ. وتابع: «إنها خرافة تخصّ عائلتنا تحديدًا. قرأ والداي عن ذلك المكان في الجريدة ويبدو أنّه كان مخيفًا».

قالت كات: «حدثت تظاهرات في لوس أنجلوس ربّما قبل ولادتي، وكانت قد بدأت مع عدد من الفتيات في لوس أنجلوس. تداولت الصحف حينها بكثافة أخبار تلك التظاهرات التي دامت أربعة أيام متتابعة. كانت الشرطة تنجح في توقيف عددٍ من الفتيات المشاغبات، وتسرع من ثمّ إلى طمأنة الناس بأن كل شيء بات نظاميًا؛ ولكن مجموعات أخرى كانت تعود إلى أعمال الشغب في الليلة التالية. كنّ يتناولن الكحول حتى الثمالة، ويقمن بتكسير النوافذ، والهجوم على الشرطة بسكاكين المطبخ وقِطَع الزجاج المكسور. اقتلعن كراسي المراحيض من المنازل ورمين بها من الشبابيك إلى الشارع مع المفروشات. وانتقل الشغب إلى قلب المدينة حيث كنّ يحطّمن واجهات المخازن التجارية. استُدعي

الحرس الوطني للتدخّل ولم يتمكّن من السيطرة على الأمور. أربعة أيّام حافلة بأعمال التخريب والعنف على يد مجموعة كبيرة من المراهقات». وختمت كات: «طالما فكّرت بأنها تصلح لأن تكون مادّةً لفيلم سينمائي ناجح».

قالت سيلفيا: «لم يسبق لي أن سمعت بهذه القصّة! كيف بدأت؟».

أجابت كات: «لا أعلم. كان الاتهام موجهًا إلى الفتيات المثليّات العنيفات».

قالت آليغرا: «بالطبع، ومن دون شك». فلطالما سمعت آليغرا اتهامات بإثارة الشغب موجهة إلى النساء المثليات العنيفات!؟ وكل مرّة كان ردّ فعلها بهذه الكلمات عينها!؟

شعرت سيلفيا بأن ردّ ابنتها هذه المرّة يبدو أشدّ عزمًا. ربّما أحسّت آليغرا بإعجاب خبيث بتلك المثليّات القادرات على اقتلاع المراحيض ورميها في الشارع.

قال غريغ: «كنت أرى في نومي كوابيس، حيث كانت تتبعني فتيات مشاغبات بالسكاكين».

أجابت كات: «لا غرابة في ذلك، ألا تتساءل أحيانًا أين أصبحت تلك الفتيات الآن؟».

«اتبعي هذه الطريق»، قالت سيلفيا لجوسلين؛ وسبب اختيارها لتلك الطريق بالذات أنها رأت بستانًا من الورود عند المنعطف.

سارت جوسلين في تلك الطريق، وأوكلت إلى القديسة تيريزا مهمّة إرشادهم إلى البيت.

ولكن الحال سيّان بالنسبة إلى سيلفيا، أي لا بأس لديها لو وجدوا أنفسهم فجأة أمام مدرسة لوس غوليكس.

كانت جوسلين صامتة في معظم الوقت، وسبب صمتها يعود في جزءٍ منه إلى أنّها لم تكن قادرة تمامًا على سماع معظم الحديث الذي كان يدور في الخلف؛ ولأنها عندما كانوا على الشاطئ وكانت سيلفيا منشغلة مع آليغرا في تفحّص البحيرات الصخرية، وفيما كان غريغ منشغلًا برمي قطعٍ من الأخشاب الطافية إلى الكلاب ليكتشف بعد ذلك أن نوع الريدجباكِ لا يحسن الالتقاط بهذه الطريقة، انتهزت كات الفرصة لتتكلّم معها من غير سابق إنذار. قالت لها بغتةً: «أخي يحبّك، وأتوقّع أنه لن يسامحني قطّ لو علم أني قلت لك هذا. ولكني أعتقد بأنه من الأفضل أن تعلمي. هكذا يصبح الأمر بيدك. وأنا متيقّنة أنّه لن يحرّك ساكنًا لو تُرك الأمر له».

«هل قال لك إنه يحبّني؟»، سألت جوسلين وندمت على سؤالها للتوّ. فكم يذكّر سؤالها بما قد تتفوّه به فتاة في الصفوف الثانوية في مثل هذا الموقف؟

«أرجوك، إني أعرف أخي جيّدًا». وردّها هذا يعني أنه لم يقل لها شيئًا صريحًا، فكّرت جوسلين. وعندما أدارت هذه الأخيرة وجهها صوب الشاطئ، رأت غريغ والكلبين قادمين عدوًا وقفزًا في اتجاهها. وبدا ثمبي مثبتًا ناظريه في اتجاه غريغ وكأنه مسحور به.

كلاب ريدجباك من فصيلة كلاب الصيد وهذا يعني أنها ودودة، ولكنها تتمسّك باستقلاليتها. أحبّت جوسلين هذه الكلاب لأنها تحبّ التحدّي. وهي لا ترى لذّة في اقتناء كلب سهل الانقياد، مثلما تحبّ الرجل المستقلّ تمامًا. قبل مرافقتها إلى الحفل السنوي في المكتبة، كان غريغ يبدو بالنسبة إليها وكأنه من النوع الذي يسعى إلى نيل رضى الآخرين.

ثمّ جاء غريغ وانضمّ إليهما ولم يبقَ ما يمكن قوله. بدا واضحًا أنه

يحبّ شقيقته وهذا أمرٌ مشجّع. وقف الاثنان معًا ووضع ذراعه حول كتفي شقيقته. كان وجهها مرتاحًا في الهواء الطلق من غير أن يخفي عمرها. وقد بدت جميلة على الرغم من أشعّة الشمس القويّة التي تظهر كل تفاصيل وجهها وجسدها، وفكرت جوسلين أن قليلات من النساء ينجحن في مثل هذا الاختبار. من الواضح أنهما ينتميان إلى سلالة قويّة البنية. الأخ والأخت كلاهما يتمتّعان بأسنان سليمة؛ وأذنا كلّ منهما صغيرتان وحسنتا الشكل؛ كما أنّ أطرافهما طويلة وصدر كلّ منهما عريض.

وبعد أن أوصلت غريغ وكات إلى منزلهما، ووصلت أمام بيت سيلفيا؛ وبعد أن قفزت آليغرا من السيارة ودخلت إلى البيت على الفور لتقوم بمخابرة هاتفية، أخبرت جوسلين سيلفيا بما قالت لها كات. وأردفت: «لست مقتنعة بما قالته كات. منذ أيام قليلة تشاجرنا بقوّة؛ ومع أنه اعتذر كثيرًا ولا بأس في ذلك، ولكنّي... وفي جميع الأجوال، كنت أفكّر به لك أنت. ألم يسألك الخروج معه لتناول الغداء؟».

أجابت سيلفيا على الفور: «ولكني لا أريده! أخذت منك صديقك عندما كنّا في المدرسة، وها إني فقدته. لن أفعل ذلك ثانيةً؛ هل تحبّينه؟».

«إني أكبره سنًّا»، أجابت جوسلين.

«وأنا، ألا أكبره أيضًا؟».

«ربما كنت أريده لعلاقة قصيرة».

«ابدئي معه هذه العلاقة القصيرة».

«أظنّ بأني سأقرأ تلك الكتب التي قدّمها لي. إن وجدتها جيّدة، فسوف لن أرفض المحاولة». لم تكن جوسلين، على الأقلّ، إحدى تلك النساء اللاتي يتوقّف ميلهنّ إلى الرجل ما إن تكتشفن ميله إليهنّ.

وجدت آليغرا رسالة تحت الباب، فالتقطتها ووضعتها على الطاولة

في غرفة الطعام. فتحتها سيلفيا وقرأت: «أريد العودة إلى المنزل. أعلم أني ارتكبت خطأً فادحًا وربّما لا أستحق مغفرتك. ولكنّي أودّ أن تعلمي بأني أريد حقًّا العودة».

«كنت أشعر دائمًا بأنّ من واجبي أن أجعل كلًا منكم سعيدًا، وأشعر بالفشل عندما لا أرى السعادة على وجوهكم. لم أكتشف هذا الأمر بنفسي، بل أستعين حاليًا برأي أحد الأخصائيين».

«كنت شديد الحماقة عندما كنت أطلب منك إظهار سعادتك بشكل أوضح. أعتقد الآن بأنّي لو استطعت العودة إلى البيت فسوف لا أعترض على تقلّبات مزاجك المحبّبة».

«تأكّدت في الأسبوع الماضي أني لا أستطيع العيش مع امرأة لا يمكنني اصطحابها إلى غرفة ابنتي في المستشفى. وفيما كنت أستسلم للنعاس من حين إلى آخر خلال تلك الليلة التي قضيناها معًا في المستشفى، راودني حلم أني موجود في وسط غابة، (أتذكرين عندما ذهبنا مع الأولاد إلى متنزّه سنوكالمي الوطني، وقال دياغو: 'قلتم إننا ذاهبون إلى الغابة، ولا أجد هنا سوى الأشجار!؟')، حلمت أني أضعتك في الغابة وأصابني رعب شديد، قبل أن أستيقظ لأجد أنك في الجهة المقابلة من الغرفة. شعرت إذ ذاك بارتياح عظيم لا يمكنني وصفه. كنتِ قد سألتني كيف حال بام. لم أرَها منذ شهرين. واكتشفت أخيرًا أنها ليست المرأة المناسبة لي».

«كنت غير عادل وضعيفٍ، وسريع الامتعاض ومتقلّبٍ. ولكنك لم تغادري قلبي أبدًا».

راحت سيلفيا تفتح الرسالة وتغلقها، وتحاول مراقبة مشاعرها. أحسّت بالفرح. وأحسّت بالغضب. شعرت بأن عودة دانيال قد لا تكون انتصارًا، لأنه يعود إليها ربّما لأنه لم يجد امرأة أخرى تريده.

لم تطلع ابنتها على مضمون الرسالة، ولم تخبر حتى جوسلين عنها. لا شكّ أن رأي جوسلين سيكون منسجمًا مع الجواب الذي ستعطيه سيلفيا. ولكن سيلفيا نفسها لا تعرف بعد كيف ستكون إجابتها. الأمر في منتهى الأهمية ولا يمكن أن تطلب من جوسلين إبداء رأيها من غير إيضاحات منها. تفضّل سيلفيا البساطة في التعاطي مع الأمور، ولكن الأمور تصرّ على أن تبقى معقّدة. وشرعت تحمل الرسالة معها أينما ذهبت، وتعيد قراءتها مجدّدًا مرّات ومرّات، وتحاول مراقبة مشاعرها التي تتغيّر مع إعادة قراءة كل جملة، فكأنها تنظر في مشكال متغيّر الزوايا والألوان.

انعقد آخر لقاء رسمي لمنتدى جين أوستن الأدبي في منزل سيلفيا مرّة ثانية. وكانت الحرارة معتدلة بالنسبة لما يُتوقّع أن تكون عليه في شهر أغسطس في وادي كاليفورنيا. كنّا نجلس في الحديقة تحت شجرة الجوز الوارفة عندما غابت الشمس وتسلّلت إلينا من الوادي نسائم الأنهار المنعشة. وكانت سيلفيا قد أعدّت لنا مشروب كوكتيل *مرغريتا*، وقدّمت بوظة بالفراولة أعدّتها بنفسها مع نوع خاص من الكعك بالسكر الذي كانت قد صنعته بنفسها أيضًا. أمسية رائعة بالفعل!

بدأ اللقاء بخبر أعلنته آليغرا وهو أن عيد ميلاد سيلفيا بات قريبًا، وأنها أعدّت لأمها هديّة ستقدّمها قبل الموعد لأنها ترغب في إطلاعنا عليها. كانت الهديّة بحجم وشكل قالب جبن كرويّ كبير، لفّتها آليغرا بإحدى الجرائد الكوميدية المصوّرة الصادرة في الأسبوع الماضي. نظرنا إلى سيلفيا وتوقّعنا أن تفكّ الشريط الجميل وأن تطوي ورقة الغلاف بعناية بعد نزعها، ولكنّها فعلت العكس تمامًا، وفتحت الهدية بسرعة أكبر حتى مما كانت ستحتاجه كلاب جوسلين مجتمعة لفعل ذلك.

كانت آليغرا قد اشترت إحدى طابات السحر الأسود (*Black Magic 8*) والتي تحمل رقم 8 عليها. فتحت الطابة وغيّرت الإجابات المثبتة في داخلها وأغلقتها من جديد. ثمّ لوّنتها بدهان أخضر غامق، وفوق الرقم 8

طبعت نسخة عن رسم بريشة كاسندرا أوستن لشقيقتها جين. كنا جميعًا على يقين من أن جين كانت في الحقيقة أجمل مما بدت عليه في تلك الصورة؛ ولكن لو رغبت في الحصول على صورة لجين أوستن في أيّ وقت، فإنك لن تجدها بسهولة.

أما الشريط الذي يشدّه اللاعب فقد كتبت عليه عبارة «اسأل أوستن» باللون الأحمر، وبخطّ يشبه خطّ يد أوستن، نفّذته آليغرا بعد اطّلاعها على نسخة عن مخطوطة لأوستن وجدتها في مكتبة الجامعة.

قالت آليغرا لأمها: «هيّا، اطرحي سؤالًا!».

وقفت سيلفيا لتقبّل ابنتها؛ الهدية حقًّا رائعة وآليغرا فائقة المهارة؛ ولكنّها لم تعثر على سؤال يسهل طرحه أمام المجموعة. سوف تطرح أسئلتها الخاصّة لاحقًا، بعد انصراف الجميع.

«سأكون الأولى»، قالت برناديت التي بدت أنيقة في تلك الليلة وما من خصلة من شعرها في غير موضعها. لم يكن لون جرابها مناسبًا للفستان، ولكن ما لزوم ذلك؟ أما حذاؤها فكان جميلًا ومناسبًا.

«هل أسافر؟»، طرحت برناديت السؤال على أوستن. كانت تفكّر برحلة استكشاف لأنواع الطيور في كوستاريكا. الرحلة مكلفة ولكنها غنيّة. خضّت برناديت الطابة وقلبتها وانتظرت، ثمّ قرأت: «*شغفك بأوراق الشجر اليابسة ليس متوفرًا لدى جميع الناس*».

«هذا يعني أن تذهبي في الخريف»، قالت جوسلين.

أخذت برودي الطابة. ثمّة سبب يجعل مشهد برودي مع أي غرض أو رمز سحري بين يديها يبدو منسجمًا. لا شكّ بأن السرّ يعود إلى بياض بشرتها الذي يذكّرك بأسطورة «*بياض الثلج*»، وإلى ملامح وجهها الحادّة وعينيها السوداوين اللتين لا تُسبر أعماقهما. وخطر في بالنا أنها لو تحتفظ بمثل هذه الأشياء دائمًا كإحدى مكمّلات مظهرها.

سألت برودي: «هل أشتري حاسوبًا جديدًا؟».

وأجابت أوستن: *«أرى أنك عندما تفقدين الشيء تفقدينه إلى الأبد»*.

«أعتقد بأنّ هذا يعني كلّا»، قالت آليغرا، وتابعت: «عليكِ أن تفهمي الإجابة أيضًا من منظار مغاير للمعنى المباشر؛ أي على ضوء الحِكَم القديمة».

ثمّ جاء دور غريغ وكانت أطراف شعره ورموشه قد ازدادت شقرة منذ بداية الصيف. يبدو أنّه قادر على اكتساب لون برونزي جميل بسرعة تحت أشعة الشمس، بدليل أن تأثير تلك الرحلة القصيرة إلى الشاطئ بدا واضحًا على وجهه، وجعله يبدو أصغر سنًّا بخمس سنوات على الأقلّ. ولكن، لا شكّ بأن ذلك لا يدعم حظوظ امرأة تكبره سنًّا وتفكّر في احتمال مواعدته.

سأل غريغ: «هل أبدأ بتأليف كتابي؟ أقصد قصّتي البوليسية؟».

تجاهلت أوستن هذا السؤال، وأجابت عن سؤال آخر. ولكن غريغ وحده تنبّه لذلك. *إنه يتقدّم خطوة بعد خطوة، ولا يخاطر حتى يشعر بالأمان.*

«أنا متأكّد أن بإمكانك بيع عدد كبير من هذه الطابات يا آليغرا، ويمكنك تسويقها تحت أسماء عدد من المؤلّفين، مثل ديكنز، ومارك توين، وميكي سبيلان. لن أتردّد في دفع أيّ ثمن مقابل نصيحة من ميكي سبيلان يوميًّا».

كنا سنصبح على أهبّة الدفاع الشرس في وقت سابق لمجرّد سماعنا بمثل هذا التقهقر السريع من أوستن إلى سبيلان. فيمَ الآن، وقد بات غريغ يحتلّ مكانة في قلوبنا. آثرنا التفكير بأنه قصد المزاح بكلامه ليس أكثر.

أعطى غريغ الطابة إلى جوسلين التي بدت ملفتة في تلك الليلة وأكثر جمالًا من العادة. كانت ترتدي قميصًا لم يره أي منّا من قبل، حتى

سيلفيا، وهذا يعني أنها اشترته حديثًا جدًّا ــ وترتدي تنورة طويلة باللون الكاكي الفاتح.

سألت جوسلين: «هل أجرّب حظّي؟».

«*شغفك بأوراق الشجر اليابسة ليس متوفرًا لدى جميع الناس*». تلك كانت إجابة أوستن.

قالت آليغرا: «يبدو أن هذه الإجابة تصلح لمعظم الأسئلة»، وتابعت: «على كل حال، من الأفضل دائمًا أن تجرّبي حظّك؛ إنها نصيحة آليغرا».

التفتت جوسلين إلى غريغ وقالت: «قرأت الكتابين هديّتك من تأليف لو غوين (Le Guin) واشتريت كتابًا ثالثًا. أنجزت قراءة نصف «*طريق البحر*» حتى الآن. «إنها رائعة! لم أعثر على كاتبة جديدة أحبّها منذ زمن طويل».

انتفضت رموش غريغ بسرعة ومرارًا قبل أن يجيب: «لو غوين تنتمي إلى مستوى خاص بها بالطبع»، قال كلماته بتأنٍّ، ومظاهر الحماسة تتسارع لتصبح واضحة عليه. وتابع: «ولقد كتبت عددًا لا يستهان به من الكتب. ويمكنك الاستمتاع أيضًا بقراءة نتاج مؤلفين آخرين مثل جوانا روس، وكارول أمشويللر».

انخفضت أصواتهما فجأة وأصبح الحديث بينهما خاصًّا، ولكننا، وعبر اليسير الذي كان يترامى إلى مسامعنا، عرفنا أنهما ما زالا يتكلّمان عن الكتب. هل أصبحت جوسلين من قرّاء أدب الخيال العلمي أخيرًا؟ لا مانع لدينا في ذلك. نعلم خطورة مثل تلك الكتب على القرّاء غير المحصّنين ضدّ التصوّرات المغالية البائسة، ولكن لا خطر قطعًا على الذين يستمتعون أيضًا، وبقسط وفير، بقراءة الأدب الواقعي. سررنا لرؤية غريغ سعيدًا إلى هذه الدرجة، وفكّرنا أن لا ضير علينا لو بدأنا جميعًا بقراءة لو غوين.

ثمّ عادت الطابة إلى يدي سيلفيا، فسألتها: «هل نبدأ الآن الكلام حول كتابنا «*إقناع*»؟ وجاء الجواب: «*شغفك بأوراق الشجر اليابسة ليس متوفّرًا لدى جميع الناس*».

«لم تخضّيها»، اعترضت آليغرا. ثمّ رنّ الهاتف، ونهضت آليغرا لتجيب في الداخل. «هيّا ابدأوا، وسأوافيكم حالًا».

وضعت سيلفيا الطابة جانبًا، وأخذت الكتاب وقلّبت الصفحات إلى أن وصلت إلى الفصل الذي تريده. وقالت: «اضطربت مشاعري جرّاء الاختلاف في طريقة كلام أوستن على موت ديك موسغروف مقارنة بكلامها على موت فاني هارفيل». ثمّ أضافت: «تجري الأمور بطريقة مؤاتية جدًّا للحبكة عندما يقع خطيب فاني في حبّ لويزا، إذ يصبح الكابتن ونتوورث حرًّا لكي يعقد قرانه على آن. ومع ذلك، فإنك تلاحظ أن أوستن لا تؤيّد تمامًا ما يجري. وتقرأ سيلفيا بصوت عالٍ ما يلي: «يقول أخوها: 'مسكينة فاني! لو كانت في مكانه لما نسته بهذه السرعة! '. ولكننا لا نرى دموعًا تذرف على موت ديك موسغروف؛ هل خسارة الابن أقلّ أهميّة من خسارة الخطيبة؟ لم تكن أوستن أمًّا ولم تختبر مشاعر الأمومة».

قالت برناديت: «وكذلك، لم تكن مخطوبة». ثم استدركت: «ربّما كانت كذلك مرّةً ولكن لفترة قصيرة جدًّا لا تُحتسب. لهذا فالأمر ليس 'الابن في مقابل الخطيبة'».

حامت ذبابة في فضاء الشرفة فوق رأس برناديت. وكانت كبيرة وبطيئة وتُصدر صوت أزيز مزعج. كانت مزعجة بالنسبة إلينا، ولكن ليس على الأرجح بالنسبة إلى برناديت التي قالت: «ما يهمّ هو مكانة الشخص المتوفّى. إذ كان ديك شابًّا غير مجدٍ، وغير قابل للإصلاح، أما فاني فكانت امرأة متميّزة. الناس يحقّقون ويكسبون في حياتهم مقدار شعور

الناس بفقدانهم لدى موتهم. كتاب *الإقناع* يدور حول هذا الموضوع بالذات، موضوع استحقاق المكانة في المجتمع. رجال البحرية الذين صنعوا أنفسهم بعرق جبينهم يحتلّون مكانة أكبر في الكتاب من أبناء عائلة إليوت الأرستقراطية. حتى آن فهي أعلى مكانة وقيمة من أخواتها».

قال غريغ: «ولكن آن كسبت أكثر مما تستحقّ دائمًا، وكذلك كان نصيب المسكينة المتوفاة فاني».

قالت سيلفيا: «أظنّ بأن كلًّا منّا يستحق من التقدير أكثر مما يكتسبه بنفسه، وأرجو أن يكون مثل هذا الكلام مفهومًا. أتوق لأرى العالم أكثر تسامحًا. وأشعر بالأسف على ديك موسغروف الذي لم يلقَ حبًّا أكثر مما اكتسبه بنفسه».

خيّم الهدوء للحظات، فيما أصغينا لأزيز الذبابة وغرقنا في أفكارنا الشخصية. مَنْ يحبّنا؟ من يحبّنا أكثر مما نستحقّ؟ شعرت برودي برغبة مفاجئة في الذهاب إلى البيت لرؤية دين. لم تفعل، ولكنها ستخبره بالطبع لاحقًا عن هذا الاحساس.

قالت جوسلين: «لا تكثر حوادث الوفاة في كتب أوستن الأخرى، كما تكثر في *الإقناع*»، وكانت قد أخذت قطعة من البسكويت من صحن غريغ من غير أن تسأله. تطوّرٌ سريع! وأضافت: «تُرى، هل كانت أوستن تفكر بموتها هي؟».

سألت برودي: «هل كانت تشعر بأنها ستموت قريبًا؟». ولكن سؤالها لم يلقَ إجابة من أحد.

وتكلمت برناديت فقالت: «يا لها حقًّا من بداية داكنة لهذا اللقاء. أودّ الكلام عن ماري، أحبّها كثيرًا. وباستثناء شخصية كولنز في *كبرياء وهوى*، وشخصية لايدي كاثرين دو بور أيضًا؛ وباستثناء السيد بالمر في *العقل والعاطفة*، والسيد وودهاوس الذي أحبّه في كتاب *إيما*؛ باستثناء

جميع هؤلاء، فإن ماري هي مفضّلتي من بين جميع شخصيات أوستن الفكاهية. أحبّ أسلوبها في التشكّي دائمًا، وإصرارها على أن الآخرين يستخدمونها لغاياتهم ويهملونها في معظم الأحيان».

ثم قرأت برناديت جملًا من الكتاب تأييدًا لرأيها: « 'أنتِ التي لا تعرفين مشاعر الأمومة'. 'الجميع يعتبر بأنّي لا أحسن المشي!' »، وراحت تتابع فقرأت عددًا من الفقرات بصوت عالٍ من غير أن يناقشها حول ذلك أحد. كنا نصغي بتكاسل تامّ وسط تأرجح النسائم المسائية المنعشة واللطيفة. لو كانت آليغرا موجودة بيننا لما تمالكت نفسها عن الاعتراض على برناديت بملاحظة قد تكون قاسية، كما تعوّدت أن تفعل أحيانًا، ولكنّها في الداخل. لا أحد إذًا من الحاضرين لا يحبّ ماري؛ ماري شخصية عظيمة وتستحق أن نشرب نخبها. ولهذا، توجّهت سيلفيا ولحقت بها جوسلين إلى الداخل لإعداد كأسين جديدتين من المارغريتا.

وفي طريقهما شاهدا آليغرا التي كانت لا تزال تتحدّث عبر الهاتف وتقوم بحركات بيدها وكأن المتكلّم في الطرف الآخر يشاهدها: «...اقتلعن المراحيض ورمين بها عبر النوافذ إلى الشارع»، كانت تقول. خسارة أن هاتفها ليس مزوّدًا بجهاز فيديو ولا يتيح لمحدّثها، أو لمحدّثتها، رؤية تعابير وجهها الجميل وإيماءات يديها التي تذكّر بنجمات السينما الصامتة. ثمّ غطّت السماعة بيدها وقالت لسيلفيا: «د. يب تحيّيك».

«د. يب؟»، قالت جوسلين، وانتظرت حتى انتهت سيلفيا من استخدام الخلاط الكهربائي لكي تقترب منها وتهمس: «أيّ أمّ لا ترغب في أن تتواعد ابنتها مع طبيبة لطيفة؟».

قول سهل! من المؤكّد أن جوسلين لم تشاهد حتى ولو حلقة واحدة

من مسلسل د. مالوني. تعلم سيلفيا جيّدًا طريقة حياة الأطباء، وما قد يجري للتوّ؛ ففي أيّ لحظة الآن، يمكن أن يقع أحد الناس في غيبوبة، أو تقع حادثة في مطبخ أثناء استخدام الخلّاط الكهربائي، أو تحدث وفاة في ظروف غريبة وتتبعها محاكمات بتهمة القتل؛ أو يتمّ اكتشاف حالة حمل في ظروف هستيرية تتبعها عملية إجهاض غير ضرورية؛ سلسلة طويلة ومعقّدة من الكوارث.

«إني سعيدة لأجلها»، قالت سيلفيا. وسكبت كمية أكبر من خليط المارغريتا لنفسها؛ «إنها تستحقّ». وأضافت بنبرة غير صادقة حقًّا: «تبدو د. يب امرأة لطيفة». والطبيبة كانت كذلك بالفعل.

كانت برناديت لا تزال تتحدّث عندما عادت سيلفيا وجوسلين إلى الشرفة، ولكنها انتقلت من ماري إلى أختها الكبرى إليزابيث. كانت شخصية إليزابيث محبّبة أيضًا وإنّما أقلّ فكاهة من أختها، وهذا ما قصدت الكاتبة إظهاره بالطبع. ثم انتقلت برناديت إلى الحديث عن الخبيثة المتواطئة السيدة كلاي، وكيف أنها أسوأ من شارلوت في كتاب *كبرياء وهوى*. ولكن، ألم يتفق الجميع في وقت مضى على محبّة شارلوت؟

وما إن انبرت سيلفيا للدفاع عن معبودتها شارلوت، حتى رنّ جرس الباب وذهبت لتفتحه، ولترى أمامها دانيال، وعلى وجهه الرمادي إمارات اضطراب وحزن كانت سيلفيا تفضّلها على ابتسامة السياسي الكاذبة التي سرعان ما حلّت مكانها.

وبادرته سيلفيا بالقول: «لا أستطيع التحدث إليك الآن. قرأت رسالتك، ولكني غير قادرة على الكلام. رفاقي في منتدى الكتاب هنا الآن».

«أعلم هذا، أخبرتني آليغرا»، ومدّ دانيال يده وفيها كتاب تظهر على

غلافه صورة امرأة تقف أمام شجرة وارفة. إنها نسخة آليغرا من كتاب *الإقناع*. «قلّبت صفحاته في المستشفى، وقرأت ما كتب على غلافه الأخير وعرفت أنّه يدور حول إعطاء 'الفرصة الثانية' ففكّرت إنه الكتاب المناسب لي».

وتوقّف عن الابتسام فجأةً وعادت إلى محيّاه إمارات التوتر، ولاحظت سيلفيا ارتجاف الكتاب في يده، فرقّ قلبها.

«قالت لي آليغرا إنك ربّما ستغفرين لي، وأردت المحاولة آملًا أن تكون ابنتنا على حقّ».

لم تتذكّر سيلفيا أنها تركت لدى آليغرا هذا الانطباع، خصوصًا وأنها لم تتكلّم معها بشأن دانيال كثيرًا. ولكنّها دعته إلى الدخول ومشت أمامه إلى الشرفة حيث كان الجميع. وقالت: «يرغب دانيال بالانضمام إلينا».

قالت جوسلين بصوت جافّ: «إنه ليس عضوًا في المنتدى. القوانين واضحة ولا استثناء لصالح عشّاق النساء الذين يهجرون بيوتهم».

«كتاب *الإقناع* هو أفضل كتب أوستن بالنسبة إليّ».

«هل قرأته؟ هل قرأت أي كتاب لأوستن؟».

وقد ردّ قائلًا: «إني على أتمّ الاستعداد لقراءة كل كتب أوستن، مهما كلّفني هذا الأمر».

كان يحمل زرّ ورد قصير الساق في جيب سرواله الجينز الأعلى. سحب زرّ الورد، وقال: «أعلم أنكم قد لا تصدّقون أني وجدت هذا على الممرّ الجانبي أمام البيت. أتأمّل أن تنظروا مثلي إلى هذا الأمر على أنه رسالة». ثمّ أعطى زرّ الورد إلى سيلفيا مع بضع وريقات كانت قد سقطت منه. وقال لها:[1]«*Te echo de menos, chula*».

(1) «جملة إسبانية معروفة وتعني: «متى ستعودين إليّ، اشتقت إليك». (المترجمة).

وإذا ببرودي تجيبه ببرود بالفرنسية: «Les fleurs sont si contradictoires» لكي تذكّره بأن بعضنا لا يتكلّم الاسبانية. كان غريغ قد اكتفى بكأس واحدة من المارغريتا، وأعطى الكأس الثانية التي قُدّمت له إلى برودي ليصبح مجموع ما شربته ثلاث كؤوس. وكان في الإمكان التنبّه إلى إفراطها في الشرب من طريقة لفظها لكلمتي «sont si». ولكن ما لبثت أن تبرّعت لدانيال بترجمة جملتها إلى الإنكليزية بقولها إن الجملة من كتاب *الأمير الصغير* وتعني أنه يجب ألا نستمع لرسائل الورود لأنها غالبًا ما تكون متناقضة. غير أن دانيال لم يترجم جملته الاسبانية ولم يبادل برودي اللياقة عينها.

ما من أحد أكثر رومانسية من برودي (وهذا بشهادة كل من يعرفها!) ولكن لم يكن إعطاء سيلفيا الوردة لائقًا بالفعل، وعمله هذا خيّب ظنّها به. إضافةً إلى أنّ شعورًا بالذنب انتابها لأنها كانت تعرف أن تلك الوردة تخصّها، وكان دين قد قطفها لها في البيت قبل أن تأتي، فأثبتتها بدبّوس على قميصها، واكتشفت أنها وقعت عنه في مكان ما قبل دخولها إلى بيت سيلفيا.

لم تكن متأكّدة من شعورها بأن استعانته بكتاب *الإقناع* كانت أيضًا وسيلة رخيصة، ولكن من الذي يجرؤ على وضع كتاب أوستن في موقع يشوبه الشك؟

«فلنسأل أوستن»، اقترحت برناديت.

خضّي الطابة، خضّيها جيّدًا. واضح أن غريغ كان مؤيّدًا لدانيال. وكان من المتوقّع كالعادة أن يتعاضد الرجال في ما بينهم.

وضعت سيلفيا الوردة جانبًا وكانت تنحني بثقل فوق ساقها القصيرة تارة لجهة اليمين وتارةً أخرى لجهة اليسار. لو حملت تلك الوردة رسالةً، فهي بالتأكيد غير واضحة. أمسكت سيلفيا الطابة بيديها وخضّتها. وبدت

الإجابة بالظهور: «*أرى أنك عندما تفقدين الشيء تفقدينه إلى الأبد*»؛ غير أن سيلفيا لم تكن راغبة باستقبال هذه الإجابة، فأدارت الطابة قليلًا وبحذر لكي لا يلاحظ أي من الحاضرين ما تفعله، حتى ظهرت الإجابة التالية: «*عندما أكون في الريف لا أرغب أبدًا بالمغادرة، وعندما أكون في المدينة لا أرغب بالمغادرة أيضًا*».

وسألت جوسلين سيلفيا: «ماذا تعني هذه الجملة برأيك؟».

«هذا يعني أن باستطاعته البقاء»، قالت سيلفيا، ولاحظت إشراقة ارتياح تضيء لحظةً على وجه جوسلين.

عادت آليغرا من الداخل، وانطلقت بصوت عالٍ: «أهلًا بابا، ها أنت أخذت كتابي، وأخذت كأسي، وأخذت مقعدي!». كان صوتها مرحًا ويدعو إلى الريبة. بدت آليغرا بوجه ملاك وعيني متآمر، واقتربت من والدها فأزاح قليلًا ليتيح لها مكانًا للجلوس بقربه.

راقبت سيلفيا جلوسهما معًا، وكانت آليغرا قد وضعت رأسها على كتف والدها، فأحسّت للتوّ باشتياق شديد إلى ولدَيها. لم تكن في شوق إلى ولديها البالغين العاملين والمتزوجين، ولا للمراهقين المشغولين بالصديقات والتلفونات الخلوية، بل إلى الصبيّين اللذين كانا يلعبان بالكرة ويجلسان في حضنها لتقرأ لهما كتاب *The Hobbit*. تذكّرت كيف أن دياغو قرّر أثناء وجبة العشاء مرّةً أنّه يستطيع ركوب الدراجة ذات الدولابين فحسب، وأقنعهما في تلك الليلة أن ينزعا الدولابين الصغيرين المساعدين من دراجته، ليقودها في الحال على خطّ مستقيم من غير أن يميل يمينًا أو شمالًا.

وتذكرت رحلة تزلّج قامت بها العائلة في عام الفيضانات الكبيرة (1986) وكانوا قد استأجروا كوخًا خشبيًا في منطقة يوسيمايت الجبلية (Yosimite)، وكادوا ألّا يتمكنوا بعد ذلك من العودة إلى المنزل. فقد

توقّف خطّ إنترستيت 5 السريع فيما كانوا يعبرونه في طريق العودة، فتحوّلوا إلى خطّ 99 السريع، ولكنّه أغلق أيضًا بسبب الفيضانات بعد عبورهم له بساعة.

عندما كانوا في الجبل قبيل نهاية الرحلة، راح الثلج يتساقط من دون انقطاع. وكان تساقطه المستمرّ سيبدو ممتعًا لو كانوا داخل شاليه مترف، وأرجلهم ممدّدة قرب الموقد، غير أنهم كانوا ينتظرون في الصف بين مئات العائلات الأخرى وصول الباصات التي ستنقلهم إلى مواقف السيارات عندما يحين دورهم.

طال الانتظار في البرد القارس والكلّ تذمّر بسببه. ثمّ أُعلن إن الباص الذي كان في طريقه إليهم قد تعطّل فجأة، وأنّ عليهم انتظار الباص التالي. ازداد الاستياء الجماعي نتيجة ذلك الإعلان، وشعر الصبيّان بالجوع والبرد، فيما قالت آليغرا بأنها تكاد تموت جوعًا وصقيعًا. وأعلن الثلاثة أنهم يكرهون التزلّج، وتساءلوا عن لزوم مجيئهم إلى ذلك المكان في الأصل.

وبعد مرور نصف ساعة تقريبًا، ووصول باص آخر، تقدّم رجل وامرأة في الصف محاولين الوقوف قسرًا في مكان سيلفيا، ولم يكن من مبرّر لذلك لأن الصف ما زال طويلًا أمامهما. أزاحت سيلفيا جانبًا ولكنها خافت من أن تقع على دياغو ففقدت توازنها وسقطت على الأرض المكسوّة بالجليد. قال دانيال: «ما بالك؟ ها إنك تسبّبت بسقوط زوجتي أرضًا».

أجاب الرجل: «تبًا لك».

«ماذا قلت؟».

«تبًا لزوجتك»، قالت المرأة.

برقت عيون الأولاد عبر الشالات الصوفية التي كانت تغطّي معظم

وجوههم؛ ها إنهم سيشاهدون معركة حيّة! وسيبدأ والدهم بالهجوم. وابتعد الناس عن الرجلين ليتيحوا لهما مكانًا للقتال.

«لا تفعل يا دانيال»، بادرته سيلفيا. وكانت تحبّ في دانيال ميزة التروّي وعدم انجرافه الفوري إلى القتال على عكس معظم الرجال. لم تكن تحبّ الحماسة الذكورية التي تذكّر برعاة البقر الأميركيين والتي طالما اعتزّ بها الصبيان الذين ترعرعت بينهم. كان دانيال، مثل أبيها، واثقًا بنفسه ولا تخرجه الإهانة عن هدوئه. لكن ومن الناحية الأخرى، فقد تعرّضت ظلمًا للدفع وللسباب ومن غير مبرّر على الإطلاق.

«سأهتمّ بالأمر»، قال دانيال، وكان يرتدي سروال التزلج، وحذاء عاليًا طريًّا يُنتعل بعد التزلّج، وسترة ضخمة تغطّي طبقات عدة من الثياب تحتها، حتى بدا وكأنه كلّة مدفع. كان الرجل متدثّرًا بطبقات سميكة أيضًا ويبدو مثل الرجل الأزرق المستدير في الإعلان المعروف لدواليب «ميشلان». وقف الاثنان أمام بعضهما، وبدا دانيال في غاية الغضب، كما لم تره سيلفيا من قبل.

اندفع دانيال بقبضته نحو الرجل وكاد ينزلق على الجليد بقوّة دفعه الخاصّ، فتأرجح جسده بحركة دائرية وأخطأ صدر الرجل بعدّة بوصات. غير أن الرجل وبحركة دفاعية سريعة وجّه الضربة إلى دانيال الذي تجّنبها بمهارة، فهوى الرجل أرضًا وتزحلق حتى اصطدم بكومة كبيرة من الأحذية وعصي التزلّج.

استعاد الاثنان توازنهما وانتصبا واقفين. وقال الرجل: «ستندم على فعلتك هذه!». ومشى نحو دانيال ناقلًا قدميه بخطوات حذرة فوق الجليد. واندفع دانيال مصوّبًا قبضته إلى الرجل فتأرجح من جديد ولم يصبه، إلا أن حذاءه انزلق تحته وتسبّب بسقوطه. اقترب الرجل مسرعًا ليثبته إلى الأرض بركبته، فكان أن وقع فوقه وتزحلق من جديد إلى أن

أمسكت به زوجته وشدّت به ليقف على قدميه. نهض دانيال وتأرجح قليلًا إلى الأمام، وحاول تسديد لكمة إلى الرجل فاستدار من جديد حتى أصبح مواجهًا لسيلفيا.

كان يبتسم، ويبدو سمينًا مثل «سانتا» في عيد الميلاد، بسترته الداكنة السميكة. ها قد انبرى يدافع عن كرامتها غير أنّه لم ينجح بتسديد لكمة واحدة إلى ذلك الرجل. كانت معركة دوران وانزلاق وسقوط وضحك.

سأل دانيال: «هل آن إليوت هي حقًّا أفضل شخصية نجحت أوستن في خلقها؟ هذا ما قرأته على غلاف الكتاب».

ثم أضاف: «إنّها شخصية طيبة جدًّا بالفطرة. ولكنّها لا تجذبني كثيرًا، وأفضّل إليزابيث بينيت عليها».

«أحب كل الشخصيات»، قالت برناديت.

قالت برودي، وكانت قد وصلت إلى درجة من السكر يحلو فيها التأمل وتفيض فيها العاطفة، وتطيب معها الصحبة: «برناديت، لقد فعلت الكثير في حياتك وقرأت العديد من الكتب فهل لا زلت تؤمنين بالنهايات السعيدة؟».

أجابت برناديت: «يا إلهي، بالطبع». وكانت تطبق كفّيها كغلافي كتاب، وكأنها تصلّي، وأضافت: «أعتقد بأني أؤمن بها. لقد اختبرت عشرات النهايات السعيدة».

وراء مقعد برناديت كان هناك باب زجاجي ووراءه غرفة مظلمة. لم تكن سيلفيا من المؤمنات حقًّا بالنهايات السعيدة. النهايات السعيدة المفرحة موجودة في الكتب، أما في الحياة فالكلّ يسير إلى النهاية عينها، والسؤال الوحيد الذي يُطرح هو: «من يصل إليها قبل الآخر؟». أخذت جرعة من كأسها، ونظرت إلى دانيال الذي بادلها النظرة ولم يتهرّب من عينيها.

وفكّرت في سرّها: ماذا لو كنت أعيش نهاية سعيدة من غير أن ألاحظ ذلك. عليّ ألّا أضيّع النهاية السعيدة.

وفوق رأس دانيال رست ورقة خضراء واحدة لا غير سقطت من شجرة الجوز. وكم كان توقيت النسائم وتأثيرها صحيحًا ودقيقًا! نسائم النهر المنعشة الخضر تخترق شهر أوغسطس البنّي الجافّ. شعرت سيلفيا بالارتياح وتنشّقت نفسًا عميقًا.

«القطة البيضاء قد لا تتعدّى كونها قطة بيضاء»، قالت برناديت.

آب/ أغسطس

مكتبة
t.me/t_pdf

الخاتمة

اجتمع منتدى جين أوستن الأدبي مرّة إضافية في شهر نوفمبر في كافيه يدعى Bistro Crepe لتناول وجبة الغداء، وليشاهد كلّ بدوره على شاشة حاسوب برناديت المحمول الصور التي التقطتها في كوستاريكا. من المؤسف أنها لم تقم بعملية ترتيب الصور وتنقيتها من الشوائب بعد التقاطها. إذ يبدو وكأنها، كلما كانت ترى مشهدًا يقطع الأنفاس بجماله، كانت تلتقط صورتين أو ثلاثًا متتالية ومتطابقة. وهناك أيضًا صورتان لأشخاص من غير الرأس، وواحدة حيث لا ترى سوى نقطتين حمراوين قالت برناديت إنّهما عينا نمر في الغابة. ولكننا لم نتمكّن بالطبع من دحض قولها بالبرهان الأكيد رغم أن النقطتين كانتا متباعدتين جدًّا.

أخبرتنا برناديت أن عطلًا أصاب حافلة السيّاح مرّةً فتوقّفت أمام مزرعة كبيرة تسمّى *سكارليت ماكاو*. ومالك المزرعة سينيور أوباندو كان لائقًا ومضيافًا، وأصرّ أن تبقى المجموعة في ضيافته حتى وصول الحافلة الجديدة. وخلال فترة الانتظار التي دامت أربع عشرة ساعة، تنزّهت المجموعة في أرجاء المزرعة الشاسعة، ورأت برناديت أنواعًا من الطيور الغريبة بأشكالها وألوانها والتي لم تكن قد شاهدتها في مكان آخر.

سينيور أوباندو رجل شديد الحمية ويتمتّع بدرجة من النشاط عالية جدًّا بالنسبة إلى سنّه. يصرّ أوباندو على أن يكون لمزرعته مكانٌ على

الخريطة البيئية في البلاد، ليس لغاية تخصّ مصالحه الشخصية بل من أجل خدمة هواة مراقبة الطيور فحسب، فلطالما كان ذلك حلمه كما قال. ومن المؤكّد، بحسب برناديت، أن لا مكان في كوستاريكا أغنى بأنواع الطيور وأفضل تجهيزًا لراحة السائح من مزرعته.

جلست برناديت مع سينيور اوباندو على المصطبة وشربا شاي النعناع، وتحدّثا عن كل شيء تحت الشمس. تحدّثا عن أقربائه في سان جوزيه - ولكنّ هؤلاء مصابين بالعجز مع الأسف إنّه يتبادل معهم الرسائل ولكن نادرًا ما يراهم. وتحدّثا عن الكتب: «أعتقد بأن أذواقنا في الروايات والموسيقى لا تتطابق»، قالت برناديت. لم يتوافقا في الرأي حول جدارة الموسيقيّين ليرنر ولوي، مقارنة برودجيرز وهامرشتاين[1]. وكان سينيور أوباندو قد حفظ بضع أغانٍ من التي قدّمت في عروض برودواي الموسيقية؛ فردّدا معًا أغنيات مثل: «كيف الأمور في كلوكّمورا؟ How are things in Gloccamora?» و«أحببتك مرّةً في الصمت I loved you once in silence». وما انفكّ يشجّع برناديت على الاسترسال في الكلام قائلًا إن ذلك يغني قدرته على التحدّث بالإنكليزية. وبعد مرور أسبوع على تلك الجلسة، كانت برناديت قد أضافت سينيور أوباندو إلى لائحة أزواجها.

تزوّجت برناديت من جديد، ورأينا خاتم الزواج المزيّن بجوهرة كبيرة من نوع الأكوامارين. وقالت لنا: «أعتقد حقًّا إنّه الرجل الذي أريد. أحبّ من بين الرجال صاحب الرؤيا».

قالت برناديت إنها عادت لتودّع أولادها وأحفادها وأحفاد أولادها ولتوضّب شقّتها. وعندما استعدّت للانطلاق وأمسكت بمعطفها وبقبعتها، أخبرتنا بأنها حوّلت عنوانها البريدي إلى مزرعة سكارليت ماكاو في كوستاريكا.

---

(1) Lerner, Loewe, Rodgers, Hammerstein.

فرحنا لبرناديت بالطبع، ولسنيور أوباندو صاحب الحظّ، ولكننا شعرنا بلمسة حزن لأن كوستاريكا بعيدة.

قال غريغ إنه اشتاق إلى لقاءاتنا. وكان قد عاد مع جوسلين للتوّ من مؤتمر «الخيال العالمي» في مدينة مينيابوليس. «كان مؤتمرًا جدّيًا وللقرّاء الجديّين»، قالت جوسلين، وأضافت أنها أحبّت كل من تعرّفت إليه هناك، ولم تجد شيئًا لا يرضيها. أما غريغ فقال إنها لم تنظر إلى الأمور عن كثب وبالشكل الكافي.

أحسّ بأنها لم تكن مرتاحة بالفعل وسط عدد كبير من الأشخاص المجهولين بالنسبة إليها. ولكن سماع ذلك لم يقلقنا، نحن أصدقاؤها، إذ لا تحتاج جوسلين سوى لبعض الوقت بما يكفي لأن تسترخي، ولتدرس حاجات هذا المجتمع الجديد، وستراها قادرة على إعادة تنظيمه إذا ما اقتضى الأمر. ولعلّ هواية ملاءمة الشركاء المناسبين وتزويجهم ستشغلها طيلة سنوات.

اقترح غريغ: «يمكننا قراءة أدب كاتب آخر، ما رأيكن بباتريك أوبريان Patrick O'Brian مثلًا؟ بعض قصصه فيها نفحات من أوستن، وأكثر ممّا تتوقّعن».

قالت برودي متوجّهة إلى غريغ بنبرة جدّية ومهذبة إلى أقصى الحدود: «إني من هواة السفن والزوارق.كل من يعرفني يقول ذلك».

لم يفهم غريغ المقصود. ذلك أننا لو قرأنا باتريك أوبريان أوّلًا، لكان بإمكاننا الانتقال الآن إلى أوستن. ولكن لا يُعقل أن نسير في الاتجاه المعاكس.

أدخلنا أوستن إلى حياتنا وها نحن الآن إمّا متزوّجون، أو في مرحلة المواعدة التي تسبق الزواج. هل كان بإمكان أوبريان أن يفعل ذلك؟ كيف؟ ولكن، عندما سنحتاج للطبخ على ظهر سفينة في البحر، أو إلى

العزف على آلة موسيقية، أو إلى السفر إلى إسبانيا متنكّرين بأشكال الدببة، سيكون باتريك أوبريان صديقنا. وحتى يحين ذلك، سننتظر. وفي غضون ثلاث أو أربع سنوات من الآن سيحين وقت العودة إلى قراءة أوستن من جديد.

مكثت سيلفيا مع دانيال في بيت جوسلين من أجل العناية بمرْبى الكلاب ريثما تعود هذه الأخيرة من مؤتمر «الخيال العلمي». وبعد ذلك، عاد دانيال إلى البيت. أمّا سيلفيا فقالت لنا إنها تعلّمت بعض المهارات الزوجية عبر مراقبة «صحارى» وبقيّة الكلاب. تقول سيلفيا إنها سعيدة. ولكن من يدري عندما يتعلّق الأمر بسيلفيا تحديدًا؟!

لم نعد نرى آليغرا كثيرًا في هذه الأيام لأنها عادت لتعيش في سان فرانسيسكو مع كورين. ولكن لا أحد منا يتوقّع دوام ذلك. أخبر دانيال سيلفيا بما فعلته كورين؛ وبدورها سيلفيا أخبرت جوسلين بذلك. وبات الجميع الآن تقريبًا محيطًا بالأمر، وبات من الصعب علينا أن نحبّ كورين، أو أن ننظر بارتياح إلى تلك العلاقة. يجب أن تؤمن بإمكان حدوث إصلاح جذري والوثوق بآليغرا. كما وعلينا أن نتذكّر أن التلاعب مع آليغرا صعب على أيٍّ كان.

وللدكتورة سامانثا يب قصّة، ولكن ترفض آليغرا قطعًا أن تقصّها علينا أو على كورين. إنها قصّة شيّقة، ولا تريد أن تجدها يومًا على صفحات جريدة نيويوركر اليوميّة.

طلب كلّ منا كأسًا من نبيذ التفاح الفاخر الذي يعرف به المطعم لكي نشرب نخب زواج برناديت. وكانت سيلفيا قد أحضرت معها الطابة السحرية «اسأل أوستن»، ليس لتطرح الأسئلة على أوستن، بل لنترك الكلمة الأخيرة للجهة التي تستحقّ.

أعرف الغيمة السوداء سواء رأيتها من جهة الجنوب أو الشمال.

سوى أن أوستن لا تحبّذ أن نختتم الأمور بهذه الطريقة.

المرأة العزباء الثرية تحظى دائمًا بالاحترام.

الأهمّ هو أن تكون لديك عادة أن تعلّم نفسك الحبّ.

على شرف برناديت التي نتمنّى لها الصحة والسعادة، نقول مجدّدًا ما تقوله أوستن:

الأهمّ هو أن تكون لديك عادة أن تعلّم نفسك الحبّ.

جين أوستن (1775 - 1817)

تشرين الثاني/ نوفمبر

آراء وانطباعات عائلة جين أوستن وأصدقائها حول كتاب *مانسفيلد بارك*، جمعتها الكاتبة بنفسها.

لم تنل *مانسفيلد بارك* إعجاب أمّي بقدر ما أعجبتها *كبرياء وهوى* وجدت شخصية فاني خالية من التشويق ولكنّها أحبّت نوريس. أما أختي كاسندرا فرأت أن القصة جيّدة ولكنها أقل تألّقًا وتشويقًا من *كبرياء وهوى*. ولكنها أحبّت فاني وضحكت لحماقة السيد ريشوورث. أما أخي الأكبر جايمس، فهو شديد الاعجاب بالرواية، ويحبّ بنوع خاص المشهد الذي يحدث في بورتسماوث.

أبدى السيد والسيدة كوك، وهي عرّابتي، ارتياحهما الشديد للرواية، وخصوصًا للطريقة التي تتطرّق بها إلى رجال الكنيسة. ويقول السيد كوك إنها الرواية الأكثر إقناعًا بين الروايات التي قرأها في حياته. أما السيدة كوك فكانت تتمنّى أن ترى شخصية تلعب دور المرأة الرزينة. أما السيدة أوغسطا برامستون (شقيقة ويثر برامستون الكبرى)، اعترفت بأنها قالت بأن *العقل واالعاطفة*، و*كبرياء وهوى*، مجرّد تفاهات. وأنها تتوقّع أن تحب *مانسفيلد بارك* أكثر. وهي تهنّئ نفسها بعدما انتهت من قراءة الجزء الأول على أنها قطعت المرحلة الأسوأ.

أما السيّدة برامستون (زوجة ويثر برامستون) فعبّرت عن إعجابها

بالرواية وأحبّت شخصية فاني لأنها طبيعية جدًّا. وتعتقد بأن شخصية السيدة برترام تشبهها. وهي تفضّل هذه الرواية على سابقاتها قائلةً إن السبب في ذلك يعود ربّما إلى خلل في ذوقها الخاص، أو ربّما لأنها لا تفهم المعاني التي يشار إليها بأسلوب السخرية الضمنية.

آراء وانطباعات عائلة أوستن وأصدقائها
حول رواية *إيمّا*

وجدت أمّي رواية *إيمّا* مسلّية أكثر من *مانسفيلد بارك*، ولكنّ *كبرياء وهوى* تشدّك إليها أكثر ليس في *إيمّا* شخصيات تحاكي شخصيتي كاثرين والسيد كولينز.

أما كاسندرا فتقول إنها أفضل من *كبرياء وهوى* ولكنها ليست في مثل مستوى مانسفيلد بارك.

أما السيد جايمس أوستن وزوجته فيفضّلان الروايات الأخرى عليها. يقولان إن اللغة في الرواية مختلفة عمّا في سابقاتها وليست سهلة الفهم.

أحبّ الكابتن فرانسيس ويليام أوستن الرواية كثيرًا، وقال إنه، وعلى الرغم من تفوّق *كبرياء وهوى* عليها في مستوى البراعة والظرف، وتفوق *مانسفيلد بارك* في الرسالة الأخلاقية، فإن قدرة *إيمّا* الفائقة على تمثيل الطبيعة الانسانية يجعلها المفضّلة لديه.

يرى السيد شيرير (كاهن) إنها لا ترقى إلى مستوى *مانسفيلد بارك* (المفضلة لديه كلّيًا)، أو *كبرياء وهوى*. وهو غير راضٍ على طريقة تصوير الشخصيات الدينيّة في الرواية.

لم تحبّ الآنسة إيزابيلا هيريز الرواية. واعترضت على كلامي عن الجانب الجنسي في شخصية البطلة؛ وهي مقتنعة بأنّي قصدت عبر

شخصية إيمّا تمثيل امرأتين تعرفهما، وهما السيدة بايتس وابنتها. ولكنّي لم ألتقِ بهاتين المرأتين قطّ في حياتي.

السيد كوكريل لم يحبّها. ولم أتلقّ رأيًا مفصّلًا من جانبه بشأنها.

السيد فاول (أحد أصدقاء الطفولة) قال: «قرأت الفصلين الأول والأخير فحسب، لأني سمعت بأنها غير ممتعة».

السيد جيفري (الناشر لمجلة *Edinberg Review*) سهر على قراءتها ثلاث ليالٍ متتالية.

ملاحظات أدلى بها نقّاد ومؤلّفون ومرجعيات أدبيّة حول أوستن ورواياتها ومعجبيها ومنتقديها على مدى قرنين

1812 – ملاحظة مجهولة الكاتب حول رواية *العقل والعاطفة*:

لن نستبقي صديقاتنا الحاضرات وقتًا أطول سوى لنقول لهنّ بأن قراءة هذه الروايات لن تعود عليهن بالمتعة فحسب بل بالفائدة الحقيقية، إذ باستطاعتهن، لو أردن ذلك، أن يستخرجن منها أمثولات رصينة ومفيدة في التعاطي مع أمور الحياة، متمثّلة في قالب روائي مسلٍّ وشيّقٍ.

1814 – حول رواية *كبرياء وهوى* بقلم ماري راسل ميتفورد Mary Russel Mitford:

لا يمكن للقارئ سوى أن يشعر عبر كل سطر في الرواية، وعبر كل كلمة تقولها إليزابيث، ذلك النقص في الذوق الذي يحوّل فتاة رائعة مثل إليزابيث التي أحبّها دارسي إلى شخصيّة منحطّة. إليزابيث سيئة مثل ويكهام وتناسبه. أكاد لا أغفر لدارسي عملية فصلهما. وكنت أفضّل أن يقترن دارسي بجين.

1815 – حول رواية *إيمّا* بقلم السير والتر سكوت Walter Scott:

يمكن على وجه الاجمال القول إن المقارنة بين الأجواء والحوادث في روايات هذه الكاتبة من جهة، وشخصياتها العاطفية والرومانسية من جهة أخرى، بالمقارنة

بين حقول الذرة والمروج والأكواخ من جهة، والحدائق المرتبة الرائعة المحيطة بقصر فخم، أو القمم الصخرية في أعلى الجبال الشامخة من جهة أخرى. فهي لا تأخذ الألباب مثل الأولى، ولا تفرض الرهبة كالثانية، ولكنّها تقدّم لمن تعوّد قراءتها متعة تتصل عن قرب بتجربته وعاداته الاجتماعية الخاصّة. ولكن تجدر الإشارة إلى أن لا خوف على القرّاء والقارئات في عمر الشباب الذين يذهبون في نزهات بين سطور هذه الروايات، أن يعودوا إلى التعاطي مع أمور الحياة من غير أن يضطروا إلى النظر إلى الوراء من أجل استعادة المشاهد التي تمتّعوا بزيارتها لبعض الوقت.

1826 – السير والتر سكوت يعبّر عن تقدير أكبر لأعمال أوستن بعد وفاتها، وبعد مرور أحد عشر عامًا على ملاحظته الأولى:

قرأت أيضًا وللمرّة الثالثة على الأقل الرواية الراقية من حيث أسلوب كتابتها *كبرياء وهوى*. تميّزت الكاتبة الشابّة بقدرة عالية على رسم الناس العاديّين بمشاعرهم، وشخصياتهم، وتعاطيهم مع أمور الحياة بأسلوب بارع لم أرَ مثيلًا له في حياتي. ومقارنة بالأعمال الصاخبة التي أستطيع أنا وغيري إنتاجها، فإن المهارة المتميّزة التي تجعل أمورًا وشخصيات من الحياة العادية بالغة الجاذبية بفضل دقّة الوصف وصدق المشاعر، فإنها في الواقع بعيدة عن متناولي. يا لخسارة أن تنتهي حياة هذه الكاتبة الموهوبة بمثل هذه السرعة!

1826 – القاضي جون مارشال John Marshall، في رسالة إلى جوزف ستوري:

آلمني إلى حدّ معيّن أنكَ لم توافق على إدراج اسم الآنسة أوستن على لائحة الأدباء المفضّلين... إنها لا تطير في الخيال عاليًا جدًّا، ولا تركب أجنحة النسور، ولكنّ رواياتها ممتعة وشيّقة ورصينة، وفي الآن عينه مرحة ومسلية. أتوقّع منك الاعتذار بطريقة ما على هذا الاستثناء.

1830 – **توماس هنري ليستر Thomas Henry Lister:**

لم تحظَ الآنسة أوستن بالشعبية التي تستحقّها. إنّها وبسبب إصرارها على الإخلاص في الوصف، وبسبب رفضها للحيل الرخيصة المستخدمة في مجال

الكتابة، لم تتمكّن في هذا العصر حيث يسيطر الدجل الأدبي أن تتلقّى مكافأتها. القرّاء العاديّون حكموا عليها بالطريقة التي حكم بها بارتريدج في رواية الكاتب فيلدنغ Fielding على أسلوب غاريّك في التمثيل. لم يقدّر جدارة رجلٍ تصرّف على المسرح تمامًا مثلما يتصرّف أي إنسان على أرض الواقع في ظروف مماثلة. إذ كان يفضّل ذلك النمط القديم من الممثل الذي يضع شعرًا مستعارًا، ويفتح ذراعيه مثل أجنحة الطاحونة الهوائية ويتشدق بفخامة وتبجّح. والأمر مماثل بالنسبة إلى عدد كبير من قرّاء جين أوستن. إنها طبيعيّة إلى درجة عالية لم يألفوها.

1848 – من شارلوت برونتي Charlotte Bronte، رسالة إلى ج.هـ. لويس:

كم يبدو غريبًا ما جاء في رسالتك! تقول إن عليّ أن أتعوّد على أن الآنسة أوستن ليست شاعرة، وأن ليس لديها «عاطفة»، وتضع هذه الكلمة بازدراء داخل علامات الاقتباس، وتتابع: «لا بلاغة، لا شيء من المعاني الشعرية الغنيّة». ثمّ تضيف إن عليّ أن أتعلّم النظر إليها على أنها *فنانة من الطراز الأوّل، وعلى أنها واحدة من أروع المصوّرين للطبيعة الانسانية*، وأنها أفضل الكتّاب على الإطلاق الذين نجحوا في خلق التفاصيل والأسباب التي تبدو غير مهمّة بذاتها فيما تؤدي إلى نتائج مهمّة في النهاية».

إني أعترف بالنقطة الأخيرة فحسب. هل يكون فنانًا عظيمًا من يخلو من الشاعريّة؟

1870 – ملاحظة من كتاب *A Memoir of Jane Austen* (في ذكرى جين أوستن) بقلم جايمس إدوارد أوستن لي James Edward Austen – Leigh:

كانت الآنسة أوستن الكاتبة المفضّلة بامتياز لدى المرجعيّات الأدبية. خصائص أسلوبها المميّز استحقّت إعجابهم جميعًا، ولكنّها لم تنجح في جذب غالبية القرّاء العاديين، ولم تستطع بالتالي أن تكون «شعبية». ومن المعروف جيّدًا أن حياة أوستن الخاصّة كانت غير مكدّرة بالحوادث وقصص الحبّ التي تشجّع القرّاء والناشرين على التداول بشأن قصّة حياتها. وهذا يتطابق مع رأينا بأن الكاتبة لم تقع في الحبّ

أبدًا، وأنها كتبت بإتقان وخفّة وكأنها تطرّز بالإبرة، وتحوّلت إلى ارتداء ملابس سيدة في متوسّط العمر من غير مبرّر عمري ولا جمالي.

كان النقاد في ذلك الوقت... في ظلام...، وحتى هي نفسها لم تعلم بأنها كانت تضع برواياتها أسسًا لمدرسة جديدة في الأدب لا بدّ أن توقد نيران النقّاد.

1870 - **مارغريت أوليفنت Margaret Olivant:**

لم تحصد كتب أوستن شهرة مباشرة، بل لم يزدد الاهتمام بها سوى بوتيرة تدريجية بطيئة، حتى إنها لم تكن قد حقّقت عند وفاة الكاتبة درجة عالية من النجاح...، ولم تحقّق ربحًا ماليًا أكثر من سبعمئة ليرة استرلينية بحسب ما تردّد، ولم تؤمّن لكاتبتها سوى جزءٍ يسيرٍ من الثناء. لا يمكننا ادعاء المفاجأة إزاء ذلك، بل نجد أن المفاجأة تكمن بالفعل في الصعود الكبير الذي حقّقته هذه الأعمال في هذه الأيام. فبالنسبة إلى السواد الأعظم من القرّاء العاديين الذين يحبّون أن يشاركوا شخصيات الرواية أفراحهم وأحزانهم، ويهتمّون لمشكلاتهم، لا يمكن أن نتوقّع كثيرًا أن روايات في مثل هدوء وبرودة ودقّة أسلوب أوستن، تلك الروايات التي لم تهدف إلى نيل إعجاب العامّة في الأصل، يمكن أن تحصد شعبيّةً. إذ إنها تقع بالأحرى في مصافّ الأدب الذي يجذب إليه أصحاب المعرفة والخبرة، ويسحر ألباب النقّاد والأدباء.

1870 - **أنطوني ترولّوب Anhtony Trollope:**

تقع إيمّا بطلة الرواية ضحية ظلم الكاتبة لها. فهي ومن دون انقطاع تقترف أخطاءً، أو تتصرّف بجهل، أو غرور، أو حتى بخساسة... لا نجرؤ في هذه الأيام على الإساءة إلى صورة البطلة في رواياتنا بهذه الطريقة.

1894 - **آليس مينيل Alice Meynell:**

إنها بالأحرى رائدة في السخرية، وليس في الظرف أو الفكاهة.

تصبح سخريتها من وقت إلى آخر أكثر دهاء وإيلامًا. أما عدم اهتمامها بالأطفال في رواياتها فيدلّ حقًّا على عدم رقّة مشاعرها. لا يظهر الأطفال في رواياتها سوى

ليبرهنوا على حماقة أمهاتهم. إنها لا تتكلّم عنهم كأطفال، بل كأطفال فسدت تربيتهم؛ أو كمدعاة لمفاخرة أمهاتهم بهم أمام الصديقات، أو للشكوى جرّاء انزعاج الصديقات من وجودهم.... ومن حيث هذا النوع من البرود والنفور، تتشابه أوستن مع شارلوت برونتي.

1895 – **ويلا كاثر Willa Cather**

لا أثق كثيرًا بالنساء في مجال التأليف. إنهن عاجزات إلى درجة مقيتة عن الخروج من الذهنيّة الأنثوية. لا يبرحن خطًّا معيّنًا ويرفضن الاعتراف بذلك. قليلات استطعن إنتاج أعمال ذات قيمة؛ ومنهنّ جورج إليوت، وجورج ساند، اللّتان لا يشبه أدبهما النساء في شيء؛ وكذلك نسمي الآنسة برونتي التي نجحت في السيطرة على جانبها العاطفي؛ وهناك جين أوستن التي تعلو بالتأكيد عليهن جميعًا من حيث التفكير المنطقي السليم، ولقد برهنت في بعض الجوانب على أنها الأكثر تفوّقًا.... عندما تتمكّن المرأة من كتابة رواية يكتنفها ركوب المغامرات في البحر مثلًا، أو وصف معركة طاحنة، أو كتابة مطلق شيء لا يتناول شرب النبيذ أو مواضيع الحبّ والنساء، عندئذٍ، أتوقّع أعمالًا عظيمة بأقلامهنّ، وليس قبل ذلك.

1898 – **مقالة غير موقّعة نشرت في مجلّة *ذي أكاديمي The Academy*:**

لحسن حظّي، أتمكّن أحيانًا من حجز مكان هادئ ودافئ لي في نزل على ساحل نورفولك حيث لا وجود لملعب غولف، وحيث يمكن صيد الطيور والأرانب وتناول وجبة عشاء بسيطة ولذيذة؛ وحيث توجد غرفة مريحة بُنيت بخشب السنديان لقضاء السهرة التي غالبًا ما تكون مع صديقيّ براون وروبنسون....

براون صحافي ناجح وأبعد ما يكون عن الاحتفاظ برأي واحد ومبدأ محدّد. إذ إن عمله يفرض عليه جسّ نبض الرأي العام، وتكريس مساحة في الجريدة لمعالجة المواضيع التي تهمّ الناس أكثر من غيرها.

أما روبنسون فهو طالب شاب ومتحمّس، ومنشغل في مطالعاته الأدبية إلى أقصى الحدود. وكان هو من ابتدأ الحديث عن جين أوستن....

أحبّ شخصية داي فرنون، ولكنّ سير والتر سكوت لم يتتبّعها في جميع أحوالها كما فعلت أوستن بشأن إليزابيث بينيت. لم يظهر تقلّبات مزاجها، بل إنها شخصية فائقة الكمال. جميع البطلات في روايات والتر سكوت هنّ كذلك. تقع إليزابيث في زلّات كثيرة، فيعمى على بصيرتها أحيانًا، وتقع في الخساسة، وتتصرّف بوقاحة ورعونة؛ ولكنها تخرج من كل ذلك بطريقة رائعة في النهاية، نابضة بالحياة حتى أطراف أناملها...

«أشعر بالطمأنينة عندما أجد بين الشباب من يشتعل حماسةً»، قال الصحافي، وتابع: «ولكن أتوقّع يا عزيزي، إن رأيتك بعد مرور عشرين عامًا من الآن، وحيث تكون، كما أتمنّى، قد أصبحت رجلًا متزوّجًا وأبًا جليلًا، وقد توقّفت عن التفكير بشخصية البطلة إن في الرواية، أو على أرض الواقع، سوف تكون نظرتك إلى الأمور حينئذٍ قد تغيّرت جذريًّا. سوف تحبّ القراءة عن السيدة نوريس وكيف حاولت توفير ثلاثة أرباع ياردة من قماش الستائر، وسوف تهتمّ بفاني برايس أكثر من اهتمامك بإليزابيث».

أجاب الطالب بقوّة: «بل لا شيء من هذا، لأني أنجذب إلى شخصية السيدة نوريس الآن...».

1898 – مارك توين Mark Twain:

في كلّ مرّة أعيد قراءة *كبرياء وهوى* أشعر بالرغبة لأن أستخرج أوستن من قبرها وأضربها على جمجمتها بعظام ذقنها نفسها.

1901 – جوزف كونراد إلى هـ. ج. ويلز Joseph Conrad:

ما كلّ هذا الذي يدور بشأن جين أوستن؟ لماذا هي بالذات؟ عمَّ يتكلّمون؟

1905 – هنري جايمس Henri James:

بعد أن ظلّت شبه منسية طيلة ثلاثين أو أربعين سنة بعد رحيلها، برزت أوستن لتكون بالنسبة إلينا ربّما مثالًا صالحًا لإمكان التصحيح، وردّ الاعتبار الذي حدث نتيجة التبدّد البطيء لضباب العقول المنغلقة. ولكن هذه الموجة الجديدة ارتفعت

عاليًا وأعلى بحسب ظني من الاستحقاق الحقيقي لأدبها، وأعلى من أهداف جين في الأصل. أما المسؤولون عن ذلك فهم الناشرون والمحرّرون ومنتجو تلك المروحة العريضة من المجلات الأدبية الذين وجدوا في «العزيزة» جين، العزيزة على قلوبنا، والعزيزة على قلوب الجميع، أداة صالحة جدًّا لأهدافهم الماديّة.

وسبب حظّ أدب أوستن في الاستمرار لزمن طويل بعد موتها يعود في جزء منه إلى رشاقة أسلوبها وسهولته؛ أو يعود في الواقع إلى عدم وعيها، فكأنها ونتيجة الصعوبة والإحراج وقعت فوق سلّة خيطانها فانفلتت القطب التي خاطتها لتعود وتظهر بعد مدّة من الزمن وكأنها لمسات باهرة من صنع الخيال.

1905 – ملاحظة غير موقّعة حول كتاب جين *أوستن وعصرها* لمؤلفته ج.إ. ميتون. G.E.Mitton:

تتحلّى الآنسة ميتون بفضائل عديدة نحترمها. إنها تحبّ الكتب.... وهي تعمل من دون انقطاع.... أما آراؤها فكثيرة وساذجة ومن شأنها أن تسرّ الذين لا يشاطرونها الرأي: فهي مثلًا، عندما ذكرت كتاب *عقل وإحساس*، تكلّمت باقتضاب وباستهانة على السيدة جينينغز؛ فيما نحن في المقابل، ننحني أمام السيدة جينينغز من حيث إنها واحدة من الشخصيات الروائية التي تفرح بأنك تعرّفت إليها على الورق، مثلما تفرح لأنك لم تتعرّف إليها على أرض الواقع.

1908 – ملاحظة غير موقّعة ظهرت في مجلّة *ذي أكاديمي The Academy*:

مع أن رواية دير *نورثنغر* ليست المثال الأفضل لأعمال أوستن، فإن بلدة باث Bath)) حيث تدور حوادثها، وهي إحدى البلدات الإنكليزية القليلة التي ما زالت تحافظ على طابعها الخاص، جعلت منها جذابة بنوع خاص للقرّاء الأجانب. وتتميّز هذه الرواية بعنصر رومنطيقي أقوى مما تعوّدنا عليه في روايات أوستن الأخرى، وبالتالي فإنها أكثر جاذبية للقرّاء في عمر الشباب.

1913 – فيرجينيا وولف Virginia Wolf:

نجد هنا امرأة تعيش ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتكتب من غير

كراهية، ومن غير مرارة، ومن غير خوف، ومن غير رفض، ومن غير وعظ أخلاقي. هكذا كتب شكسبير بحسب رأيي. وعندما يذهب الناس إلى المقارنة بين أوستن وشكسبير، قد يقصدون بذلك أن كليهما تخطّى جميع العوائق. ولذلك الأمر بالذات، فإننا لا نعرف أوستن ولا نعرف شكسبير تمام المعرفة. ولهذا الأمر بالذات أيضًا تتبدّى أوستن وتنتشر عبر كل كلمة كتبتها، وكذلك يفعل شكسبير.

1913 – ج.ك. **شسترتون** G.K. Chesterton:

ولدت جين أوستن قبل أن تخترق الحواجز التي كان يُقصد منها «حماية» الفتيات العذارى من معرفة «الحقيقة»، وقبل أن يتم كسر تلك الحواجز على يد شارلوت برونتي وأخواتها، أو تفكيكها على يد جورج إليوت. غير أن جين أوستن عرفت في الواقع أمورًا تتعلّق بالرجال أكثر ممّا عرفن. ربّما جرت حماية جين أوستن من الحقيقة، ولكن نذرًا قليلًا جدًّا من الحقيقة بقي محميًّا منها.

1917 – فريدريك هاريسون Frederic Harrison في رسالة إلى توماس هاردي:

كانت أوستن بالأحرى إنسانة ساخرة وقاسية... وفيما كانت تتهكّم على جيرانها في الروايات التي تكتبها، كان أولياء السلطة يمزّقون العالم إربًا ويتسبّبون في قتل المئات من الناس؛ وما من لفحة من تلك الرياح الهائجة كانت تصل إلى منضدتها أو تلامس كرسيّها المريح.

1924 – **روديارد كيبلينغ Rudyard Kipling في ذكرى جين أوستن:** ترقد جين في وينشستر – ليتقدّس الفيء الذي يظلّلها!

الشكر لله الذي أبدعها، والشكر لها لما أبدعت. المجد والحب والشرف إلى ابنة إنكلترا جين.

1924 – إ. م. **فورستر E. M. Forster**:

أنا من عشاق جين أوستن، وبالتالي فإني مأخوذ بها إلى حد الخبل. تعابير وجهي البلهاء ومناعتي الشخصية ضدّ كلّ ما هو معاكس لأوستن قد تلاقي ردّ فعل مستغرب ورافض على وجه محبّي روبرت لويس ستيفنسون مثلًا. جين أوستن مختلفة جدًّا.

إنها كاتبتي المفضّلة! قرأتها وأعدت قراءتها فاغر الفاه ومنغلق الذهن...

من يعشق جين أوستن لا يملك سوى القليل من الفطنة التي ينسبها من غير حساب إلى أوستن. وهو مثل معظم الذين يتردّدون إلى الكنيسة؛ إنهم لا يتنبّهون سوى إلى القليل ممّا يقال.

1925 - **إديث وارتون Edith Wharton**:

جين أوستن هي بكل تأكيد حكيمة في وضوحها، ومتألّقة في رزانتها. لا تخطئ أبدًا، وهناك قليلون أو لا أحد مثلها.

1927 - **آرنولد بينيت Arnold Bennet**:

جين أوستن؟ أشعر وكأنّي أقترب من منطقة محفوفة بالمخاطر. سمعة جين أوستن محاطة بأفواج من المدافعين المستعدّين حتى لاقتراف جريمة قتل من أجل قضيتهم المقدّسة. معظمهم متعصّبون ولا يتمكّنون من الاصغاء. لو حاول أحدهم التعرّض إلى جين، فمصيره مجهول؛ وقد يُدعى بالتأكيد إلى الاستقالة من النوادي التي ينتمي إليها، ولا أريد ذلك لنفسي.

إنها رائعة وتسحر الألباب، ولكنّها لم تعرف الكثير عن الدنيا لكي تكون كاتبة عظيمة. ولم تطمح لتكون كاتبة عظيمة. كانت تعرف مكانتها، ولكنّ أتباعها اليوم لا يعرفون مكانتها. وسلوكهم الغريب كان سيحفّز من غير شكّ سخرية أوستن الحادّة.

1928 - **ربيكا وستRebecca West**:

لقد حان الوقت حقًّا لهذه المناصرة المضحكة لأوستن أن تتوقّف. أن نعتقد بأنها كانت محدودة الخيال والمعرفة بسبب الانسجام الظاهر في طرائقها الكتابية، لهو استنتاج خطر بالفعل، ويشبه من يرى مياه المحيط هادئة مثل مياه بحيرة صغيرة، فيعتقد بأن المحيط تقلّص وأصبح بحيرة صغيرة. وهناك من يُخدعون باحتشامها، وبأن العذارى في رواياتها هن على قدرٍ عالٍ من العذرية بحيث يجهلن كونهنّ عذارى، فيذهبون إلى التفكير بأنّها تجهل مشاعر الحبّ والشغف. ولكنّك لو نظرت عبر الصوغ الدقيق لكل جملة، وإلى الأنامل الماهرة التي اعتنت بتسلسل الجمل والمعاني، إضافةً

إلى نفحة الظرف المرح والزاهي، فإنك تكتشف نساءً تعشن عذاب الرغبة، أو نشوة الحبّ؛ وتجد أن تجاوب هؤلاء النساء المرهف مع الرجال يجعل من بطلات القصص الحديثة تبدو وكأنها تحمل مجرّد شارات كتبت عليها عبارة «نعم» أو «لا» لتجيب بها كلّ من يريد مغازلتها من الرجال.

1931 – د. هـ. لورانسD.H. Lawrence:

إنها من جديد مشكلة الحياة في المجتمع اليوم. نجحت تلك المسمّاة «روابط الدم» في إنكلترا القديمة بجمع الطبقات الاجتماعية معًا. قد يتصرّف الاقطاعيّون بتعجرف وعنف، وقد يستغلّون ضعف الآخرين ولا يعدلون، ولكنّهم كانوا بطريقة أو بأخرى ينضمّون إلى العامّة، ويشعرون معهم بأنهم يشكّلون أجزاء من سلالة واحدة. نلمس هذا في مؤلفات ديفو أو فيلدنغ. ولكن ذلك يختفي مع جين أوستن الوضيعة. لقد عملت على تحديد وتكريس شخصيات نمطية، وليس على وصف شخصيات القصّة. وكرّست فكرة المعرفة المتفوّقة الفردية المنعزلة عن المعرفة الجماعية. إني لا أرتاح إلى مجمل ما كتبته خصوصًا وأنها تبرز الشخصية الإنكليزية السيئة والخسيسة والمتكبّرة، على عكس ما يفعله فيلدنغ الذي يظهر هذه الشخصية عبر مؤلفاته حسنة وكريمة الخلق.

1937 – و.هـ.أودن W.H. Auden:

لا يمكنك المسّ بها أكثر ممّا تصدمني؛ إضافةً إلى أن فرحها يبدو بريئًا كالعشب الأخضر اللطيف.

إلا أنه يزعجني كثيرًا أن أرى
فتاة عزباء من الطبقة المتوسطة
تصف تأثير المال على العاطفة
وتتكلّم بصراحة وبجدّية
أن قاعدة المجتمع اقتصادية.

1938 – عزرا بوند في رسالة إلى لورانس بينيون، Ezra Pond:

لا أجد أخيرًا ما أقوله لك سوى أن تقرأ بنفسك وتلغي كل جملة قد تختلف من حيث أسلوبها عن أسلوب جين أوستن. وهذا بالطبع مستحيل. ولكن عندما تقرأ سطرًا واحدًا كتب بأسلوب طبيعي صريح وانسيابي كالماء الرقراق، ألا يكون أفضل من أيّ عشرة أسطر أخرى؟

1938 – ثورنتون وايلدر Thornton Wilder:

روايات أوستن نسيج متين من الحقيقة العارية. حوادثها غير ذات أهميّة وبسيطة إلى درجة لا تطاق، ومع ذلك فإنها، ومثل رواية *روبنسون كروزو* للكاتب ديفو، ربّما ستعيش أطول من كل أعمال فيلدنغ، وسكوت، وجورج إليوت، وثاكراي، وديكنز. مهارة قلم أوستن وفنّها العالي يخفيان أسرارًا لا يمكن اكتشافها؛ لو نظرت إلى نصّها بكل ما أوتيت من دقّة الملاحظة، وحرّكت الكلمات من أماكنها، وفكّكتها، لن تتوصّل إلى معرفة سرّ إبداعها.

1938 – هـ.ج. ويلز، H. G. Wells:

هذه جملة من حوار وردت على لسان شخصية في إحدى رواياته، قد تحمل رأيه بشأن جين أوستن، وقد لا تحمله:

«جين أوستن الإنكليزية شخصية نموذجية وجوهرية. سحرها باهت ولكنّه لا يقاوم. إنها تشبه الفراشات الجميلة جدًّا التي لا تملك أيّ قوّة».

1940 – د. و. هاردينغ D. W. Harding:

استنادًا لما سمعت وقرأت عنها، تصورت أنّها كاتبة ساخرة وذات كياسة عالية تظهر بودّ وظرف ناعم لا يضاهى نقاط ضعف المحيطين بها الذين تحبّهم....، وكان هذا كافيًا بالنسبة إليَّ لأقرّر عدم قراءة رواياتها. غير أن هذا الانطباع كان مضلّلًا إلى حدّ بعيد...

من أجل قراءة كتبها بمتعة ومن غير انزعاج، لا بدّ أن الذين احتفظوا بالرأي السائد بشأن أعمالها، كان عليهم أن يتعمّدوا الانحراف قليلًا عن المعاني المباشرة لكلماتها.

1940 - مقتطف ترويجي صادر عن استوديو MGM المنتجة لفيلم **Pride & Prejudice**:

قصة خمس فتيات جميلات ينطلقن في مغامرات لصيد الأزواج من غير أن ينجحن باصطياد شاب عازب واحد. أيها الفتيات، لا تفوّتن أخذ العبرة من صائدات الأزواج!

1944 - إدموند ويلسون Edmond Wilson:

حدثت خلال القرن الماضي، وخلال الربع الأخير من القرن الذي سبقه، ثورات عدة على مستوى التذوّق في الأدب الإنكليزي. وعبر تلك الثورات كلّها، لم تتأثر سمعة اثنين بتغيّر الأذواق: إنهما شكسبير وأوستن... لقد استحوذت أوستن على إعجاب الكتّاب على اختلاف مشاربهم. ولعلّ أوستن وديكنز هما، وعلى الرغم من غرابة ذلك، الروائيّان الانكليزيان الجديران اليوم بأن يكونا في مصاف الروائيين اللامعين الروس والفرنسيين. يا لغرابة أن تتجسّد هذه الروح في ذهن فتاة من عائلة عريقة، ابنة رجل دين، لم تتزوّج، ولم تتعرّف إلى العالم سوى من خلال ما استطاعت أن تقدّمه لها زياراتها القصيرة إلى لندن، وإقامتها خلال بضعة أعوام في باث؛ استوحت مواضيع رواياتها من المشكلات التي كانت تواجه الفتيات الريفيّات في معرض بحثهن عن الزوج المناسب! كلّ ذلك يندرج في خانة الأمور الغريبة والسمات غير الطبيعية التي يتّسم بها الأدب الإنكليزي.

1954 - س. س. لويس C. S. Lewis:

وصفها أحدهم في أسوأ قصّة رواها كيبلنغ بأنها أمّ هنري جايمس Henry James. ولكني أميل إلى القول بأنها ابنة الدكتور جونسونDr. Johnson: إنها ترث حسّه المنطقي، وتوجّهه الأخلاقي، وحتى كثيرًا من أسلوبه في الكتابة. لست من قارئي هنري جايمس بدرجة كافية تخوّلني تأييد الرأي الأوّل. ولكنّها لو أورثت جايمس شيئًا، فلا بدّ أن يكون متصلًا بهيكليّة الرواية. ولكن أسلوبها، ومنظومة قيمها، ومزاجها العصبي، كلّ ذلك يبدو لي مناقضًا لما هو لدى جايمس. لو التقت

إيزابيل آرشر بإليزابيث بينيت، لحكمت عليها مؤكّدًا بأنها غير مثقّفة بدرجة كافية؛ أما إليزابيث فكانت ستجد أن إيزابيل لا تتمتّع بدرجة كافية من الجدّية ولا من المرح.

1955 – ليونيل تريلنغ Lionel Trilling:

ربّما يجب أن يُفهم نفور مارك تواين Mark Twain *الحيواني* من أعمال أوستن على أنه نفور الرجل من مجتمع تبدو فيه المرأة محور الجاذبية والقوّة؛ وأن يفسّر بالأحرى على أنه نوع من الخوف والارتياع إزاء عالم خيالي يظهر فيه العنصر الذكوري، على الرغم من كونه ضروريًا ويستحقّ الاعجاب، محدّدًا ومسيّرًا بالفكر الأنثوي. أما البروفيسور غارود Garrod، ففي البحث الذي كتبه تحت عنوان: *جين أوستن، انتقاص من القيمة* Jane Austen, a Depreciation، حيث يلخّص مجمل الأسباب الذي تدفعه إلى رفض أوستن، فإنه يعبّر عن كراهية لأوستن توازي كراهية مارك تواين المميتة لها؛ ويقول في بحثه، وإن بطريقة غير مباشرة، إن في أدب أوستن إهانة جنسية توجّه للرجال من جانب امرأة كاتبة.

1957 – كينغزلي آميس Kingsley Amis:

إدموند وفاني شخصيتان غير أخلاقيتين، وتأييد الكاتبة لمشاعرهما ولسلوكهما يجعل من رواية *مانسفيلد بارك* غير أخلاقية.

1968 – أنغوس ويلسون Angus Wilson:

ومن بين النقّاد القلائل الذين هاجموا أوستن منذ العصر الفيكتوري، هناك من كان يعاديها بسبب عدم انسجام مزاجي مثل شارلوت برونتي، ومارك توابن، أو د.هـ. لورانس؛ أو بسبب قصور اطلاعه، مثل غارود. وهناك من كان يوجّه نقده الرافض وإنّما بقدر جزئي فحسب، مثل السيد آميس عندما تكلّم افتراضيًا على عدم استعداده مثلًا لدعوة إدموند وفاني برترام لتناول طعام العشاء إلى مائدته. ولكن شكّل بعض معجبي أوستن الأوفياء جدًّا والأقل ذكاء إحراجًا لسمعتها أكثر مما فعله منتقدوها.

1974 – مارغريت درابلMargaret Drable:

هناك من بين المؤلفين من كتب بغزارة، وهناك بينهم من كتب ما يكفي فحسب.

ولكن هناك من لم يكتب ما يكفي ليرضي نهم معجبيه، وجين أوستن هي بالتأكيد واحدة من هؤلاء. قد يتولّد فرح عظيم في الوسط الأدبي لو حدث اكتشاف رواية جديدة لأوستن لم تُنشر من قبل، أكثر من الفرح الذي قد يتولّد نتيجة اكتشاف أي أثر أدبي جديد آخر، باستثناء اكتشاف مسرحية جديدة كبرى لشكسبير.

1979 - ساندرا م. جيلبرت وسوزان غوبار Sandra M. Gilbert & Suzan Gubar:

تحمل روايات أوستن إطراءً خاصًا إلى القرّاء الذكور لأنها تصف عملية ترويض ليس لمطلق فتاة، بل للفتاة المشاكسة والخيالية، إذ يتمكّن الرجل من التحكّم بحياتها لأنها تحبّه. الفكرة الشائعة في قصص أوستن حول ضرورة أن تلتزم المرأة الصمت والخضوع تدعم تبعيّة المرأة للرجل في المجتمع الذكوري... «ولكنّها في الآن عينه تحفّز القرّاء على التفكير بحلول مغايرة»، بحسب قول فيرجينيا وولف.

1980 - فلاديمير نابوكوف Vladimir Nabokov:

ليست رواية *مانسفيلد بارك* تحفة أدبية مليئة بالحياة فحسب، بل إنها عمل سيّدة، ومسرح طفل يلعب. ومن سلّة التطريز (الأدبية) تلك، يخرج عملٌ فنيٌّ عالي الجودة، ويلمع ذكاء طفل عبقري.

1984 - فاي ويلدن Fay Weldon:

أفكّر أيضًا... بأن السبب الذي أبعد الرجال عن الزواج بها، هو عينه الذي دفع بالناشر كروزبي إلى رفض نشر رواية دير *نورثنغر*. إنه ذلك الأمر المخيف الذي كان يقرقع تحت غطاء السخرية المرحة البريئة: أمر قادر على هزّ العالم وإيقاظه من غفلته.

1989 - كاثا بولليت Katha Pollitt، من قصيدتها: إعادة قراءة لروايات جين أوستن «Rereading Jane Austen's Novels»:

في هذه المرّة لم أجدها مرحة.

الأم حمقاء، سوداوية، أو ميتة.

الأب مخبول ولكنّه مدلّل وودود.

ولا أحد يفكّر سوى بالطبقة الاجتماعية.

1989 - كريستوفر كنت **Christopher Kent**:

تكلّم تلميذ سابق في أوكسفورد عن أستاذه هـ. ف. بريت سميث قائلًا إن الأستاذ المذكور عمل إبّان الحرب العالمية الأولى كمساعد في المستشفيات على اختيار كتب مطالعة للجنود المصابين. وقال إنه كان يختار روايات جين أوستن للتخفيف عن الجنود المصابين بالصدمة النفسية جرّاء القصف المدفعي.

عندما انطلقت الثورة الفرنسية، بالكاد رفعت جين أوستن رأسها عن أوراقها وشغل إبرتها الأدبية الدقيقة. من هو أفضل منها لتلطيف العقول المشوَّشة الهائمة في ضواحي باريس؟ يمكن لضحايا التاريخ الهروب عبر هدوء صفحاتها الشافي من النقمة وحبّ الانتقام.

1993 - غيش جن **Gish Jen**:

أظن أن القلم الآخر الذي أثّر بي إلى حدّ كبير هو قلم جين أوستن. *كبرياء وهوى* كان واحدًا من الكتب التي قرأتها مرارًا وتكرارًا ومن مختلف الزوايا، وشعرت برغبة حقيقية لأكون مثل إليزابيث بينيت. هناك اليوم من يقول لي: «هذا تأثير إنكليزي بامتياز». يعتقدون بأنه كان الأجدر بي أن أتأثر بالأوبرا الصينية، أو بشيء من هذا القبيل.

1993 - إدوارد و. سعيد **Edward W. Said**:

أما بالنسبة إلى رواية *مانسفيلد بارك*، فهنا كلام إضافي يجب قوله.... ربّما روايات أوستن، وفي الواقع، الروايات التي سبقت الامبريالية على وجه العموم، ستبدو أكثر تورّطًا في التحضير للإمبريالية ممّا يمكن اكتشافه عبر القراءة الأولى.

1995 - مقالة حول بحث قام به تيري كاستل **Terry Castle**:

«هل كانت جين مثليّة؟»، سؤال طرحته المجلّة الأدبية التي عُرفت برصانتها

«*The London Review of Books*»، وكان هذا السؤال عنوانًا لبحث قام به البروفيسور تيري كاستل في جامعة ستانفورد حيث درس بدقّة أبعاد اللّاوعي الذي يظهر النفور من الجنس الآخر في بعض ما كتبته جين في رسائلها إلى شقيقتها كاسندرا. ولقد أثارت أصداء بحثه نقاشًا عنيفًا بين أتباع أوستن.

1996 - كارول شيلدز Carol Sheilds:

تتصرّف البطلات في روايات أوستن تحت وطأة نظام اجتماعي واقتصادي يحكم عليهن بالغبن. ننظر إلى روايات أوستن ونرى أن بطلاتها يتصرّفن بقوّة، إضافة إلى أنهن واثقات من الأهداف التي يسعين إليها وقادرات على تصميم استراتيجيات ناجحة من أجل تحقيقها.

1996 - مارتن آميس Martin Amis:

تتمتّع أوستن بقدرة غريبة على إشغال الجميع. فلاسفة الأخلاق، وفلاسفة الحبّ العذري وغير العذري، والماركسيّون، وأتباع فرويد، وأتباع كارل يونغ، والمتخصّصون في علم السيمائيات، والهدّامون؛ جميعهم يجد ملعبًا مثيرًا في ستّ روايات متشابهة تتناول حياة الطبقة البورجوازية المتوسّطة. وأمام كل جيل جديد من القرّاء والنقاد، يجدّد أدب أوستن ذاته من دون كلل.

ينظر كل عصر إلى الأدب من منظاره الخاص وعلى ضوء همومه وانشغالاته، وفي مهرجان أوستن الحالي تسفر مخاوفنا عن وجهها بصراحة. ترانا نغوص في أعماق عالم أوستن بكل ما فيه، ولكن ليس من غير عدساتنا السوداوية. نلاحظ بادئ ذي بدء الحدود الضيّقة التي تقيّد حظوظ النساء: كم المدّة المتاحة لهنّ للزواج قصيرة؛ ومع ذلك كم يمرّ الوقت ببطء مميت بالنسبة إليهن خلال هذه المدّة. نلاحظ كم هي عديدة الأسباب الاجتماعية التي تؤلمهنّ، وكم يرتاح القوي إلى ازدياد هذه الأسباب. ونلاحظ قلّة الوسائل التي يمكن للضعيف الاستعانة بها ضدّ من يضمر له الكراهية. ونتساءل مَنْ في الوجود سيتزوّج الفتيات الفقيرات. لا يستطيع الشبّان الفقراء فعل ذلك، ولا يستطيع الشبّان الأغنياء فعل ذلك، إذًا من يستطيع؟

1996 - أنطوني لاين Anthony Lane:

ليس من عبء يثقل كاهل الكاتب أكثر من عبء إعجاب القرّاء بأدبه. ولكن أمرًا بعيد المنال في أدب أوستن يزيح عن كتفيها مثل هذا العبء.

1997 - من مقالة بقلم رئيس التحرير في مجلّة فوربس Editorial in *Forbes*:

«ليس دراكر Drucker مرجعيّة في النظريات الإدارية بالمعنى الأكاديمي الضيّق»، يقول لنزنر Lenzner؛ «إنّه يقارن الاتفاقيات الاستراتيجية بين الشركات، باتفاقيّات الزواج في روايات أوستن».

1997 - سوزان كوربا Suzan Korba:

منذ سنوات، ما فتئ اهتمام النقّاد يحوم حول الموضوع المقلق على ما يبدو، والمرتبط بطبيعة الميل الجنسي لبطلة رواية *إيمّا*. تجد كلوديا جونسون أن معاني ضمنية تطفو أحيانًا إلى السطح في بعض الآراء النقدية لشخصية إيمّا، وتفضح مشاعر كراهية ضدّ النساء، وحتى مشاعر النفور التامّ من مبدأ المثلية الجنسية. وتستعين جونسون بأمثلة على ذلك، فتذكر الإشارات الضمنية السيئة من جانب إدموند ويلسون، ولفتات مارفن مودريك القاتمة حول افتتان إيمّا ببعض النساء وتفضيلها صحبتهنّ.

1999 - دافيد آندرو غرايفس David Andrew Graves:

تعودّت منذ سنتين تحليل النصوص بمساعدة برنامج معلوماتي خاص يكتشف نمط استخدام الكلمات وتكرار ورودها بحسب المعاني. تبرز رواية *إيمّا* على أنها أكثر روايات أوستن خفّة، ومرحًا، وإيجابيّة عالية؛ إضافةً إلى تدنّي حدوث المشاعر السلبية فيها بالنسبة إلى البقيّة. هكذا وتطابقًا مع ما وعدتنا به الكاتبة منذ الجملة الأولى.

1999 - Andy Rooney آندي روني في رسالة إلى إميلي أورباخ، أوردتها ناتالي تايلر:

لم أقرأ شيئًا البتة من كتابات أوستن. ولم أحاول قراءة *كبرياء وهوى*، أو *عقل*

وإحساس بالتحديد، لأني تصوّرت أنهما تشبهان روايات التوأمين في عائلة بوبسي Bobbsey *Twins*، وإنما للقرّاء الكبار.

1999 - أنطوني لاين Anthony Lane:

العري، التعدّي الجنسي، المثلية الجنسية، وجانب من العلاقات المحرّمة بين ذوي القربى ألم يحن الوقت بعد لنضجر من جين أوستن؟

2000 - ناليني ناتاراجان Nalini Natarajan:

تكفي نظرة منطقية إلى شعبية أوستن في الهند لكي تظهر لنا سهولة ترجمة المواقف «الأوستنية» ضمن إطار حياة الطبقة الوسطى النامية في الهند... وتظهر المسائل التي نشأت عن النقد الذي قمت به شخصيًا، أو النصوص النقدية التي ظهرت حديثًا في الهند لأعمال أوستن، نموذجًا يطرح نقاطًا عدة مشتركة بين الثقافتين، بغضّ النظر عن الجوانب الخاصّة المتصلة بثورة المرأة على القيود الاجتماعية وأصدائها التي تردّدت في بلاد البنغال إبّان الاستعمار البريطاني.

2002 - شانون ر. وودن Shannon R. Wooden بشأن الأفلام السينمائية لروايات أوستن:

يبدو أن مسألة الإقلال في الطعام باتت أحد المعايير اللازمة التي تحدّد صفات الأنوثة عبر الثقافات المتنوّعة. يظهر الأمر واضحًا في فيلم *عقل وإحساس* الذي أخرجه آنغ لي، وفي فيلم *إقناع* الذي أخرجه روجر مِتشل، وفيلم *إيمّا* الذي أخرجه دوغلاس ماكغراث...، والبطلة في كل هذه الأفلام من دون استثناء لا تأكل... استهلاك الطعام بطريقة ظاهرة يشير دائمًا إلى امرأة «سيئة» أو غريبة الطباع.

2002 - إلسا سوليندر Elsa Solender، رئيسة سابقة لمجتمع جين أوستن في أميركا الشمالية:

بعد مشاهدتي مجدّدًا لجميع الأفلام المتوفّرة ولأصدائها النقدية في المكتبات المتخصّصة في لندن، وفي لوس أنجلوس، وفي نيويورك. وبعد أن استعرت واشتريت وتسوّلت وقرأت مكتبة كاملة من المقالات التي تعالج موضوع نقل

الروايات الأدبية إلى السينما، وصلت إلى استنتاج أخير بشأن محاولة نقل «عالم جين أوستن» بإخلاص ودقّة إلى السينما بصورة ترضي محبّي أوستن، واستنتاجي يختصر بكلمة واحدة:

لا تفعلوا!

مكتبة
t.me/t_pdf

2003 - ج.ك.رولنغ **J.K.Rowling**:

لم أسعَ أبدًا لأكون مشهورًا، ولم أحلم أبدًا بأن أكون مشهورًا.... ولكن يحدث لي غالبًا أن أشعر وكأني انفصلت عن الواقع. تصوّرت أن الكاتب المشهور يكون مثل جين أوستن، قادرًا على البقاء جالسًا في بيته في منزل القسّ، وكتبه معروفة جدًا ومنتشرة بين أيدي الناس. ويمكنه من حين إلى آخر تبادل الرسائل مع مكتب أمير ويلز، ولي عهد التاج البريطاني، والتكلّم إلى أمين سرّه.

المحتويات

دليل القارئ 7

موجز عن رواية *إيمّا* *Emma* 9

الفصل الأول: حيث اجتمعنا في منزل جوسلين لمناقشة كتاب *إيمّا* *Emma* 25

الفصل الثاني: نقرأ في هذا الفصل كتاب العقل والعاطفة مع آليغرا .. 65

الفصل الثالث: نقرأ في مايو/ أيّار كتاب *مانسفيلد بارك* ***Mansfield Park*** مع برودي 111

الفصل الرابع: قرأنا في حزيران قصّة Northanger Abbey\دير نورثنغر واجتمعنا في بيت غريغ 161

الفصل الخامس: وفيه قرأنا كتاب *كبرياء وهوى* واستمعنا إلى برناديت 207

مادة ترويجية 263

الفصل السادس: وفيه قرأنا كتاب *إقناع* ***Persuasion*** واجتمعنا في بيت سيلفيا ثانيةً 269

الخاتمة 319

آراء وانطباعات عائلة جين أوستن وأصدقائها حول كتاب
مانسفيلد بارك، جمعتها الكاتبة بنفسها.................... 325
آراء وانطباعات عائلة أوستن وأصدقائها حول رواية *إيمّا* *327*
ملاحظات أدلى بها نقّاد ومؤلّفون ومرجعيات أدبيّة، حول أوستن
ورواياتها ومعجبيها ومنتقديها على مدى قرنين 329

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

نادي قراءة

جين أوستن

تتمتع أوستن بقدرة غريبة على إشغال الجميع. فلاسفة الأخلاق، وفلاسفة الحب العذري وغير العذري، والماركسيون، وأتباع فرويد، وأتباع كارل يونغ، والمتخصصون في علم السيميائيات، والهدّامون، جميعهم يجدون ملعباً مثيراً في ست روايات متشابهة تتناول حياة الطبقة البورجوازية المتوسطة في الريف الإنكليزي. وأمام كل جيل جديد من القرّاء والنقاد، يجدد أدب أوستن ذاته من دون كلل.

Martin Amis, JANE'S WORLD, The New Yorker

من الطبيعي أن تتناول رواية عنوانها "نادي قراءة جين أوستن" بكثير من الحذر، ولكن رواية كارين جوي فاولر المرحة والمليئة بالملعومات أثبتت أنها مفاجأة ممتعة، تقدّر أوستن وتغوص في عوالمها.

The Boston Globe

تخلق فاولر رواية ساحرة ومؤثرة، باللغة الرقة وفيها حس كوميدي ماكر سيجعل محبي روايات أوستن يتنهدون بسعادة.

Michael Dirda, The Washington Post Book World

فازت كارين جوي فاولر بجائزة PEN/Faulkner، وجائزة كاليفورنيا للكتاب، لها ستة أعمال روائية، وأربع مجموعات قصصية، وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر في عام 2014.

t.me/t_pdf

ISBN: 978-614-472-038-7
9 786144 720387

التنوير للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - القاهرة - تونس